جامعة ابن خلدون - تيارت
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية



للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة أكاديمية تعنى بالدراسات والبحوث
في التاريخ والمجتمع



العدد الحادي عشر 2017
ردمد: 1112-5896

الخلدونية

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة تيارت

العدد الحادي عشر2017

Dépôt légal718-2005 الإيداع القانوني

ISSN1112-5896:ردمد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

سورة آل عمران، الآية 140

الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة تيارت، العدد الحادي عشر2017

هيئة القراءة والتحكيم:

قواعد النشر بالمجلة

إن صفحات مجلة الخلدونية مفتوحة للباحثين من داخل الوطن وخارجه. ومن أجل تسهيل عمل المجلة يرجى من الراغبين في نشر بحوثهم الالتزام بالقواعد التالية:

1- أن يكون العمل العلمي أصيلا لم يسبق نشره.

2- ينبغي أن تتميز الأعمال المقدمة بالجدّة والعمق في الطرح وبالأسلوب السليم والمنهجية العلمية، ولا تقبل المجلة المواد المنشورة أو المقدمة للنشر في جهات أخرى.

3- أن لا تزيد عدد صفحات المقال عن **15** صفحة.

4- أن تكون اللغة العربية مكتوبة بخط Traditional Arabic بحجم **16** واللغة الأجنبية بحجم **12** خط Times New Roman ، وأن يرفق المقال بملخصين مع الكلمات المفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية.

5- لا يقبل أي مقال بعد انتهاء الآجال، والمجلة غير ملزمة بإعادة الأصول المرسلة إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

6- كل الأعمال العلمية المقدمة تخضع للتحكيم السري؛ العلمي النوعي والمتخصص قبل النشر، وتُخطِر المجلة الباحثين بقرار صلاحية المواد أو عدمها. كما أن البحوث والدراسات التي يرى المحكمون تعديلها تُرَدُّ إلى أصحابها لإجراء التعديلات لكي تأخذ طريقها إلى النشر. وتحتفظ المجلة بحقها في إدخال تعديلات، أو تأخير النشر إلى عدد قادم حسب إمكانياتها،

7- يجب الالتزام بالطرق العلمية المقدمة في النشر، على أن تكون الهوامش يدويا وفي آخر المقال.

8- تكون المقالات مصحوبة بملخصين إحداهما بلغة المقال والثاني بإحدى اللغتين (فرنسية أو إنجليزية).

وسائل الإيضاح:

يجب أن تقدم الجداول الإحصائية والرسوم البيانية والخرائط والصور الأصلية مستقلة عن النص في (**A4**) بشكل فردي أو جماعي مع ذكر رقم الجدول أو الشكل. ويجب أن تتسم وسائل الإيضاح بالوضوح.

كل المراسلات توجه إلى البريد الإلكتروني للمجلة: alkhaldonia.fsh@gmail.com

ما تنشره المجلة لا يعبر سوى عن رأي صاحب المقال، ولا يعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو هيئة التحرير

الفهرس العام للموضوعات

كلمة العدد

بقلم الأستاذ الدكتور ناج محمد، مدير المجلة

لعل من أهم الواجبات التي تقوم بها المؤسسات العلمية والتي منها الجامعة، الكشف عن قدرات العاملين في الابتكار والإبداع، إذ ترعى هذه المؤسسة العلمية الأكاديميين المنتمين لها، وكذلك تبارك العصاميين في مبتكراتهم وتقدّرها وتقيّمها.

من هذا المنطلق ارتأى فريق الخلدونية هذه المرة، ايمانا منه بأداء هذه المهمة النبيلة في الكشف عن الطاقات العلمية تخصيص جلّ هذا العدد لقامة كبيرة، ومثقف جدير، بأن أستطاع أن يحمل تاريخ منطقته وتاريخ وطنه على كاهله. وكان وفيا في أداء مهمته فأخلص للشخصيات التي تناولها والأحداث.

وكانت الخلدونية وفية لشخصه، فأنجز فريقها من الأساتذة باقة من الورود ممثلة في دراسات حول كتابات الأستاذ عمار بلخوجة، سيجد فيها القارئ إجابات عن أسئلة كثيرة عن عمار وهي شرح وتدعيم وتقديم لأعماله التي جاوزت الثلاثين، وهي –أي المقالات–مداخل لعالم بلخوجة الذي رسم كتبه عبر الزمان والمكان، انطلق من المحلية الى الوطنية الى العالمية.

كما ازدان هذا العدد بمشاركة مخبرين هما:

- مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا.
- مخبر الخطاب الحجاجي.

كما فتحت المجلة بابها لمديرية الثقافة بأن تضع ختمها لتبارك عملا كهذا حين تكرمت بطبعه على نفقتها الخاصة.

فشكرا لهؤلاء وغيرهم لأنهم بهذا العمل يؤسسون لقاعدة ثقافية متينة وتقليد مبني على الاعتراف بالكفاءة.

افتتاحية العدد

بقلم الدكتور عبد الحق شرف، رئيس تحرير المجلة

ها هي الخلدونية تطل على قرائها من جديد، لتخط دروبها نحو التميز والإبداع، وتفي بوعدها لباحثيها ومفكريها بمواصلة السيرة والمسير. فرغم كل الكبوات والهفوات والتعتيم، إلا أنها استطاعت بتوفيق من العلي القدير، ثم بتظافر جهود طاقمها أن تحجز لنفسها مكانا ضمن مصاف المجلات المحترمة.

فإلى عهد قريب احتفى روادها من مسيرين وباحثين باكتمال بَدْرِها، مُعلنًا عن انقضاء عقدها الأول، وإطفاء شمعتها العاشرة.

وها هي اليوم مع بزوغ شمس عقدها الثاني، تأبى إلا أن تتزيّن بعِقدٍ مزركش بعد عَقدٍ من التميّز والإبداع. ازيّنت هذه المرّة طوالعها بباقة من المواضيع الخصبة الندية، والتي أتت لتعلن في صمت حياة ونضال وكتابات رجل فذّ، وشخصية وطنية فوّاحة العطر، لتضرب لنا موعدا مع الصحفي الباحث عمار بلخوجة عنوانا لها.

نعم؛ الصحفي عمار الذي أثرى بكتاباته الساحة المعرفية ببلادنا، وساهم بقدر كبير في عملية البناء التاريخي الوطني.

وسيجد قراؤنا وأوفياؤنا مادة خصبة، بَذَرَ أفكارها جنود الخفاء، وجنى ثمارها أصحاب الهمم، لتخرج في هاته الحلّة المرصّعة بتيجان العلم والمعرفة.

قد تعجز الكلمات عن التعبير عما تكنّه دواخلنا من تقدير وتبجيل لعلمائنا ومفكّرينا، إلا أننا نقولها وبكل إخلاص وتواضع: إن هذا العدد بقدر ما فيه التميّز، كان بادرة سانحة طيبة حاولنا من خلالها أن نعطي الأستاذ عمار بلخوجة بعضا مما يستحق، خاصة بعد أن جافاه الزمن لسنوات طوال عجاف. ونأمل أن تكون هاته

السانحة سُنّة تَتْرَى بكليتنا العامرة، حتى يكتمل المشهد المعرفي فيها ومن جوانبه المتعددة.

إنني وأنا أخطّ هاته الكلمات اليسيرات لممنون لكلّ من ساهم من باحثين ومفكرين في وضع اللبنة الأولى لهاته البادرة الطيبة المباركة، إلى جعلها واقعا ملموسا، وأخص بالذكر السيد مدير المجلة الأستاذ الدكتور تاج محمد صاحب المبادرات المباركات الذي أعلنها هبّة قوية للاحتفاء بمفكري المنطقة عموما والجزائر خصوصا. وهو شكر موصول إلى الدكتور لكحل فيصل عضو أمانة التحرير الذي لم يدّخر جهدا في سبيل إنجاح الفكرة، وإلى كل الباحثين ومن ساهم ولو بالكلمة الطيبة.

وفي ختام هاته العجالة أتوجه بخالص الشكر والامتنان إلى السيد مدير الثقافة لولاية تيارت الذي تحمّل نفقة طبع هذا العدد؛ عربون وفاء وتقدير لعلماء المنطقة.

الكتابة عند عمار بلخوجة

من المحلية الى العالمية

الأستاذ الدكتور تاج محمد، جامعة تيارت

تعتبر الكتابة انجازا حضاريا وفارقا مميزا للإنسان دون باقي المخلوقات، فلقد أرخت الكتابة للحضارة التي أنجبتها، وسطرت بحروفها في الكهوف والمغاور وعبر الجريد وفي أوراق الاشجار وصولا الى الكتابة الالكترونية.

لطالما كانت الكتابة جسرا بين الشعوب والأمم ووسيلة تواصل بين الأفراد في مختلف بقاع المعمورة، فمن منا كان ليسمع بحكايات تروى على لسان الحيوان لولا كتاب كليلة ودمنة، وما كان العالم لينبهر بخيال الليالي –التي سلبت عقول المشرقيين قبل الغربيين وقد حاول بعضهم تمثيل ادوارها فحذا في الكتابة حذوها–لولا صفحات امتلأت بالكتابة ضمها كتاب ألف ليلة وليلة. لقد خلَد كتاب بوكاتشيو قصص الفتية الذين تسامروا وربطوا في أيام قصصهم بعضها ببعض، هذه الكتابة هي التي عرَفتنا ببوكاتشيو.

تنزل الكتابة في الامم منزلة الجوهرة في العقد ومنزلة الشمس دون الكواكب فهي التي تشع وتظهر مختلف المظاهر الحضارية التي تدل على مساهمات هذه الامة في ترقية هذه الامة محليا والمساهمة في الرصيد العالمي الذي يصون مقومات الانسان وانتاجاته عبر العصور.

تسعى الامم في مختلف بقاع المعمورة للبحث في الكهوف والمغاور عن اشارات كتابية في مختلف قضايا التواصل بين أفراد المجموعات فيما يتعلق بحياتهم اليومية (تزويج –تطليق – حروب – سلم –اقتصاد –علوم – ومختلف أنواع الحياة) فإذا وجدتها أرخت لها ومدَت عمر وجودها في هذه المنطقة، وبنت على هذا الارث حاضرا واستشرافا.وإذا ذكرنا الكتابة لابد أن نذكر الكاتب الذي لولاه ما كانت هذه الكتابة فهو صانعها ومنشؤها وجامع حروفها وكثير من

الناس لم يورثوا مالا وإنما ورثوا علما وكتبا و أصبحت كتبهم ميراثا يجمع الامة ويشترك فيه أبناء الامة .

لقد أرخت الخطوط التي كتبت في الطاسيلي لإنسان المنطقة فأفصحت الكتابة عن انسان المنطقة وتقاليده وكانت هذه الكتابة المؤشر الهام على تعمير المنطقة وأقدميتها في اعطاء صورة الحركية الحضارية.

وقد جاءت كتابة هذه الورقة البحثية لتجيب على سؤال هام يتعلق بالكتابة عند عمار بلخوجة ومدى تطورها ومكانتها ضمن عالم الكتابة وهل استطاعت الكتابة أن ترقى بشخوصها ومواضيعها من المحلية الى العالمية

لقد شكل الاستاذ عمار بلخوجة في تاريخ الكتابة الجزائرية باللغة الفرنسية منعرجا هاما جديرا بالملاحظة والإشارة وخاصة الكتابة التاريخية، ومتابعة الشخصيات التي كان لها دور فعال في المجتمع. يأتي الاستاذ عمار بلخوجة ضمن جيل الكتاب الذين استفادوا من تكوينهم القاعدي المتنوع وهذا ما يلاحظه الباحث مع أول لقاء بإنتاج الاستاذ عمار بلخوجة، فبأسلوب لغوي رصين ينبئ بقوة الشخصية والثقة بالنفس الى القاموس متنوع الالفاظ فضفاض المعاني، الميال الى الجمل التأكيدية.

لقد بدأ الاستاذ عمار بلخوجة الكتابة في وقت مبكر فأرتاد الصحافة وتعود على أساليبها التقريرية التي تنقل الحدث في حدوده، فقد شهدت صفحات المجاهد في سنوات السبعينات والثمانينات اسما لامعا بدأ يتكرر في أوساط الصحافيين اسمه عمار أينقل بلفتة ذكية وجمل مركزة أحداثا جرت وتجري في الجزائر.

فقد قدمه الاستاذ عبد الرزاق هلال:

Titulaire d’un certificat d’études obtenus en 1956 avec un zéro en.. histoire dans une école pour indigenes, Amar Belkhodja est aujourd’hui chercheur en…Histoire respectable .C est un homme élégant capable de céder sa place a autrui dans un bus .dans

un taxi ou sur les bancs d'une université .son verbe est, comme ses tenues, sobre et direct .En quelques mots, il formule une idée désigne l'essentiel. C est un amoureux de la lumière blanche, celle du matin des premier frimas. Du chuintement du jour ou du friselis qu'ignore le loir.[1]

كلمات جميلة معبرة يبدؤها المقدم ببدايته الدراسية فقد تحصل عمار بلخوجة على شهادة في الدراسات و تحصل حينها على درجة الصفر في التاريخ في مدرسة خصصت للأهالي لأنه فهم التاريخ بأبعاده المحلية النابعة عن حركة شعب مقاوم عبر التاريخ يختلف عن الفرنسيين الذين قدموه وصاغوه بمعاييرهم التي يريدونها و تخدمهم ، و عمار اليوم باحث في التاريخ يبحث عن الحدث ويحلله ويقدمه بشكل جميل على مستوى الاسلوب كما أنه رجل أنيق متواصل مع غيره في كل مكان في الحافلة و سيارة الاجرة وفي الجامعة، محب لضوء الصباح مستشرف المستقبل كاشف اياه مقدم لأمته أهم ما يقدمه ابن لأمه، فهو يكتب هويتها،ولذلك نجد عمار يكتب عن تاريخ تيارت في العصر القديم وفي العصر الوسيط.

ويضيف الاستاذ هلال:

Cest un levé -tôt qui précède la voix du muezzin .il sait parfaitement le bruit du pas hâtif du travailleur angoisse par l'absence d'un tortillard sur le qui dune gare il sait a la fois le sordide et la geste de son peuple harcelé hier par des paras français et aujourd hui, par le poids de décideurs bureaucratiques aux ventres panus et bedonnants. il sait, car c'est un observateur intransigeant.[2]

لقد كان عمار يعرف معاناة شعبه ويدرك واقع العمال في معاملهم، عايش شعبه وأطلع على دقائق أمورهم، وكان يستنتج ملاحظاته الدقيقة بالمعاينة والمقاربة بين فرنسيين يعيشون في رفاهية في أرض ليست لهم يدرسون في مدارس نظامية وبين جزائريين على حافة الفقر ويدرسون

1 -Amar Belkhodja Larpenteur de la Mémoire –Dr Khadidja Belkhodja –preface de Abderrazak Hellal p 11-12

2 -Amar Belkhodja L'arpenteur de la Mémoire –Dr Khadidja Belkhodja –préface de Abderrazak Hellal p 11-12

في مدارس ثانوية ولا يستطيعون التعبير عن أنفسهم وإذا ما فعلوا كان مصيرهم الصفر كما حدث مع عمار.

ولعل الدربة والاعتياد والألفة والممارسة والمران دفعت بهذا الصحفي المتدرج في ميدان الصحافة الى التميز في امتلاك قلم خاص به تعرفه عند القراءة، وتتشوق لعموده الذي عود القراء عليه. خمسة وعشرون سنة كتابة في الصحافة والمدوامة عليها عودته على الجري وراء الحدث والإحاطة به وصوغه لجمهور خاص متتبع لها.

لا شك فإن العمل الطويل في الصحافة، ومعالجة القضايا المختلفة جعلا عمار يميل الى التعمق في المواضيع وذلك من خلال التراكم في المعلومات، فجاءت فرصة التصنيف والكتابة المتخصصة.

إلا أن طموح الرجل لم يكن ليتوقف عند حدود العمود الذي كان يكتبه وعوّد الناس عليه، بل تعداه الى التأليف وممارسة الكتابة ودخول عالم النشر من بابه الواسع، فبعد خمس وعشرين سنة زوّد عمار بلخوجة المكتبة بما يفوق ثلاثين كتابا، يمكننا: تصنيفها على الشكل التالي:

- **تراجم لشخصيات تاريخية:**

1- علي معاشي فن وقتال
2- علي معاشي لحن مقتول
3- حمداني عدة
4- علي الحمامي
5- ماري كلار بووي
6- قايدي احمد
7- الامير عبد القادر
8- محمد بن سالم لغواطي
9- حليم مقداد

10- بابية حسين

- **كتب تاريخية عن الثورة التحريرية:**

1- أوراق نوفمبر

2- زمن تيارت

3- الحركة ألوطنية شخصيات ومعايير

4- محارق الظهرة

5- دخان الموت

6- قائمة 45 مجرم أسمه أشاريني

- **كتب حول مدينة تيارت:**

1- تيارت ذاكرة ومرآة

2- تيارت: ثورة الحضر :8 جانفي 1961

- كتب في التصوف.

1- مومو سحر الكلمات

2- مومو من خلال الصورة والكلمات

3- الهوية العليا

- **كتب في الشعر:**

1- السقطات الجديدة.

2- عاطفة الاخر

- كتب عن الاستعمار والعنصرية

1- بربارية الاستعمار في افريقيا

2- الاستعمار: جرائم دون عقاب

3- هجاء التاريخ

4- بؤس، جرائم وتجويع في زمن الاستعمار

وسنختار عينة من كتاباته وسنحاول التنويع فيها، حتى نتبين المقصد من تأليفها، وما الاهداف التي يتوخاها عمار بلخوجة .

كتاب علي معاشي:

هذه الصفحات المكونة لكتاب هي عبارة عن شهادة حية عن فنان كبير عاش من أجل الجزائر ولا زال يخلدها في اثاره الغنائية ولازال جيل المغنين ينشدون أغانيه الوطنية، وهو محاولة هامة في سبيل التأريخ للأغنية الثورية، وهو شهادة حية لدور الفنان والفن في الاشادة بمآثر الشعب الجزائري والكتاب عبارة عن سجل عن حياة رجل كان نموذج الشباب الجزائري الذي فضل الشهادة على العيش الرغيد، وهو شهادة ،عن بشاعة الاستعمار الجزائري الذي سجل تاريخ حوادثه بالدم والعار، فقد اقدم على قتل علي معاشي ثم قام بتعليقه في شجرة بالساحة العمومية، هذا الكتاب ينقل الحدث من اطاره الوطني الى درجة العالمية فلم يصبح علي معاشي شخصية وطنية تحدها حدود الوطن بل أصبح شخصية عالمية تسجل تضحيات هذه الفنان في سبيل الحرية التي تغنى بها.

حمداني عدة:

هذا أثر آخر من أعمال الاستاذ عمار بلخوجة، يجسد فيها سيرة بطل من أبطال ثورة التحرير، اسمه حمداني عدة وعنونه ب قضية حمداني عدة، وهو عنوان إشكالي نستشعر فيها الغموض وتدعونا للتساؤل عن هذا البطل وعن سيرته ويتساءل الباحث عن سر الاجرام في حقه، فقد سجن ثم أحرق والكتاب عبارة عن صيحة مدوية لا تزال مستمرة في الافاق، وهو ادانة أخرى لما اقترفه الاستعمار الفرنسي في الجزائر

علي الحمامي:

يعتبر هذا الكتاب فريدا في ميدانه، وقد يكون الاول حول شخصية علي الحمامي الذي ولد في مدينة تاهرت (تيارت) في عام 1902، وقد هاجر مع عائلته إلى المشرق لأداء فريضة الحج. وما إن أعلن الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي جهاده في المغرب الأقصى ضد

إسبانيا وفرنسا، حتى أسرع علي الحمامي للانضمام إليه، وهناك في ساحات الجهاد تعرف إلى أحد الجزائريين المقربين من الأمير محمد بن عبد الكريم وهو الأمير عبد المالك ابن الأمير عبد القادر. التحق علي الحمامي بعد ذلك بفرنسا، وتعرف في باريس على الأمير خالد ألجزائري كما تعرف على الأمير شكيب أرسلان في جنيف.

لاحظت السلطات الفرنسية ما كان يبديه علي الحمامي من نشاط سياسي وأحسّ هو بأنه صار هدفا للسلطات الفرنسية، فسافر إلى المشرق العربي، وتجول في كثير من البلدان العربية و الآسيوية، ثمّ استقرّ في بغداد، وقضى فيها أكثر من عشرة أعوام مُدرّسا وكاتبا في الصحف تعريفا بقضية المغرب العربي عموما وقضية الجزائر خصوصا. وفي العراق تعرف على الزعيمين الكبيرين عبد العزيز الثعالبي (الجزائري) مؤسس الحزب الدستوري التونسي، وسليمان الباروني (الليبي) مؤسس جمهورية طرابلس.

في سنة 1947 انتقل إلى القاهرة، وانضم إلى مناضلي المغرب العربي الذين كانوا يناضلون في سبيل أوطانهم، سواء في "جبهة الدافع عن إفريقيا الشمالية" أم في "مكتب المغرب العربي"، الذي كان يؤمن إيمانا كبيرا بوحدته، ويعتبره كيانا واحدا. وقد يكون سبب انتقاله من العراق إلى القاهرة هو استقرار الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي بها، بعد فراره في بور سعيد من السفينة الفرنسية التي كانت تُقلّه من جزيرة ريونيون إلى فرنسا، وذلك للتعاون في ميدان النضال لتحرير المغرب العربي.

وقد أثمرت صلته بالأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي عملا أدبيا هو رواية "إدريس" التي استوحاها من جهاد الأمير محمد بن عبد الكريم، وقد نشرها الحمامي باللغة الفرنسية بعدما اقتصد أربعين جنيها، هي أكبر مبلغ جمعه كما يشهد صديقه محي الدين القليبي، وقد تكون هذه الرواية هي ما اعتبره القليبي مذكرات الخطابي عن جهاده، حيث يذكر القليبي أن الحمامي "اشترك مع عبد الكريم في ترجمة مذكراته عن الحرب الريفية."

كان علي الحمامي واسع ألثقافة كثير ألتجارب عارفا بلغات عديدة هي ألفرنسية ألإيطالية الاسبانية الألمانية والتركية، مما وسّع من نظرته، وعمّق من أفكاره حتى عدّه المناضل المغربي عبد المجيد ابن جلون بـ "أنه سبق عصره" يذكر محيي الدين القليبي أن لعلي الحمامي

"مؤلفات أخرى عجز عن طبعها"، بالإضافة إلى ما كان ينشره من مقالات في الصحف والمجلات، وقد اعتبر عبد المجيد ابن جلون أنه من "السخرية إذا لم تنشر آثاره على الناس."

لقد كان علي الحمامي "من الأفذاذ في التبكير والتدبير والتضحية والمغامرة والإخلاص والانقطاع للمثل الأعلى الذي هو هدفه، ومنار اهتدائه في الحياة "لهذا "كان يكره ألشهرة ويأبى أن يذكر اسمه تحت مقاله، أو تنشر صورته حذو تصريح أو ينعت بمجاهد أو زعيم لقد نقل جثمان علي الحمامي إلى الجزائر ودفن في مقبرة سيدي امحمد في مدينة الجزائر في 1 جافني 1950، وقد شيّعت جنازته جماهير غفيرة يتقدمها الإمام محمد البشير ألإبراهيمي والشيوخ العربي التبسي والعباس بن الحسين وأحمد بوشمال والزعيم فرحات عباس وقد أبّنه الإمام ألإبراهيمي فكان مما قال "إن هذا التابوت الموضوع بين أيديكم لا يحمل جثمان شخصا وإنما قطعة من الوطن الجزائري فُصلت عنه ثم ردّت إليه.. قطعة من الوطن الجزائري فصلها عنه ظلم البشر (يقصد فرنسا) ثم ردّها إليه عدل الله."

كتاب فرانس فانون:

وفي كتاب فرانس فانون تمتزج روح عمار بلخوجة مع المناضل فرانس فانون فهو أي عمار عند حديثه عن فانون يتمثل فيه المقاوم الشهم الذي حمل القضية حملا انسانيا وراح يدافع عن القضية الجزائرية باعتبارها قضية انسانية عادلة إذ اعتبرها قضية الانسان الذي سلبت حريته وحمل على كاهله هذه القضية واعتبرها قضية الانسان ألمعاصر كما أنه يعالج من خلاله أزمة الزنجية والزنوج ومشكلة العنصرية في العالم وجرائم الاستعمار وأحقية الشعوب المستعمرة في متابعة الظالم المستبد وتقديمه للمحاكمة.

فرانز فانون (20 يوليو 1925–6ديسمبر 1961):

طبيب نفسانيّ وفيلسوف اجتماعي من مواليد فور دو فرانس – جزر المارتنيك، عرف بنضاله من أجل الحرية وضد التمييز والعنصرية. خدم خلال الحرب العالمية الثانية في» جيش فرنسا الحرة وحارب ضد النازيين .التحق بالمدرسة الطبية في مدينة ليون، وتخصّص في الطبّ النفسي ثم عمل طبيباً عسكرياً في الجزائر في فترة الاستعمار ألفرنسي عمل رئيساً لقسم الطبّ النفسي في مستشفى البليدة ـ جوانفيل في الجزائر، حيث انخرط مذ ذاك الحين في صفوف جبهة

التحرير الوطني الجزائرية .وعالج ضحايا طرفي الصراع، على الرغم من كونه مواطناً فرنسياً. وفي عام 1955، انضم فرانز فانون كطبيب إلى جبهة التحرير الوطني الجزائرية .(F.L.N) غادر سرّاً إلى تونس، وعمل طبيباً في مشفى منوبة، ومحرراً في صحيفة «المجاهد» الناطقة باسم الجبهة، كما تولى مهمات تنظيمية مباشرة، وأخرى دبلوماسية وعسكرية ذات حساسية فائقة.

وفي 1960 صار سفير الحكومة الجزائرية المؤقتة في غانا .توفي فانون عن عمر يناهز ال36 بمرض سرطان الدم ودفن في مقبرة مقاتلي الحرية الجزائريين.

يعتبر أحد أبرز من كتب عن مناهضة المستعمرين في القرن العشرين. ألهمت كتاباته ومواقفه كثيراً من حركات التحرر في أرجاء العالم، ولعقودٍ عديدة. آمن فرانز فانون بأن مقاومة الاستعمار تتم باستعمال العنف فقط من جهة المقموع، فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.

المتتبع لكتابات عمار بلخوجة يلاحظ أنه اختار مذهبين أساسيين حملهما أحداثه المختلفة وهما المذهب الواقعي والمذهب الانساني واخرجا بهما احداثه من المحلية الى العالمية، فيصبح الانسان عنده معبرا عن انشغالات الانسان الحديث والمعاصر، فعمار يحلل العلاقات بين المتناقضين تحليلا انسانيا فهو عندما يتحدث عن علي معاشي فكأنه يتحدث عن دور الانشاد في بعث الهمم وهذا بالتغني بأمجاد الوطن،بأبطاله،وربوعه ولعل أغنية : "يا ناس أما هو حبي الأوحد " فلم تصبح الجزائر قطرا ينتمي لقارة اسمها افريقيا، أو مجموعة من النواحي،جبال و وهاد و وديان و صحراء بل أصبح وطنا لجميع الثائرين المجاهدين في سبيل حرية الاوطان ونضالهم ضد الاستعمار.

لم تتوقف الكتابة عند عمار بلخوجة في ميدان التاريخ ورصد الاحداث المختلفة التي جرت أثناء الثورة التحريرية أو التراجم لشخصيات محلية أو وطنية أو عالمية فإن عمار بلخوجة كتب في ميدان الفن والفنانين كتابا يعد من أهم المراجع في ميدانه فهو كتاب بعنوان " الفن والفنانين" وقد قسمه الى مجموعة أبواب هي:

- حول الموسيقى
- حول المسرح

- حول الرسم
- حول السينما
- الفن والفنانين من خلال الصور

رصد الكتاب الحركة الفنية في الجزائر من أصحابها، فنهج عمار بلخوجة منهجا قدم فيه الشخصية الفنية ثم طبيعة الفن الذي احترفه هذا الفنان كما قدم خلال مقالته ملاحظاته حول الفنان والفن.

كان عالم عمار بلخوجة عالما رحبا يصول فيه القارئ ويجول قد أوصل هذا العالم صاحبه الى العالمية ويشعر هذا القارئ عند قراءته أن عمار قد لامس خيوط الانسانية وحمل همّ الانسان في حريته وحين سلبه للحرية وقد تجاوز عمار خلال مشواره المحلية والوطنية الى العالمية فأصبحت شخوصه عالمية وحوادثه.

تم الاعتماد في كتابة هذا المقال على:

1- **PAGES DE NOVEMBRE :** 280 pages –récits sur la guerre de libération nationale du 1 novembre 1954 .publié par les soins de la wilaya de Tiaret.
CHRONIQUES DE TIARET : à compte d »autre -1998- textes sur la vie en société illustrés par abdelhaq chaouch (1960-1994).artiste-peintre**.**

2- **MARIE CLAIRE BOYET-LAMARTYRE DE TAGDEMPT :** Ed ANEP 2003-100 pages sympathisante du combat armé de novembre 1954.assassinée par l'armée.
Française le 15 octobre 1957 à Tagdempt (Tiaret).réédité et diffusé par ses du premier ministère

4-**KAID AHMED PORTRAIT D'UN PATRIOTE :** Ed ANEP 2003 -170 conférence donnée en avril 2003 au palais de la culture Alger

5-**BARBARIE COLONIALE EN AFRIQUE** : ED ANEP 2003- 170 pages-crimes collectifs commis par les armées européennes en Afrique de nord et en Afrique noire .réédité par ses les soins du premier ministère.

6-ALI MAACHI-ART ET COMBAT : 2005-200 pages-revu et enrichi-édité par les soins du ministère de la culture.

7-COLONIALISME, LES CRIMES IMPUNIS : 216 pages **–**Ed alpha design- Alger- 2006-crimes collectifs et méfaits commis par la France à zéralda, sidi Ali bounab,
Deshmia, nadrouma, el esnam et Oran de 1942 à 1953.récits suivis d'études sur le colonialisme et le racisme. Réédité en 2013-soutien du ministère de la culture.

8-MOMO LA MAGIE DES MOTS : 240 pages –Ed alpha-2006-Alger-textes et poèmes de himoud (1918-1997), acteur, comédien, poéte, nouvelliste, philosophe, personnages central dans le film « *tahiya ya didou* » de Mohamed zinet**.**

9-L'EMIR ABDELKADER NI SULTAN NI IMAM : Ed alpha-2007-200 pages recueil d'articles de presse sur l'épopée du fondateur du premier état national moderne réédité en version arabe.

10-ALI EL HAMMAMI : du rif à karatchi-l'épée et la plume –Ed ANEP -2007 un patriote et intellectuel précoce qui a combattu toute sa vie pour la liberté de l'Algérie et la dignité de son peuple.

11-MOUVEMENT NATIONAL DES HOMMES ET DES REPERES : Ed alpha-2008300 pages –etudes et biographies sur Mohamed –Cherif sahli ,Moubarak el Mili ben badis,ferhat abbas,messali hadj,emilie busquant (épouse messali), Roland miette …00réédition en 2013 –soutien ONPS .(office des publications scolaires)..

12-LA PLUME CONTRE SABRE-MOHAMED BENSALM LAGHOUATI : 200 pages-Ed lazhari labter 2008. A combattu le colonialisme français, 30 ans durant, en lui opposant une seule arme : la plume.

13-ALI MAACHI-L'HYMNE ASSASSINE : 219 pages- Ed alpha-2009-ouvrage soutenu par le Ministère de la culture..Biographie d'un artiste par l'armée française le 8 juin 1958.

14- MOMO- PAR L'IMAGE ET PAR LE MOT : 165 pages - Ed alpha-ouvrage soutenu par le ministère de la culture .collecte de photos soutenues par des citations et pensées philosophique choisies par l'auteur.

15- la passion de l'autre : recueil de poèmes-ouvrage setenu par le ministère de la culture..200 pages –Ed lazhari labter – Alger 2009…

16-MOMO-LE POETE BENI : 200 pages –Edition el lbriz-Alger-2013-poèmes de himoud brahimi présentés sur une cinquantaine de pages par l'auteur.

17-NOUVELLES CHUTES : –nouvelles et poèmes- 200pages –Ed ENAG-Alger -2013

18-LES ENFUMADES DU DAHRA : les 1000 martyrs des ouled ryah-Ed .el kalima-100 pages –Alger 2011..crime collectif commis par le colonel Pélissier le 19juin 1845.

19-ARTS ET ARTISTES : 250 pages Ed el kalima- Alger 2011, portraits de peintres, comédiens, acteur, cinéastes, chanteurs algériens.

20-HALIM MOKDAD UN REPORTER AU GRAND CŒUR : 160 pages recherche et présentation d'un reportage consacré aux crimes collectifs commis par un sinistre gendarme pendant le combat de novembre et l'exploit d'un commando de L'AIN.

Edition el kalima –Alger -2011.un hommages à l'un des plus grandes journalistes post indépendances.

21-EN EPLANT L'HISTOIRE : 400 pages Edition alpha-2011 préface Kamel bouchama études sur des personnages et des événements du mouvement nationaliste ouvrage soutenu par le ministère de la culture.

22-L'IDENTITE SUPREME : de HIMOUDE BRAHIMI- recherche et présentation de Amar Belkhodja -100 pages – recherche et présentation-Ed el kalima-2013.Tiaret de métaphysique publie ne 1958.

23-TIARET MEMOIRE MIROIR :collection beaux livres ed el kalima2012 Textes consacrés à la ville de Tiaret vies des hommes et histoire des lieux histoire sociale, culturelle et politique de ville de Tiaret vies des hommes et histoire des lieux histoire sociales ,culturelle et politique de la ville de Tiaret .

24-MISERE, CRIMES ET FAMINE EN TEMPS COLONIAUX : 300 pages –Ed El Kalima -2013 soutien ministère de la culture. Famines de 1867 et de 1920 ouvrage soutenu par le ministère de la culture.

25 –GUELMA 45 UN CRIMINEL NOMME ACHIARY : ED EL KALIMA 2013 ouvrage soutenu par le ministère de laculte massacre du 8 mai 1945

26- Tiaret –la révolte urbaine du 8 janvier 1961- 100 pages –Emeutes populaires à Tiaret sougueur, gueltet sidi Saad Abderrahmane contre la présence Française réprimées dans le sang 21 morts Edition alpha Alger 2013 Evénement méconnus.

27-BAYA HOCINE –AU RENDEZ VOUS DE TOUS LES COMBATS : poseuse de bombes dans la guérilla urbaine d'Alger la plus jeune condamnée à mort la féroce et impitoyable répression menée honteusement par le général jacques Massu et ses parachutistes tortionnaires, ouvrage sous presse en arabe et en français aux éditions ENAG.

البيبليوغرافية الذاتية

للصحفي الباحث عمار بلخوجة

رصد أولي

الدكتور عبد الحق شرف، جامعة تيارت الدكتور قدور وهراني، جامعة تلمسان

نسعى من خلال هاته العجالة أن نلملم شتات بعض الأفكار التي راودتنا بين الفينة والأخرى حول السيرة الذاتية للباحث عمار بلخوجة كرصد أولي، متخذين من كتاباته ولقاءاته الصحفية، هدفا لهذا البحث.

والحق يقال: إن الأستاذ عمار بلخوجة أبدع وأجاد وأفاد في الكتابة الصحفية، ثم التأليف في ميدان التاريخ، فقد أوغل فيهما برفق وأناة وصبر واصطبار، مترجما حينا، وناقدا أحيانا أخرى.

فقد كتب وترجم —حفظه الله وأطال في عمره–لشخصيات جزائرية أثرت الحركة الوطنية الجزائرية بنضالاتها. فنجده يعرف بالمغمور منها كالمجاهدة المنسية مسعودة الحرازلية، وأعاد التعريف بالبعض الآخر من وجهة نظر اجتهادية كميصالي الحاج وفرحات عباس.

كما أنه خصص حيزا هاما أبحر من خلاله في عديد المواضيع ذات الصلة بالتاريخ الوطني، وتلك التي اصطبغت بصبغة المحلية أو العالمية.

عمار بلخوجة سيرة حافلة ومسيرة خالدة[1]:

هو عمار بلخوجة الباحث والصحفي؛ رأى النور بتاريخ 16 نوفمبر 1941 بمدينة فرندة. وهو من أصول تلمسانية، حيث هاجر جده من تلمسان إلى تيارت واستقر بها.

وقد عاش عمار حياة اليُتم في سن مبكرة جدا؛ حيث توفي والده وعمار لم يجاوز الثمانية أشهر من ولادته. وكان ذلك سببا كافيا لأن تغادر أمه مدينة فرندة إلى مدينة تيارت. وبهذه الأخيرة تولّى جدّه لأمه السيد تجيني قويدر[2] تربيته. حيث أدخله سنة 1948 إلى المدرسة الفرنسية المعروفة وقتها بمدرسة بيجو[3] للتعلم والاستزادة، ومكث بها مدة ثماني سنوات (من 1948-1956) حصل خلالها على الشهادة الابتدائية.

ويعتبر الأستاذ بلخوجة معلمه السيد آيت عمران محمد[4] الذي كان مدرسا بالمدرسة السالفة الذكر من أهم من تتلمذ لهم، كيف لا وهو الذي زرع في نفسه حب العلم والمعرفة وشجعه تشجيعا كبيرا للخوض في دروب المعرفة.

اشتغل عمار من سنة 1956 إلى 1962 مهنا حرة خاصة في ظل غياب مناصب الشغل القارة. فقد اشتغل في المكتبة، ثم أجرى تربصا في أحد المراكز الفرنسية من أجل تعلم مهنة البناء. وخلال سنة 1959 التحق بالشركة الفرنسية المعروفة باسم بيجو وتعلم خلالها مهنة الضرب على الآلة الراقنة مدة ستة أشهر. وبين سنتي 1959 و1962 اشتغل محاسبا بهاته الشركة إلى غاية رحيل الفرنسيين سنة 1962.

وبعد الاستقلال اشتغل عمار بمصالح المالية بمدينة تيارت، ونظرا لظروف خاصة لم يطل به المقام في مصالح المالية. فخاض غمار التعليم بعد أن اجتاز امتحان "ممرّن" سنة 1964، ثم عضوا فعالا ومؤسسا للمفتشية الأكاديمية بتيارت بين سنتي 64-1965، أين مارس مهامه كإداري بها إلى سنة 1969.

وبعد هذا التاريخ خاض غمار الامتحان من جديد لكن هذه المرة للالتحاق بمركز التكوين الإداري بوهران سنة 1969 والذي مكث به مدة سنتين استطاع خلالها أن ينجح الأول على دفعته.

ويذكر الأستاذ بلخوجة أن هذه الفترة التي قضاها في وهران كانت هي الفترة الذهبية في حياته والتي انتقل فيها من بلخوجة الإداري إلى بلخوجة الصحفي الباحث الناقد، فقد لقّبه أستاذه عبد القادر جغلول بابن خلدون تكريما وتشريفا له.

وبعد المدة التي قضاها في وهران، عاد عمار إلى مدينة تيارت واشتغل رئيسا لمصلحة البطاقة الرمادية ورخص السياقة، إلى غاية 1972 أين سيدخل عمار العالم الذي أحبه كثيرا وهو الصحافة. فقد اشتغل مراسلا باللغة الفرنسية لجريدة المجاهد، وخلالها لاحظ المشرفون على هاته الجريدة القدرات الكبير لعمار في الكتابة الفرنسية وهو ما أهله لأن يظفر بمنصب الصحفي المهني سنة 1976، وهي الوظيفة التي استمر فيها إلى غاية 1999، وتحولت من خلالها حياة عمار الصحفية تحولا جذريا، وهو ما حدا بمديره وقتها محمد عبد الرحمن رحمه الله بالاعتماد عليه كصحفي موهوب لتغطية كل المناسبات الوطنية والتأريخ لها، حتى أصبح لسان حال جريدة المجاهد.

وبعد تقاعده سنة 1996 عكف عمار بلخوجة على التأليف والكتابة، واستمر على هذا النسق إلى يوم الناس هذا، وألّف ما يربو عن الثلاثين مؤلفا، ومن أهمها:

1- ALI MAACHI – ART ET COMBAT : 1990 - 50 pages - à compte d’auteur - Hommage à un grand interprète de la chanson algérienne, assassiné par l’armée française et pendue sur la place publique de Tiaret le 8 juin 1958. Epuisé.

2- L’AFFAIRE HAMDANI ADDA : 170 pages

3- ALI EL HAMMAMI ET LA MONTEE DU NATIONALISME ALGERIEN : 300 pages - Ed Dahleb - Alger - 1991.

4- PAGES DE NOVEMBRE : 280 pages. Publié par les soins de l'association « Machaal - Echahid » et de la Wilaya de Tiaret - juillet 1997. Réédité en 2014 par les éditions Alpha.

5- CHRONIQUES DE TIARET : à compte d'auteur - 1998 - Textes sur la vie en société illustrés par l'artiste peintre Abdelhaq Chaouch.

6- MARIE CLAIRE BOYET - LA MARTYRE DE TAGDEMPT : Ed. ANEP 2003 - 100 pages. Sympathisante du combat armé de novembre 1954. Assassinée par l'armée française le 15 octobre 1957 à Tagdempt (Tiaret).

07- KAID AHMED PORTRAIT D'UN PATRIOTE : Ed. Anep 2003 – conférence donnée en avril 2003 au Palais de la Culture Alger.

08- BARBARIE COLONIALE EN AFRIQUE : Ed. Anep 2003 – 170 pages .Nouvelle édition soutenue par le ministère de la culture en 2015.

09.- ALI MAACHI – ART ET COMBAT – 200 pages. Revu et enrichi – Edité par les soins du Ministère de la Culture en 2005.

10-COLONIALISME, LES CRIMES IMPUNIS : 216 pages – Ed. Alpha Design - Alger -2006. Nouvelle édition soutenue par le ministère de la culture en 2011.

11- MOMO – LA MAGIE DES MOTS : 240 pages – Ed. Alpha - 2006 - Alger.

12-L'EMIR ABDELKADER NI SULTAN NI IMAM : Ed. Alpha - 2007 - 200 pages.

13-ALI EL HAMMAMI : du Rif à Karachi - l'épée et la plume - Ed. ANEP – 2007.

14-MOUVEMENT NATIONAL - DES HOMMES ET DES REPERES : Ed. Alpha – 2008. 300 pages. Réédité avec le soutien du ministère de la culture en 2015.

15-LA PLUME CONTRE SABRE - MOHAMED BENSALEM LAGHOUATI : 200 pages - Ed. Lazhari Labter 2008.

16-ALI MAACHI - L'HYMNE ASSASSINE : 219 pages - Ed. Alpha - 2009.

17-MOMO – PAR L'IMAGE ET PAR LE MOT : 165 pages. 2009. Ed.Alpha.

18-LA PASSION DE L'AUTRE : Recueil de poèmes - ouvrage soutenu par le Ministère de la Culture. – 300 pages – Edition Lazhari abtar – Alger – 2008.

19-MOMO LE POETE BENI: Edition El Ibriz – Alger – 2013 – 200 pages – Poèmes de Himoud Brahimi dit Momo, présentés par Amar Belkhodja sur une cinquantaine de pages. Soutenu par le ministère de la culture.

20-EN EPIANT L'HISTOIRE : Ed-Alpha-2011- Alger 400 pages. Etudes historiques sur l'Emir Abdelkader, Préface de Kamel Bouchama.

21-ARTS ET ARTISTES : Ed. El kalima- Alger. 2011. Etudes sur la musique. Préface Abdelkrim Tazarout. Soutenu par l'ONDA.

22-HALIM MOKDAD –BERROUAGHIA HEROÏQUE ET MARTYRE: Ed. El kalima - Alger- 2011. Crimes français et exploits ALN. Soutenu par l'ONDA.

23-TIARET - MEMOIRE: Ed. El kalima - Alger- 2011. Réédité avec le soutien du ministère de la culture en 2011.

24 -LES ENFUMADES DU DAHRA – LES 1.000 MARTYRS DES OULED RYAH : Ed. El Kalima – Alger - 2011.Réédition en 2014.

25 - NOUVELLES CHUTES – Recueil de poèmes, textes et nouvelles – 200 pages - Ed. ENAG –Alger – 2012.

26- CRIMES, MISERES ET FAMINE EN TEMPS COLONIAUX : 200 pages - Affres de la famine et crimes commis par les colons contre la paysannerie algérienne en 1867 et 1920. Editions Kalima, Alger 2013. Soutenu par le ministère de la culture.

27- GUELMA – UN CRIMINEL NOMME ACHIARY – 200 pages – Documents et témoignages sur les massacres du 8 mai 1945. Soutenu par le ministère de la culture.

28-TIARET – LA REVOLTE URBAINE DU 8 JANVIER 1961 – 100 pages – Emeutes populaires à Tiaret, Sougueur, Gueltet-Sidi-Saad, Sidi Abderrahmane contre la présence française, répprimées dans le sang : 21 morts dont deux femmes. –Editions Alfa – 2013 -

29-AISSAT IDIR et FERHAT HACHED – DEUX SINDICALISTES MARTYRS – Le premier, secrétaire général de l'UGTA, assassiné par les parachutistes français en juillet 1959. Le second, secrétaire général de l'UGTT, assassiné par la Main rouge le 4 décembre 1952 à Tunis. – 206 pages – Edition ANEP – Alger – 2014.Réédition soutenue par le ministère de la culture en 2015.

30-BAYA HOCINE – AU CŒUR DE TOUS LES COMBATS – 220 pages – Poseuse de bombe dans la guérilla urbaine. La plus jeune condamnée à mort p (1957) pendant la féroce et impitoyable répression menée honteusement par le général Jacques Massu et ses parachutistes tortionnaires Ouvrage paru dans les deux versions (arabe et français) aux Edition ENAG. Soutenu par le ministère des Moudjhidine - Alger – 2014.

3**1**- AMAR BELKHODJA- L'ARPENTEUR DE LA MEMOIRE- mémoires présentées par docteur Khadidja Belkhodja- Ed. Alpha- Alger 2015.

الهوامش:

1- كل المعلومات الواردة في هاته الجزئية مستقاة من حوار أجريناه معه رفقة الزميل الدكتور لكحل فيصل يوم الثلاثاء 2017/01/15 على الساعة الثالثة مساء بمقر سكناه الكائن بطريق عين قاسمة تيارت، الجزائر.

2- من رفقاء فرحات عباس. مارس بعد الاستقلال عدة وظائف سامية أهمها مدير ديوان وزير الداخلية سيد أحمد مدغري رحمه الله، ثم أمينا عاما لوزارة الخارجية في عهد الوزير عبد العزيز بوتفليقة. ينظر: عبد الحق شرف ولكحل فيصل، المصدر السابق.

3- موجودة حاليا بحي الأمير عبد القادر (شارع بيجو سابقا) بمدينة تيارت. ينظر: شرف ولكحل، المصدر السابق.

4- شغل بعد الاستقلال منصب مفتش التربية، ثم واليا لولاية الأصنام (الشلف حاليا).

عمار بلخوجة والحفاظ على الذاكرة الوطنية

"قراءة في مؤلف الأمير عبد القادر لا سلطان ولا إمام"

الدكتور لكحل فيصل، جامعة تيارت   الأستاذ قفاف البشير، جامعة تيارت

"كان للأمير عبد القادر الإيمان والعلم الضروريين ليعلن نفسه إماما ولم يفعل.
وكان لديه القوة والقدرة والنفوذ ليعلن نفسه سلطانا، ولم يفعل"، ص136.

مقدمة

يعتبر عمار بلخوجة من بين أشهر الكتاب والصحفيين في مجال الكتابة التاريخية، فهو منذ اشتغاله ككاتب صحفي باللغة الفرنسية في جريدة "المجاهد"، تكونت لديه خبرة علمية ومعرفية بالتاريخ الثوري وبالشخصيات الأساسية التي كان لها دور فاعل في الثورة التحريرية وفي التاريخ الوطني، وقد ألف الكثير من المؤلفات في هذا المجال كلها باللغة الفرنسية أهمها" : علي معاشي النشيد المغتال"، "قضية حمداني عدة"، "علي الحمامي والحركة الوطنية الجزائرية"، "صفحات نوفمبر"، "الإستعمار جرائم دون عقاب"، "مومو الشاعر المبارك"، "صفحات من ذاكرة التاريخ" "الحركة الوطنية الجزائرية أبطال ومعالم"، "علي الحمامي والحركة الوطنية الجزائرية"، "الأمير عبد القادر، لا سلطان ولا إمام [1]، ويبدو أن النسق الذي يوحد مؤلفات عمار بلخوجة على تعددها هو محاولة تفعيل الذاكرة الوطنية والتأريخ لها في سبيل الكشف عن حقائق التاريخ الجزائري وتاريخ الثورة خاصة، لأن هناك –في نظره– الكثير من الحقائق المنسية التي يجب إعادة استذكارها من خلال كتابة سيرة الشخصيات التاريخية، ومن بينها شخصية الأمير عبد القادر التي أفرد لها مؤلفا خاص سماه "الأمير عبد القادر لا سلطان ولا إمام"، والذي هو محور اهتمامنا وتحليلنا في هذا الصدد، والسؤال المطروح: ما هو سر عنوان المؤلف: الأمير عبد القادر (لا سلطان؟) (ولا إمام)؟ وما هو الجديد الذي أراد عمار بلخوجة بيانه في هذا المؤلف مقارنة بالمؤلفات الأخرى التي كتبت عن الأمير عبد القادر؟

إن هناك الكثير من الكتابات التاريخية التي كتبت في تاريخ الجزائر وفي تاريخ شخصيات المقاومة والثورية ولكن فيما يخص شخصية الأمير عبد القادر قلما وجد مؤلف يحاكي الجوانب الشخصية

في حياة الأمير بشيء من التخصيص، يقول واسيني الأعرج في تقدميه للكتاب "بمجرد انغماسي في عمق هذا الكتاب اتضح لي بسرعة أن الكتاب لم يكن كبقية الكتب الأخرى فهو يختلف عنها جذريا، إذ يقترح علينا مقاربة أخرى تضع الأمير في ادعاءات فجة يدعونا عمار بلخوجة الى قراءة واقعنا ونقائصنا ومواجهة سلبياتنا وكل ما تناسته الذاكرة[2] . إن المُؤلف لا يتجه إلى الماضي التاريخي في سرد الأحداث والوقائع وإنما هو يحاول التنقيب في التراث المادي واللاّمادي في شخصية الأمير وفي زمانه الذي عاشه. وهو لا يكتفي بالوقوف عندها وفقط، وإنما يحاول ربطها بالواقع التاريخي الذي نعيشه من خلال إسقاطات تاريخية تبين المزالق والنقائص التي آل إليها واقعنا من خلال عودته إلى الماضي التاريخي وإستعادة الذاكرة المنسية من تاريخنا. يقول واسيني الأعرج "إن كتاب عمار بلخوجة عن الأمير لا يخيب قراءه مطلقا، ببساطته التعليمية وبعمقه أيضا. فقد اختار الكاتب مسلكا تحليليا ارتبط بتحولات الحاضر أكثر من أي شيء آخر. دافعه الأساسي في ذلك هو اعطاء صورة مستحقة للأمير[3] ، ولعل الإضافة التي يمكن أن نلمسها في مؤلف عمار بلخوجة هو أن دفاعه عن شخصية الأمير لا ينطلق من دوافع ذاتية، وإنما نجده دائما يسعى إلى مراعاة الحقائق الموضوعية وهو إذ يسعى إلى تقديم شخصية الأمير في صورته التاريخية اللائقة به فإنه يربط هذا التاريخ بالواقع الحاضر مقتنعا بأن المؤرخ لابد أن يتجاوز حدود الماضي من خلال انفتاحه على الواقع الذي يعيشه.

إن الأمير عبد القادر شخصية تاريخية استثنائية في تاريخ الجزائر قلما تكررت في بالشكل نفسه الذي كانته شخصية الأمير آنذاك[4]، والشاهد أن الأمير منذ مبايعته في شبابه كان يملك صفات الشخصية الوطنية التي قلما كان يتميز بها أبناء جيله، "كان في يوم 27 نوفمبر 1832 وتحت شجرة الدردارة وهي شجرة عريقة في سهل غريس، أن بويع الفتى عبد القادر رئاسة المقاومة ضد الدخول الفرنسي، والذي سبق له أن حاربها مع والده محي الدين، غداة احتلال وهران. فمنذ ذلك التاريخ والقائد الشاب، الذي لم يتجاوز سنه 24 سنة، وهو يقود حربا في جبهات متعددة وبفضل شجاعته وذكائه، حارب مدة 15 سنة جيشا أقوى عشر مرات من حيث العدد وخاصة من حيث العتاد العسكري"[5] ، وكانت سياسته تعتمد على قيم الإرادة والتضحية والمقاومة، وهذا ما أهله لأن يكون قائدا عسكريا وسياسيا محنكا كان له الأثر في بناء وقيادة نظام الدولة الجزائرية الحديثة .

إن شخصية الأمير العلمية أهم وأغني بكثير حسب ما يري بلخوجة من شخصيته العسكرية والسياسية فقد ظل حتى آخر حياته يقرأ ويكتب شغوفا بالعلم والمعرفة مدافعا عن حق التربية والتعليم للجميع، "كان الأمير عبد القادر – وهو الراعي الكبير للكتب وللمخطوطات- أنهى حياته في التأمل والتفكير والتدريس والكتابة. وقد أثرى وهو المريد المتحمس لسيدي عبد القادر الجيلالي ولابن العربي الفكر العالمي والإسلامي بمؤلفات عديدة، ينبغي علينا اكتشافها من جديد وباستمرار [6]، وقد ساهم الأمير بنفسه في إثراء العلم والمعرفة من خلال حرصه على جمع الكتب والمخطوطات في شتى العلوم والمعارف ومن خلال ما كتبه من مخطوطات ومؤلفات.

أما عن الجوانب العسكرية والسياسية فإن الأمير كان رجل حرب وسياسة، حيث بقي حرا طليقا أمام المستعمر الفرنسي الذي كان يطارده أين ما حل وارتحل، "الأمير عبد القادر وهو المجاهد الذي لا يعرف الكلل والملل، بقي حرا يتعذر إمساكه، رغم العدد الهائل من الطوابير العسكرية التي كانت تلاحقه وتتبع أثره ولغاية سنة 1846 ورغم العمليات المنظمة لتحطيم البلاد وتخريبها، لا يزال استسلام عبد القادر لم يكتسب[7] ، وإن دهاءه وحكمته جعلت منه رجل علم وسياسة وحرب لم يعرف الاستسلام ولم يتنازل عن مبادئه وقيمه الأصيلة التي ظل يدعو إليها طوال حياته.

لقد وضع الأمير شروط ومعايير فعالة كان يستند عليها في إدارة شؤون دولته تستند على الحكمة والفطنة، حيث "كانت البنية الاجتماعية-السياسية للمجتمع الجزائري، في عهد الأمير عبد القادر تحتوي مكانزمات بسيطة وفعالة في نفس الوقت، حينما يقتضي الأمر اسناد وظائف سامية الى رجل. وتتلخص هذه الميكانزمات أو بالأحرى هذه المعايير في فكرة واحدة للأمير عبد القادر بنفسه حين يؤكد بقوة وحكمة: "لكي تعرفوا رجلا يجب ألا تبحثوا أبدا عن أصوله. بل ابحثوا في حياته وأفعاله وستعرفون من هو" [8] ، إن اختيار الأمير لرجال الدولة لم يكن على الحسب والنسب والأصل فقط، وإنما على المعايير التي كان يراها في سلوكاتهم وأفعالهم من الاستقامة الأخلاقية والعدالة والصرامة. يدعونا بلخوجة إلى الاستفادة من مدرسة الأمير فيما يخص تسيير شؤون الدولة ورجالها لتفادي ما حصل سنة 1992 من أضرار جسيمة مست كل مؤسسات الدولة الجزائرية مدة أكثر من 10 سنوات، "هذه المدرسة هي بطبيعة الحال، دولة الأمير عبد القادر، التي كان من الممكن أن نستمد منها الأفكار القوية فيما يخص انشاء المؤسسات، وفي اختيار الرجال المكلفين

بتسيير شؤون الدولة وفي التطبيق الصارم للشرعية.كان لنا في مجال الفضائل الأخلاقية في الأمير عبد القادر أنموذجا لا يضاهى أبدا. فرفضنا أن نشابهه. أنظروا إذن حولكم الى الأضرار التي حدثت [9]، يدعونا عمار بلخوجة إلى الإقتداء بشخصية الأمير في تسيير شؤون الدولة والمؤسسات من خلال الالتزام بالقيم والمبادئ الأخلاقية والإنسانية التي كان يتمثلها في شخصه والتي كان يدعو لها من خلال سلوكاته وأفعاله.

يبدو أن عمار بلخوجة لا يكتفي بذكر المناقب التاريخية في شخصية الأمير من خلال سرد الوقائع والأحداث التاريخية، وإنما هو يتبع منهجا تحليليا نقديا لا يخلو من المقارنة والحوار والإقناع وبالتالي "فالمقصد النهائي من ردود عمار بلخوجة هو المحاورة بالأفكار وسبل الإقناع المختلفة من أجل استعادة الصورة النيرة للأمير بالمعنى الرمزي وحتى بالمعنى المادي، إذ يعود الكاتب في نقاشاته الى الوضعية المؤلمة لسنوات التسعين التي شهدت سلسلة اعتداءات متتالية ضد رموز التاريخ الوطني في البلاد منها الاعتداء مثلا على مجسم الأمير في الحراش[10] ، إن التنكيل بالرموز الوطنية من خلال تشويه الشخصيات الوطنية والتجريح في أعمالهم وأفعالهم وتأويل مواقفهم وآرائهم بدون وجه حجة أو دليل أستدعى من عمار بلخوجة الكشف عن الحقيقة التاريخية من خلال دعوته إلى الحفاظ على رموز التاريخ الوطني التي طالها التخريب والإعتداء جراء عدم الإحساس بالمسؤولية التاريخية اتجاهها.

يبين عمار بلخوجة في مؤلفاته الدوافع التي دفعته إلى الكتابة في التاريخ الوطني، وهو شعوره بالمسؤولية الملقاة على عاتقه كصحفي وباحث اتجاه وطنه، ولعل هذا الإحساس راوده من خلال ما لاحظه من أحداث ووقائع خطيرة مست الجزائر ابتداء من التسعينيات، حيث يقول "يوجد لدي كالإحساس بأن بلادنا مستهدفة بأخطر المؤامرات، وحين أقول أخطر، فإني في الواقع لا أقع في غيابات المبالغة. فحينما يطعن في ثقافة شعب وفي تاريخه، فهذا لا يقينا في حيز اللامبالاة، بل بالعكس يرفع من قلقنا الى أعلى درجة، لأن أولئك الذين يجازفون بإيكال أحقر الضربات وأكثرها مذمة للتراث الثقافي والتاريخي، إنما يحاولون – في حقيقة الأمر–إزالة ذاتية المجتمع[11] ، إن الإنسلاخ عن التاريخ وتهميش دور الماضي أمر خطير يفقد المجتمع هويته الثقافية والتاريخية، بل أن

المجتمع يحتاج بإستمرار إلى تفعيل ماضيه التاريخي الذي يحفظ له وجوده وإستمراره الثقافي والحضاري.

يتعجب عمار بلخوجة من النسيان الذي يخيم على الذاكرة الوطنية التي نسيت وتناست شخصية مثل الأمير عبد القادر، يظهر هذا النسيان في عدم وجود يوم وطني للإحتفاء بهذه الشخصية والتذكير بها والتعريف بها لأبناء الجيل الجديد، "يبقى الأمير عبد القادر –وهذا منتهى المفارقة– مجهولا لدى عدد كبير من مواطنيه لا تزال مدينة معسكر تواصل – منذ سنة 1983–في حالة تستر تقريبا– إحياء ذكرى وفاة الأمير عبد القادر– احتفالات جد متواضعة بالرغم من الحماس الذي يطبعه[12] ، إن الإحتفال الذي تقيمه مدينة معسكر في الغرب الجزائري في بساطته وتواضعه ليس حدثا كافيا لإخراج الذاكرة الوطنية من النسيان الذي خيم عليها اتجاه تاريخ الأمير، بل يجب أن يكون الحدث وطنيا تنعكس مظاهره على المستوى الوطني، لأن إنقاذ الذاكرة الوطنية يتطلب بالمقابل وعيا وطنيا مماثلا، والإحتفاء بذكرى وفاة الأمير ليس حدث يرجى لذاته من أجل الإجتماع والاحتفال، وإنما يجب أن يكون له أهداف وغايات علمية سامية تهدف إلى التعريف بشخصية الأمير لأبناء الجيل الجديد وكذا إثراء البحث في شخصية الأمير السياسية والعلمية وإسقاطها على المستجدات التاريخية التي يفرزها التاريخ الوطني في الواقع التاريخي .

إن النسيان التاريخي ليس أمرا طبيعيا أو غريزيا في الإنسان، وإنما هو في أغلب الأحيان نتيجة سياسة معينة تسعى إلى تهميش الدور التاريخي للأمير من أجل تحقيق الأغراض والأهداف السياسية، سواء كانت هذه الأهداف السياسية إيجابية أو سلبية فإنه ليس من حقها أن تنظر إلى التاريخ بمنظور واحد متجاهلة في ذلك الكثير من الأحداث والوقائع والشخصيات التي غيرت مجرى التاريخ الجزائري تغييرا جذريا، مثل الأمير عبد القادر، يقول عمار بلخوجة "إنني أريد أن أتكلم عن هذا المجاهد الباسل عن هذا الشاب قائد الحرب ضد الاستعمار، بغية إنعاش ذاكرة كل الذين يميلون إلى الافتراء وكل الآخرين الذين يجعلون من الإنكار الثقافي طريقة مدهشة للبروز في الحقل السياسي. توجد آلآف الكتب عن حياة الأمير عبد القادر وفكره وليس لي أن أثبت شيئا أو أن أكشف عنه.حقا كل شيء قد قيل ولكن كل شيء معروف بشكل سيء[13] ، يبين عمار بلخوجة الجوانب المجهولة في حياة الأمير والتي لم تذكرها الكثير من المؤلفات، مثل مواقفه وثقافته وسياسته. وأراء

أعدائه وخصومه فيه "كان للأمير عبد القادر وقع كبير، في نفوس المقربين منه وأعدائه، بلغ حد الأسطورة، بفضل شجاعته وشهامته. فمنذ المعركة الأولى عند أبواب مدينة وهران تحت قيادة والده محي الدين تصدى الفتى عبد القادر للمدافع الفرنسية[14] ، إن شخصيته أثرت في الكثير سواء في أنصاره أو خصومه وما زاد في شهرته هو التزامه بقيمه ومبادئه طوال حياته.

إن اهتمام عمار بلخوجة بالأمير عبد القادر كان من منطلق الرد على اولئك الذين شوهوا صورة الأمير في المخيال الإجتماعي الجزائري، إذ يقول "أنا معجب بالأمير عبد القادر وعضو مؤسس في المؤسسة الخاصة بهذا الرجل الشهير، الذي أجاد استعمال السيف والقلم بصفة رائعة. ولهذا أشعر بأنني معني بأن أجيب رشيد بوجدرة الذي تجرأ في رد فعل موروث عن – لست أدري– أي كاتب استعماري فرنسي، على اتهام الأمير بالخيانة[15] ، يرد بلخوجة على رشيد بوجدرة الذي اتهم الأمير بالخيانة والولاء إلى فرنسا بأن هذا موقف الفرنسيين الذين كتبوا تاريخا مضادا في تمجيد فرنسا الاستعمارية ودورها في بلدان العالم الثالث ولكن كان على شخصية علمية –في نظر بلخوجة– مثل شخصية رشيد بوجدرة أن يكون حذرا من الأحكام المسبقة والأفكار الإيديولوجية الغير مؤسسة التي تمس خاصة بالشخصيات الوطنية، يقول ايضا "أنا احترم السيد بوجدرة لإنتاجه الأدبي الغزير؛ ولكن خاب ظني جدا من كاتب مرشح لجائزة نوبل، تفاعل ضد الأمير عبد القادر مع تصورات موروثة عن الإستعمار الذي قاتل بضراوة عدوا عنيدا، والذي استعمل كل الوسائل ليقنع بأن الأمير عبد القادر "بعد أن استسلم صار الصديق الوفي لفرنسا"[16] ، وحسب ما يرى بلخوجة كان يجدر على رشيد بوجدرة أن يتتبع الحقائق التاريخية وأن يبحث عنها من خلال تحري الموضوعية التاريخية وأن لا يقتنع بما يرد إليه من الكتاب والمؤرخين الفرنسيين من أراء ومواقف تحتاج إلى تحقيق وتبيين تاريخي.

يكتب بلخوجة قائلا "والسيد بوجدرة المثقف، يعلم أحسن مني، أنه لا يكفي تحرير القطار من الاستعمار– وهو عمل أنجز بفضل تضحيات بشرية كبيرة – ولكن يجب أيضا تحرير العقل وتطهير التاريخ من التزويرات وغيرها من الإفتراءات"[17] ، إن الاستقلال من الاحتلال الفرنسي لا يكمن في الجانب الجغرافي ولا في الجانب السياسي وفقط، وإنما يحتاج بالقدر نفسه إلى استقلال في الفكر والثقافة والحرية السياسية والاقتصادية، وأهم من ذلك كله لا بد التخلص من الإيديولوجية الثقافية

الإستعمارية التي بقيت مندسة في الأوساط الثقافية تتحين الفرص كي تستيقظ من جديد وبأشكال أكثر خطر على مجتمعنا وعلى منظومتنا التربوية والتعليمية التي ينبغي أن نوصل إليها حقائق التاريخ دون تزوير أو تحريف للحقائق عن مسارها الصحيح.

إن كتابة التاريخ ليست مهمة سهلة يمكن أن يقوم بها أي كان من المثقفين، وإنما هي عملية صعبة تتطلب الكثير من الحرص والالتزام والمسؤولية والحياد والموضوعية، و"يجب الاعتراف بأن هذا العمل مضن قام به بعض المؤرخين الذين أذكر من بينهم، وببالغ السرور السادة المحترمين توفيق المدني، مبارك الميلي، مصطفى لشرف ومحمد شريف سحلي، وانصح بوجدرة أن يركز بجدية أكثر على مؤلفات هذا الكاتب الأخير وسيعلم بالتأكيد أن((تحرير التاريخ من رقبة الاستعمار)) هو عمل يجب أن يتعلق به مثقفونا، عوض أن يدلوا بالتصريحات مثل ما فعله هو ناشر الحيرة والبلبلة طاعنا في ذاكرة مقاومينا الأشاوس[18] ، إن الواجب الوطني يقتضي الالتزام بالمسؤولية التاريخية الملاقاة على عاتق المؤرخين والباحثين في التاريخ الوطني الجزائري.

يرى بلخوجة أنه يجب على المثقفين والمهتمين بالتاريخ أن يتحققوا من الخبر التاريخي وأن يلتزموا الموضوعية قبل أن يقروا بأي أحكام مسبقة قد تعود عليهم بالنقد، وفي قضية اتهام الأمير بالخيانة من طرف بوجدرة وغيره يبين بلخوجة أن هذا الموقف لم يفهم الظروف التي كان يمر بها الأمير آنذاك في توقيفه للحرب مع فرنسا، وأن هذا الأمر لم يكن نتيجة استسلام أو خيانة، وإنما كان من أجل الحفاظ على حياة الشعب من القتل والإبادة الإستعمارية، يقول بلخوجة "سأذكر بأن الأمير عبد القادر لم يستسلم بالمعنى الذي نريد إعطاءه لهذه الكلمة ولكنه قرر توقيف الحرب، لأن شعبه كان معرضا للإبادة التي اقترفها ضده جنرالات دمويون سفاحون، وكما كان الشأن بالنسبة لكل القرارات المتخذة، كان يتشاور مع خلافائه الذين بقوا على قيد الحياة وفقهائه المشرعين، وكان قد تفاوض على إنهاء الحرب مع((لاموريسيير والدوق دومال.))وعوض أن يحترم الفرنسيون ما اتفقوا عليه مع الأمير، سجنوه وحاشيته مدة خمس سنوات، فعن أي خيانة تتحدث يا السيد بوجدرة؟" [19] إن تفاوض الأمير مع الإستعمار الفرنسي لم يكن أمر استسلام، أو تنازل عن حقوق الشعب الجزائري آنذاك[20]، وإنما كان سياسية وجيهة من طرف الأمير لربح الوقت ولإنقاذ شعبه من القتل والإبادة، كما أن الخيانة لم تكن من طرف الأمير لشعبه وإنما كانت خيانة الإستعمار لما اتفق عليه مع الأمير،

"لم يكتفي الفرنسيون بالتنكر للعهد الذي أعطوه للأمير عبد القادر الذي قاوم أعتى جيش في أوربا في ذلك الوقت، فسجنوه مدة خمس سنوات[21] ، ولو أن الأمير خان شعبه لما سجنه الإستعمار ونكل به، يقول بلخوجة "أنصح السيد بوجدرة –هو الذي كان له الحظ أن تعلم عدة لغات – أن تقرأ كتاب ((تحفة الزائر))الذي ألفه محمد السعيد بن الأمير عبد القادر. هذا الكتاب باللغة العربية يحتوي على مجموعة كبيرة من المعلومات حول الحرب التي قادها الأمير عبد القادر ويصف للجاهل في أي ظروف عصيبة اضطر المقاوم أن يفاوض نهاية الحرب[22] ، إن إصدار أحكام جاهزة ومطلقة في ما يخص التاريخ الوطني الجزائري أمر يحتاج إلى مراجعة وتدقيق معرفي وعلمي، بل أن كتابة التاريخ بشكل موضوعي تقتضي من الباحث التزام الحس النقدي السليم الذي يتحرى الموضوعية قبل أن يقدم أبسط يقين.

إن التهم الموجهة للأمير أبعد عن الخيانة التي وصفه بها بوجدرة، بل "راح المزورون يقذفون بدورهم الأمير عبد القادر بكل الإفتراءات وبكل الأكاذيب منها أنه: ((بعدما استسلم صار الصديق الوفي لفرنسا)) وأنه قد يكون انخرط في الماسونية"[23] ، ولا شك أن هذه الاتهامات تحتاج إلى إثباتات تاريخية موضوعية وإلى حجج تكشف عنها، وإلا فإنها تهم باطلة، وما يؤكد بطلانها هو أنها تتنافى مع شخصية الأمير الإجتماعية والسياسية والعلمية، لأن نضال الأمير وكتاباته تتنافى مع هذه التهم جذريا، إذ كيف للأمير أن يخون مبادئه وقيمه وكيف له أن يعلن الوفاء للإستعمار وهو الذي ناضل وجاهد حتى آخر حياته بالسيف والقلم معا.

إن هدف الإستعمار الفرنسي لم يكن التحكم الجغرافي والسياسي في الجزائر وفقط، وإنما كان يهدف إلى محو الهوية الوطنية والتنكيل بمقومات الأمة والمجتمع، من خلال العمل على سلخ المجتمع عن تاريخه ودينه ووطنيته، "لقد واجهت الحركة الوطنية وحرب التحرير المسلحة عملا دنيئا، يرمي إلى تحطيم الشخصية الجزائرية ومحو تاريخها، لقدُ سرق تمثال نصفي للأمير عبد القادر من ساحة صغيرة بالحراش. ومنذ وقت جد قليل سرقت اللوحة التذكارية من نصب للأمير عبد القادر، أقيم بنهج العربي بن مهيدي بالجزائر العاصمة هذا شيء محزن. لقد حاول الاستعمار الفرنسي جهده ليبعدنا عن تاريخنا الوطني بالطعن في شخصية من شخصياتنا الأكثر شهامة ونبلاً. اليوم يتصرف البعض منا بنفس الطريقة هذه المواقف تعتبر – ببساطة– مضادة للأمة"[24] ، إن آثار الإستعمار الثقافية

والسياسية تجلت أكثر بعد الإستقلال من خلال التشكيك في القيم الوطنية وبث الفتنة بين أبناء الوطن الواحد وما زاد في استفحال الأمر هو أن الكثير من أبناء الوطن والأمة ينتهجون الطريق نفسه الذي اتبعه الإستعمار وما ذكره بلخوجة من تنكيل وتحطيم للنصب التذكاري للأمير، ولرموز الثورة الوطنية دليل على أن الإستعمار الفرنسي لا زال يتحكم في وعينا الثقافي والإجتماعي من خلال ما زرعه من فتنة وتزوير.

ليس الهدف من الدعوة إلى كتابة تاريخ الجزائر توثيق المعلومات أو الإشادة بالثورة التحريرية وأبطالها فقط بل أن لها مهمة ووظيفة تربوية وعلمية تنعكس إيجابياتها على مجتمعنا الجزائري المعاصر وعلى فئة الشباب خاصة الذين عليهم أن يتعرفوا على تاريخ أجدادهم لكي لا ينسلخوا عنه، ولكي لا يفقدوا هويتهم التاريخية وبالتالي يصبحو عرضة للزيف والتحريف، بل وإلى الانسلاخ في هويات أخرى تضر بشخصيتهم وبمستقبلهم، "ينبغي الحفاظ مستقبلا على الذاكرة الجماعية، وسد كل الفجوات الخطيرة التي ملأتها من جهة أخرى أقبح الحماقات وأسوءها. إن الغباوة، والجهل، والظلامية، وفقدان الذاكرة السياسية ونكران الشخصية والماضي، واستيراد الألبسة والنظريات الأشد غرابة تشكل بالنسبة لشبابنا شوائب وتمزقا خطيرا[25] ، ينبغي على المؤرخين والمثقفين أن يكونوا على وعي بالتداعيات السلبية الناتجة عن نسيان التاريخ وإهدار ذاكرة المجتمع وثقافته الأصيلة، لأن ما يحصل اليوم في المجتمع الجزائري من مشاكل وأزمات في المجتمع والثقافة والسياسية وغيرها نتيجة غير مباشرة لإهمال التاريخ ونسيانه وعدم تفعيل الذاكرة الوطنية.

إن المتأمل في أراء ومواقف بلخوجة الجريئة يجدها تتفاعل بحماس فائق مع التاريخ الثوري ومع الشخصيات الوطنية التي كان لها أثرها في الحركة الوطنية الثورية وما بعدها، إن الحس التاريخي كان يلهمه في التنقيب عن الحقائق التاريخية، حيث فاق الحس التاريخي عنده المقاربة العلمية الصارمة التي ينتهجها المؤرخون، "هل ينبغي أن نتخذ موقفا محايدا، باسم المقاربة العلمية التي يجب أن تطبق على التاريخ؟ بالتأكيد لا!....إن الباحث الجزائري يجب أن يوجه في عمله اهتمامه بالوصول الى الحقيقة التاريخية والتي يفترض أن تطهر من كل الأخطاء المرتكبة عن وعي أو غير وعي، ومن الأعمال المزورة ومن كل الافتراءات[26] ، إن المؤرخ الجزائري الذي يكتب في تاريخ الجزائر لا يمكنه أن يتخلص من حماسه الوطني ومن بعده التراثي، لأن هذا الحماس هو الذي يلهمه في تحرى الحقائق

من داخل المجتمع والثقافة التي ينتسب إليها، ولا يمكن للمؤرخ أن يثق في ما يرد إليه من ثقافة التاريخ الاستعماري، كما لا يمكن أن تكون مصدرا له في الحكم على الأحداث والوقائع، بل يجب أن يكون الواقع هو مصدره والمواقف والأراء الموضوعية هي هدفه وغايته. إن مهمة المؤرخ والمثقف هي الدفاع عن حقائق تاريخه الوطني وليس التهجم على هذا التاريخ والافتراء على شخصياته، يقول بلخوجة "أما نحن فنرفض أن نتواطأ مع أولائك الذين يجازفون بالافتراء على الأمير عبد القادر. لقد تعافينا من كل العقد والحمد لله، وسنواصل دفاعنا عن ذاكرة رمز عظيم للوحدة الوطنية ولحب الوطن[27] ، لأن مهمة كتابة التاريخ مسؤولية كبيرة تلقى على عاتق الجيل اللاحق الذي ينبغي عليه أن يتحرى الموضوعية وأن لا يقبل بالمواقف المزيفة التي تزور التاريخ وتطعن في شخصياته.

يبدو أن ما استثارة عمار بلخوجة في شخصية الأمير ليس هو الجوانب السياسية أو الدينية أو الوطنية وفقط، بل ما وجده في شخصيته من حب للعلم والمعرفة، "كان الأمير عبد القادر، في الوقت الذي كان يحارب المستعمر بقوة السلاح، يعمل بلا هوادة على ترقية المعرفة والعلوم والثقافة وللقيام بهذا العمل كان مؤلف كتاب "المواقف" ينشئ المدارس في المدن والقرى، ويستخدم في كل مكان معلمين كان يكن لهم الاحترام وتقديرا للعلم الذي كان يمتلكه كل واحد منهم في المادة التي كانت تخصه[28] ، كان الأمير على وعي بما يمكن أن يقدمه العلم والمعرفة للمجتمع الجزائري آنذاك، فعمل بكل جهده على نشر العلم والمدارس والمعلمين ولم تلهه مهامه السياسية وحربه ضد الإستعمار عن هذه الغاية السامية، لأنه وجد في العلم والمعرفة طريقا نحو توعية وتحرير المجتمع الجزائري. بل أن "الأمير عبد القادر الذي كان يحدوه الاهتمام بترقية العلوم والثقافة–قام بإحصاء شامل ودقيق، وبالمحافظة المتيقظة على المخطوطات المودعة في مختلف زوايا البلاد، والتي تبحث خاصة في الطب والتاريخ وعلم الفلك والفقه.وكان البلد يحتوي على كثير من المؤلفات في العديد من المواد. هذه الفكرة الأساسية للتوثيق، حيث حث الأمير على القيام بوضع بطاقيات حقيقية للكتب والمخطوطات في الزوايا مثلما كان، من جهة، يكافئ كل جندي كان يأتيه بمخطوط ويعاقب كل شخص يقوم بإتلاف كتاب أو مخطوط[29] ، فبالإضافة إلى حرصه على ترقية الإنسان والمجتمع من خلال الحفاظ على الموروث العلمي والعمل على توثيقه كانت شخصية الأمير موسوعية حيث أنه جمع ما وصل إليه من العلوم والمعارف في مكتبة خاصة كان يسعى إلى جمعها وترتيبها

وتوثيقها لكي تبقى موروث ثقافي للأجيال التي تأتي بعده من طلبة العلم والمعرفة في مختلف العلوم، "كان الأمير عبد القادر، أثناء تنقلاته العديدة عبر البلاد وفي الشرق الأوسط قبل دخول الفرنسيين جمع ألاف الكتب والمخطوطات. وأودع مكتبته العظيمة بمدينة تاقدمت "قرب تيارت" التي اختارها عاصمة، وحيث كان ينوي تأسيس جامعة، ولكن بكل أسف! بعد تدمير القاعدة المحصنة الرئيسية في شهر مايو 1841 أدمجت المكتبة الكبيرة في الزمالة العاصمة الجديدة المتنقلة للدولة الوطنية التي كانت في حرب ضد مستعمر عازم على تدمير كل شيء[30]، إن سعى الأمير إلى الحفاظ على الكتب والمؤلفات المخطوطة يمثل عملا حضاريا راقيا في ظل تلك الظروف التاريخية الصعبة التي كان يمر بها في حربه ضد المستعمر، ولكن نتيجة سيطرة المستعمر وتدميره وتخريبه لم تستقر مكتبة الأمير في مكان معين، بل أدمجت مع قافلته المتنقلة من مكان إلى آخر خوفا عليها من تدمير المستعمر، وبالفعل "في مايو 1843 أبيدت مكتبة الأمير عبد القادر النفيسة عن أخرها. وقع الجرم أثناء الهجوم المفاجئ على الزمالة في "تاغيت" جنوب قصر الشلالة. لقد تعاطى ضباط الجيش الفرنسي والجنود الى النهب والتدمير. وحينما وصل الأمير الى عين المكان، لم يبق شيئا من العاصمة المتنقلة الشهيرة التي تعذر الى غاية الآن الاستيلاء عليها[31] ، لقد دمر المستعمر كل شيء ولم يحقق الأمير ما كان يطمح إليه من تحقيق جامعة للعلم والمعرفة، لأن التراث العلمي المخطوط والمكتوب الذي كان في مكتبة الأمير دمر عن آخره ولم يصلنا منه شيء واضح الأصل والانتساب.

يفهم هنا أن الإستعمار لم يعمل على تدمير وتشويه إرثنا الثقافي والحضاري فحسب، بل عمل بكل وسعه على تجهيل المجتمع وتكريس ثقافة النسيان اتجاه الشخصيات الوطنية، بل أن تاريخ الأمير عبد القادر طاله هذا النسيان ذاته، إن الإستعمار مارس سياسية التجهيل وحاول محو الذاكرة الوطنية من روحها الوطنية وجعلها عرضة للتلف "واليوم، نحن لا نعرف كمجتمع يعيش في سنة 1993 بعد أن بتر من ماض مجيد إلا بعض العموميات المبهمة عن رجل مشهور، لقد قال ذات يوم محمد حربي وهو مؤرخ جزائري، أن التاريخ صار خادما للسلطة. ولأن ذاكرتنا لم تسجل إلا بعض الذكريات المبهمة عن ملحمة الأمير عبد القادر، فهناك ما يدعو الى التأكيد على أن التاريخ لم يفدنا بما فيه الكفاية، أو فادنا بصفة سيئة حسب ما اقتضته ارادة السلطات[32] ، لا يمكن للسلطة البحث في التاريخ والمحافظة عليه كما لا يمكن أن يكتب تاريخنا غيرنا من المؤرخين

الأجانب الذين لا يملكون الروح الوطنية نفسها التي تجعلهم يبحثون عن الحقائق دون تزوير أو تلبيس، إن المؤرخ والمثقف الحر والمسئول هو الذي ينبغى عليه أن يبحث عن الحقيقة التاريخية دون أن يتأثر أو يبالي بما يقوله عليه غيره، لأن البحث في التاريخ يتطلب إلى جانب الموضوعية التحري بالقيم الأخلاقية السامية التي تجعله يقول الحقيقة في سبيل تحرير التاريخ من الافتراء والتزوير. خارج كل غطاء أو وصاية.

نجد عمار بلخوجة كثيرا ما يتأسف عن مجتمعنا وثقافتنا التي تجاهلت رموزها الوطنية ونكلت بمظاهر تاريخها الحضاري من خلال السعي إلى تحطيم وتدمير الموروث الثقافي والحضاري الذي وصل إلينا، من ذلك أن الخلافات والأطماع السياسية جعلت أمر التاريخ الوطني نسيا منسيا "مقاصد سياسية دنيئة وحقيرة انتشرت وترسخت في عقول جاهلة، اننا نشاهد إذن وبكل أسف مختلف السلوكات التي عوض أن تقدم خدمة للأمة ولوطنها، توجه اليها طعنات من الخلف، هذا يرجعنا الى تقنع الاستعمار وحيله ومكره الذي كان ذمة الأمير عبد القادر تلاحق صانعيه،كما كان "قبيل" يفر من جريمته ووخز الضمير يلاحقه الى الأبد، لأن الاستعمار الفرنسي ارتكب في حق الأمير عبد القادر ابشع الخيانات وأنكر الاكاذيب وأرذل المؤامرات. بالفعل، بعد شهر ديسمبر 1847 أصر السياسيون ومؤرخو الاستعمار على استدامة كل تزوير وغش، للانقاص من شخصية الأمير عبد القادر وإبعاده عن شعبه[33] ، ولكن شخصية الأمير لم تكن في مستوى خيانتهم وقدرتهم على الغش والتزوير، لأنها شخصية أخذت سبل العلم والمعرفة طريقا إلى الإصلاح والخلاص الإجتماعي والسياسي من مكائد الإستعمار وما فعله المؤرخون والساسة الفرنسيين في حق شخصية الأمير يدفع الباحث إلى محاولة تحرى الحقائق وتفنيد أحكامهم وأرائهم المزورة التي توافق هواهم ومعتقداتهم، و"ما كان لمزوري التاريخ أن يقبلوا بوجود رجل في هذا القرن 19، من طينة الأمير عبد القادر رجل نادر رجل كامل، رجل تبين أنه رائد النهضة الإسلامية في اطار التقدم والحداثة رجل ستكون استراتيجيته العسكرية مدرسة لحركة التحرير الكبيرة من الاستعمار في بداية قرننا، رجل ذو فضائل روحية عالية كان هو نفسه مريدا لصوفي عظيم هو ابن العربي[34] ، حيث اجتمعت في شخصية الأمير الخصال السامية من العلم والمعرفة والأخلاق والدين والسياسة وغيرها. وهذا بشهادة العدو قبل الصديق، وما ساعد في بلورة شخصيته هو ما تلقاه من علوم ومعارف كونت في ذاته الحكمة

العلمية والعملية، "ومن الطبيعي أن ينتزع عبد القادر بن محي الدين، بفضل خصاله الأدبية والثقافية الفذة، إعجاب اعداءه أنفسهم ليس فقط خلال المعركة الطويلة التي خاضها بل أكثر أيضا اثناء اعتقاله في فرنسا. قد اكتشف زائروه، الذين كانوا من طبقة اجتماعية وثقافية عالية رجلا مهذبا مثقفا، ظريف مع النساء، متواضعا، فاضلا، قليل النزوع الى الكراهية والانتقام"[35]

يدعونا عمار بلخوجة إلى عدم الثقة في كل ما يكتب حول شخصية الأمير، بل يجب تحري الدقة والالتزام بالموضوعية، وعدم تصديق كل ما ينقل إلينا، لأن هناك الكثير من الأحكام المسبقة والجاهزة التي يسعى البعض من خلالها إلى تشويه شخصية الأمير في أذهاننا دون وجه حق "وسنبقى. دوما لم نوفيه قدره، كل قدره... اللهم إلا إذا قررنا ذات يوم تطهير عقولنا من أحكام مسبقة وارتكاسات بثها فينا كتاب خبثاء لكي ندفن بأيدينا تاريخنا الوطني وفي نفس الوقت شخصا يتمتع بشهرة واسعة تجاوزت أهميته الى أقطار أخرى. وكان لابد من تأسيس مؤسسة تهتم بالتعريف بحياة الأمير عبد القادر وأعماله فأنشئت سنة 1991 مؤسسة الأمير عبد القادر التي عقدت العزم على محاربة الصمت الذي ضرب حول رجل ترك أثرا بالغا في القرن الذي عاش فيه"[36] ، ويرجع الفضل لعمار بلخوجة ومن سانده في فكرة إنشاء هذه المؤسسة، لأنها أول خطوة تسعى إلى الحفاظ على تراث وتاريخ الأمير منذ الاستقلال من خلال الأهداف والغايات التي سطرتها.

وعلى حسب ما يبين بلخوجة الغاية والهدف من تأسيس مؤسسة الأمير عبد القادر، و"من ضمن هذه الأهداف تمسك المؤسسة بالعمل على التعريف بحياة الأمير عبد القادر وعمله والإبداع الفني والإنتاج العلمي. وفي هذا السياق قررت المؤسسة مؤخرا اعطاء خمس منح دراسية وإنشاء جائزة لأحسن بحث، ويبقى من أهدافها الأخرى تأسيس قسم وثائقي خاص بأعمال الأمير عبد القادر وإصدار مجلة دورية ونشر أعمال الأمير الأدبية والعلمية، وجمع أو جرد المخطوطات والأرشيف الخاصة والوطنية والدولية. ويتطلب مثل هذا البرنامج وسائل مهمة وإرادة من طرف هيئات الدولة الرسمية التي يرجع اليها التكفل بتراث ذي طابع وطني[37] ، إن كل الأعمال والجهود التي سعى نحو تحقيقها أعضاء مؤسسة الأمير عبد القادر خطوة إيجابية وغاية علمية وإنسانية سامية في سبيل توثيق تاريخنا الوطني والثوري والتشجيع على الاهتمام بالشخصيات الوطنية الثورية، غير أن هذه المساعي خطوة أولى تحتاج إلى الدعم والمساندة الرسمية من الدولة كما تحتاج إلى التكفل بها من طرف

المؤرخين والمثقفين من أبناء الجيل الجديد، من أجل تحقيق أهداف المؤسسة والحفاظ على إستمرارها التاريخي. يقول بلخوجة "في الوقت الراهن يبذل أعضاء المؤسسة الجهد حسب استطاعتهم للدفاع على سلامة الذاكرة وشخصية الأمير عبد القادر من التزوير والقذف والتدنيس والاستغلال. كما أن المؤسسة لا تفتأ تقترح ترسيم يوم 27 نوفمبر كيوم للمقاومة الشعبية، يحتفل به مثلما يحتفل بالأعياد الأخرى، وهذا كان أمنية المغفور له الأستاذ أمحمد فرحات الرئيس المؤسس لمؤسسة الأمير عبد القادر[38] لكن الاحتفاء بيوم وطني للأمير عبد القادر ليس كاف من أجل إعطاء شخصية الأمير حقها التاريخي الذي يستحق، وإنما يجب تمثل مبادئ وقيم الأمير والتأسيس لها في فكرنا وإيصالها بأمانة لأبناء الجيل اللاحق من الفكر.

لكن "هل حقيقة استرشدنا بعمق الأمير عبد القادر، فيما يخص إحياء الدولة الوطنية؟ بالتأكيد لا. إن بقاء النظم ونشوة السلطة "الحكم" حلا محل بناء دولة قوية لا تزول بزوال الرجال، بل كان يجب أن لا تزول بزوال أطماعهم[39] ، إن الهدف من قيام الدولة الوطنية ليس هو الحفاظ على الحكم أو السلطة في يد أشخاص بعينهم، وإنما هو الحفاظ على نظام الدولة واستمراره بما يخدم الصالح العام للأفراد والمجتمع، إن طغيان المصالح السياسية الضيقة على الصالح العام للدولة تكون نتيجته عدم استقرار النظام وفقدان الدولة لاستقرارها واستمرارها. "كنا قد أدرنا ظهرنا لتعاليم الأمير عبد القادر فصرنا ضحايا غرورنا، بل ضحايا جهلنا واقترفنا اثما بجهلنا للتاريخ[40] ، لأن عدم استقرار واستمرار نظام الدولة الوطنية بالشكل السياسي السليم كان نتيجة تغييب الذاكرة التاريخية وتزييف وتزوير حقائق ووقائع التاريخ.

إن تشويه وتزييف التاريخ لم يقتصر على محو الذاكرة الوطنية، وإنما تعدى إلى تزييف صورة الشخصيات الثورية بصور أخرى غير حقيقية مثلما حصل مع صورة الأمير عبد القادر التي تم استبدالها بصورة أخرى لخائن متعاون مع المستعمر فرنسي اسمه "فرحات بن عامر" كما يبين ذلك مصطفى الأشرف في مؤلفه "أسماء وأماكن، ذاكرة الجزائر المنسية"، يقول بلخوجة عن ما قراءة في هذا المؤلف "وبعد قراءة الكتاب المفيد، تعهدنا الاتصال بالأستاذ مصطفى لشرف للمزيد من المعلومات عن الأماكن التي علقت فيها بالضبط هذه الصور المزيفة (...) لقد كان جد حزين بإعلامنا أن هذه الصور الشهيرة ليست مجرد ثمرة الخيال. ولكنه أكد لنا أن المخزي هو أن الصور

تمثل خائنا، خصما عنيدا للأمير عبد القادر، وهو عون حقير للجيش الاستعماري اسمه فرحات بن عامر. هو هذا الذي بذل قصارى جهده ليقف على أثار زمالة الأمير عبد القادر التي لم يتوصل الجيش الفرنسي الى العثور عليها، وبلغ عنها أسياده في شهر ماي 1843. فبناء على المعلومة التي بلغها الخائن فوجئت الزمالة وأبيدت، يوم 19 مايو 1843، في غياب قائد المقاومة المجيد الحاج عبد القادر بن محي الدين، وفي عام 2000 ها هي صورة خائن تزين المقرات الرسمية للجزائر السيدة، انها علامة الزمن الرديئة [41] ، وفق ما يؤكد بلخوجة ومصطفى الأشرف أن ترويج الصورة المزيفة للأمير عبد القادر في المؤسسات الرسمية أمر ناتج عن غياب الرقابة والمسؤولية التاريخية، إن استذكار المؤسسات الرسمية للدولة تاريخ الأمير عبد القادر هو في حقيقته نسيان له في صورة خائن كان حليفا للمستعمر الفرنسي هو فرحات بن عامر، لأن الغرض من تزييف صورة الأمير هو تغيير التاريخ الوطني الرسمي واستبداله بتاريخ مزيف.

يكشف التاريخ الاستعماري الفرنسي في الجزائر عن الجرائم التي ارتكبها بغير وجه حق وبدون مسؤولية أخلاقية وإنسانية، و"سيأتي يوم يتحتم فيه على أوروبا أن توافق على مراجعة كتابة التاريخ الاستعماري وقراءته، سوف لا يكونون "جنود فرنسا الأمجاد"، ولكن هذا التاريخ هو تاريخ قذر- هو مكتظ بمجرمي الحرب منذ بيجو ومنتانياك الى بيجار وماسو مرورا بقائدهم "ديغول" الذي أمر بتقتيل 45000 جزائري يوم 8 ماي 1945[42] ، ليس كل ما يصل إلينا من التاريخ صحيح، لأن الكثير من الوثائق والسندات والمخطوطات الثورية لازالت في الأرشيف الفرنسي ولم تسلم إلى غاية الآن. كما أن أوروبا المستعمرة زورت وحرفت التاريخ الرسمي لتتستر عن جرائمها أمام الرأي العالمي.

إنه لأمر خطير أن يتداعى الكثير من المثقفين إلى الإستهزاء بتاريخ الثورة وتقزيم الجهود الثورية التي بذلت في سبيل تحرير وإستقلال الجزائر، "البعض منا بما فيه المثقفون، ضحايا عقولهم الضيقة اكتسبوا عادة مستهجنة تتمثل في تقليص ما هو كبير وإنكار ماضي الجزائر المجيد والأخطر أيضا اظهار احتقار ولامبالاة برجال الوطن المشاهير عندئذ لماذا نتساءل كثيرا عما يصيبنا اليوم" [43] إن نسيان الذاكرة الوطنية ليس أمرا طبيعيا وإنما هو نتيجة الأفكار والأراء الهدامة التي تسعى إلى محو ذاكرة المجتمع وإفراغها من مضمونها التاريخي .

إن التعريف بالأمير عبد القادر بالنسبة للجيل الجديد من الشباب يقتضي عدم الإكتفاء بما يكتب حوله أو بما نسمعه في المحاضرات، لأن هذا الأمر وإن كان مهما إلا أنه لا يُعرف بالأمير عبد القادر على نطاق واسع يصل إلى غالبية المجتمع، وما يقترحه بلخوجة هو إخراج فيلم حول الأمير عبد القادر من خلال قوله "أتوجه بصفة خاصة الى السينما الوطنية لأعرب عن قلقي أمام مؤامرة السكوت المفروض على مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة أعني به الأمير عبد القادر بن محي الدين مخاطرة بالتكرار، أقول أنه يجب الاعتراف بأن الكتاب ليس في متناول الجميع. فهو يبقى وقفا على المثقفين مثل ما هو، من جهة أخرى، كتاب التاريخ خاصية للباحثيين وأقلية يدفعها الاهتمام بمعرفة الماضي ورجاله، وخاصة الهروب من الأفكار المسبقة التي تروجها ثقافة الكلمة وتسميم العقول "نظرية "قالوا"، "قالوا لي" "قلنا" "قالوا" المشؤومة"[44] ، إن توثيق التاريخ أمر مهم وهو لا يقتصر فقط على المؤرخين والمثقفين، بل يحتاج إلى تظافر جهود متعددة وإخراج فيلم حول شخصية الأمير يعد سيرا في اتجاه الحفاظ على الذاكرة الوطنية من النسيان، نظرا للأثر الذي يمكن أن يتركه في أذهان شبابنا في علاقتهم بتاريخهم وتراثهم الحضاري."لقد عرض الفرنسيون على الشاشة ألف مرة ومرة "الملحمة الامبريالية" الخاصة بنابيلون بونابرت. وشرف المصريون ذاكرة صلاح الدين الأيوبي بانجاز سينماتوغرافي رائع. نفس الشيء قام به الليبيون الذين كرسوا انجازا فخما للمعركة البطولية ولتضحية المقاوم العظيم عمر المختار[45] ، وانطلاقا من هذا وجب على المسؤولين في بلادنا أن يسعوا في إخراج فيلم سينمائي حول شخصية الأمير عبد القادر حتى تعم الفائدة التاريخية للجميع وحتى تصل شخصيته وحياته ونضاله إلى أغلب فئات المجتمع، "وبما أن الشغل الشاغل هو التأثير في أكبر عدد من شبابنا، يجب إذن التفكير في ايجاد وسائل أخرى للتعميم، والسينما مؤهل تماما لسد فراغ مرعب. ويبدو أن مشروع فيلم الذي اقترحه ابن عمر بختي نفسه لانجازه لم ينجح. الحديث عنه يجري منذ عشر سنوات ولكن –يا إلهي أين يكمن –إذن– العائق؟ أهو مادي أم سياسي؟[46]

يدعو بلخوجة إلى ضرورة الإحساس بالمسؤولية الملقاة على عاتقنا اتجاه تاريخ ظل منسي من شخصية الأمير عبد القادر، وإنتاج فيلم سينمائي من شأنه أن يساهم في التعريف بالأمير على نطاق واسع، ولا يقتصر أمر تغييب الشخصيات الثورية والوطنية على الأمير وفقط، بل "ليس الأمير

عبد القادر وحده الذي دفع ضريبة الصمت. مؤامرة الصمت مست صراحة كل الماضي الذي كان تحت الهيمنة الفرنسية. لم ينجز أبدا فيلم طويل ولا فيلم وثائقي عن لالة فاطمة نسومر، ولا عن الزعاطشة ولا عن بني شقران ولا عن ناصر بن شهرة، ولا عن الشيخ الحداد، ولا عن الأمير خالد ولا عن الحركة الوطنية الجزائرية، ولا عن جرائم الاستعمار التي تحاول الامبراطوريات التي تحمل نفس الاسم أن تمحوها هي الأخرى لمنع الأجيال القادمة من أن تثور بضميرها ضد ماض مخجل[47] ، إن تاريخ الثورة يكاد يكون مغيبا ومنسيا في السينما الجزائرية. التي ينبغي عليها أن تفعل هذا الجانب المنسي من تاريخنا الثوري المجيد.

يدعونا عمار بلخوجة إلى الاستفادة من التاريخ في الواقع الحاضر ومحاولة توظيفه بما يخدم تطلعات المفكرين والمثقفين المهتمين بشؤون المجتمع الجزائري، "والجميل في كتاب عمار بلخوجة هو أنه مؤسس على نظرة برغماتية كبيرة نادرا ما نجدها في الكتابات الجزائرية عن الأمير. مليء بالمعلومات والتفاصيل والمقترحات الممكنة التحقيق ،من أجل استعادة ذاكرة الفاعلين في التاريخ [48]، إن عمل المؤرخ بالمعنى الحقيقي هو تشريح الماضي التاريخي من خلال البحث في الأحداث والوقائع التي يمكنها أن تقدم للإنسان ما ينفعه في حاضره من أجل القدرة على الوجود والاستمرار في التاريخ، لأن المجتمع الذي لا تاريخ له لا يمكن أن يستمر في الحاضر ولا أن يتقدم في أشواط الزمن والتاريخ .

خاتمة

إن التفاتة عمار بلخوجة إلى شخصية الأمير عبد القادر وتاريخه الوطني المجيد يعد من صميم الاهتمام بالتاريخ، واستذكارٌ للجوانب المنسية منه، وما يميز مؤلفه الذي جاء بعنوان "الأمير عبد القادر لا سلطان ولا إمام" عن غيره من المؤلفات التي كتبت عن الأمير عبد القادر هو طريقته المتميزة في عرض الأحداث وربطه بينها بتحليلات متميزة، كما أن المؤلف ركز إهتمامه على شخصية الأمير الأخلاقية والإنسانية التي اعتبرها مدخلا مهما في فهم تاريخه الثوري ضد الإستعمار الفرنسي، "كان للأمير عبد القادر الإيمان والعلم الضروريين ليعلن نفسه إماما ولم يفعل. وكان لديه القوة والقدرة والنفوذ ليعلن نفسه سلطانا، ولم يفعل. كما أنه لم يكن، من جهة أخرى لا اقطاعيا ولا متعصبا. لقد انكب في صخب الحرب وعنفها على تشييد دولة حديثة قائمة على العلم والقيم

الإنسانية وهو قائد مستنير لمجتمع متضامن مع نفسه غير محب للحرب ومتفتح على العالم. ذلك هو مشروع مجتمعه الطموح"[49] ، إن الهدف الذي ابتغاه عمار بلخوجة هو تخليص تاريخ الأمير عبد القادر من التزييف والتزوير ومن الصمت المطبق اتجاه شخصيته الثائرة من خلال ربط الحاضر بالماضي ونقل التاريخ بكل أمانة وموضوعية، وقد كانت مؤسسة الأمير عبد القادر منذ التأسيس لها في عام 1991 تعمل على إحياء التاريخ الثوري للأمير عبد القادر من خلال تعريف الجيل اللاّحق بالجوانب المنسية من حياته والاهتمام بتراثه الفكري والثقافي والإجتماعي والسياسي، ولكن هذه المؤسسة لا يمكن أن تحقق أهدافها وغاياتها ما لم يتحمل السياسيون والمؤرخون والمثقفون المسؤولية الملقاة على عاتقهم اتجاه تاريخهم الوطني.

– **هوامش الدراسة:**

---

[1]- نذكر في ما يلي سيرة لعمار بلخوجة ومؤلفاته على حسب التسلسل الزمني لها في النشر (المصدر على حسب ما يرويه عمار بلخوجة في سيرته الذاتية).

BELKHODJA Amar né le 16 novembre 1941. Réside à Tiaret depuis l'âge de six mois.

* Ancien journaliste au quotidien *El Moudjahid* (1970-1995).
* Membre fondateur, Fondation Emir Abdelkader.
* Ancien membre de la Fondation du 8 Mai 1945.
* Ancien correspondant du Centre National d'Etudes Historiques.
* Initiateur de la journée nationale de l'artiste en hommage au martyr Ali Maâchi assassiné par l'écriture française le 8 juin 1958
* Collabore par l'écriture de textes sur les massacres coloniaux avec le cinéaste photographe Mostefa Abderrahmane, prix Unesco de photographie en 1993.

1-ALI MAACHI – ART ET COMBAT : Epuisé. 1990 .
2-L'AFFAIRE HAMDANI ADDA :. - El Biar - Alger. ENAG - 2013.
3-ALI EL HAMMAMI ET LA MONTEE DU NATIONALISME ALGERIEN : - Ed Dahleb - Alger - 1991.
4-PAGES DE NOVEMBRE : Réédité en 2014 par les éditions Alpha.
5- CHRONIQUES DE TIARET : à compte d'auteur - 1998 .
6- MARIE CLAIRE BOYET - LA MARTYRE DE TAGDEMPT : Ed. ANEP 2003 -
07- KAID AHMED PORTRAIT D'UN PATRIOTE : Ed. Anep 2003
08- BARBARIE COLONIALE EN AFRIQUE : Ed. Anep 2003 –.

09.- **ALI MAACHI – ART ET COMBAT** — Edité par les soins du Ministère de la Culture en 2005.
10-COLONIALISME, LES CRIMES IMPUNIS :– Ed. Alpha Design - Alger - 2006
11- MOMO – LA MAGIE DES MOTS :– Ed. Alpha - 2006
12-L'EMIR ABDELKADER NI SULTAN NI IMAM : Ed. Alpha - 2007 -
13-ALI EL HAMMAMI : du Rif à Karachi - l'épée et la plume - Ed. ANEP – 2007.
14-MOUVEMENT NATIONAL - DES HOMMES ET DES REPERES : Ed. Alpha – 2008.
15-LA PLUME CONTRE SABRE - MOHAMED BENSALEM LAGHOUATI :- Labter 2008
16-ALI MAACHI - L'HYMNE ASSASSINE : - Ed. Alpha - 2009 –
17-MOMO – PAR L'IMAGE ET PAR LE MOT :. 2009. Ed.Alpha -
18-LA PASSION DE L'AUTRE :– Edition Lazhari abtar – Alger – 2008.
19-MOMO LE POETE BENI: Edition El Ibriz – Alger – 2013 –
20-EN EPIANT L HISTOIRE : Ed-Alpha-2011- Alger**.**
21-ARTS ET ARTISTES : Ed. El kalima- Alger. 2011.
22-HALIM MOKDAD – BERROUAGHIA HEROÏQUE ET MARTYRE: Ed. El kalima 2011.
23-TIARET - MEMOIRE - MIROIR : Ed. El kalima - Alger- 2011.
24 -LES ENFUMADES DU DAHRA – LES 1.000 MARTYRS DES OULED RYAH :– Alger - 2011.Réédition en 2014.
25 - NOUVELLES CHUTES –- Ed. ENAG –Alger – 2012
26- CRIMES, MISERES ET FAMINE EN TEMPS COLONIAUX :. Editions Kalima, Alger 2013.
27- GUELMA – UN CRIMINEL NOMME ACHIARY .Soutenu par le ministère de la culture.
28-TIARET – LA REVOLTE URBAINE DU 8 JANVIER 1961 . –Editions Alfa – 2013 -
29-AISSAT IDIR et FERHAT HACHED –par le ministère de la culture en 2015.
30-BAYA HOCINE –. Soutenu par le ministère des Moudjhidine - Alger – 2014.
31- L'ARPENTEUR DE LA MEMOIRE-. Ed. Alpha- Alger 2015.

[2]- عمار بلخوجة، "الأمير عبد القادر، لا سلطان ولا إمام"، ترجمة: حبيب شنيني، تقديم: واسيني الأعرج منشورات ألفا، قصر المعارض الصنوبر البحري، الجزائر، ط1، 2008، ص10.

[3]- المصدر نفسه، ص11.

[4]- في ما يخص حياة الأمير عبد القادر كما يرويها الباحث عمار بلخوجة عن المؤرخ الشهير والمختص في العلوم الإسلامية عبد الحميد بن أشنهو، والذي نوجزه كالتالي ((الأمير عبد القادر بن محي الدين بن المختار الحسني ولد بالقطينة (دائرة معسكر) سنة

1223 الهجرية1808(الميلادية)، كان سنه يبلغ عند احتلال الجزائر من طرف الجيوش الفرنسية 22سنة، حينئذ كان يقود مع والده، في منطقة وهران رجاله لدعم المعركة ضد الغازي، وقد أبدى شجاعة وتفان وإخلاصا، أدت بالشعب إلى مبايعته أميرا يوم 30 رجب 1248 (27 novembre1832 بوادي فروحة قرب مدينة معسكر فنظم السلطة، وأسس الإدارة وجهز الجيش وقام ضد العدو بحرب لا هوادة فيها أحرز خلالها على العديد من الانتصارات وأذاقه مرارة الهزيمة. واصل المعركة بكل شدة وقوة إلى غاية سنة 1264)1847 (بعد أن خاض حربا لمدة 15 سنة تقريبا، سجل خلالها صفحات مجيدة ستبقى إلى الأبد، مثلا تقتدي به أجيالنا القادمة. وبعد أن قاسى من معاناة الأسر، وعانى من سؤ نية العدو الذي نكث عهده نفي إلى دمشق (سوريا) حيث أنجز أعمالا باهرة سجلها التاريخ. ومن هذه الأعمال، حماية الأقليات المسيحية من هجوم دبره الاستعماريون. توفي الأمير في شهر رجب سنة 1300(ماي 1883) تغمده الله برحمته. ونقلت رفاته إلى مقبرة العالية يوم 16 ربيع الأول سنة 1386(5جوليت 1966 .)أنظر: - عمار بلخوجة، "الأمير عبد القادر لا سلطان ولا إمام"، ص32، ص33.

[5]- المصدر نفسه، ص71.

[6]- المصدر نفسه، ص73 .

[7]– المصدر نفسه، ص81.

[8]– المصدر نفسه، ص95.

[9]– المصدر نفسه، ص97.

[10]– المصدر نفسه، ص11.

[11]– المصدر نفسه، ص19.

[12]– المصدر نفسه، ص20 .

[13]– المصدر نفسه، ص21 .

[14]– المصدر نفسه، ص22.

[15]– المصدر نفسه، ص25.

[16]– المصدر نفسه، ص25.

[17]– المصدر نفسه، ص 25.

[18]– المصدر نفسه، ص26.

[19]– المصدر نفسه، ص26.

[20]-نذكر هنا على سبيل المثال ما قاله فريديريك انجليز من فرحته عند إلقاء القبض على الأمير عبد القادر الجزائري، لأن ذلك سيسمح في نظره بمواصلة المهمة الحضارية لفرنسا في هذه البلاد، حيث كتب قائلا "إننا فرحون بإلقاء القبض على القائد العربي الأمير عبد القادر..إن غزو الجزائر عملية مهمة لتقدم الحضارة ..وعلى كل حال البرجوازي المعاصر والحضارة والصناعة والنظام والتنوير الذي يأتي به هو عمل جيد لدولة ومجتمع البرابرة"، ينظر: رابح لونيسي، "البديل الحضاري- دراسة مستقبلية لمواجهة الكارثة التي تهددنا"، دار المعرفة، 1998، ص30.

[21] - عمار بلخوجة، "الأمير عبد القادر لا سلطان ولا إمام"، مصدر سابق، ص30.

[22]- المصدر نفسه، ص26.

[23]– المصدر نفسه، ص30.

[24]– المصدر نفسه، ص31.

[25] - المصدر نفسه، ص32.

[26]- المصدر نفسه، ص38.

[27]- المصدر نفسه، ص61.

[28]-المصدر نفسه، ص62.

[29]– المصدر نفسه، ص62 .

[30]– المصدر نفسه، ص62.

[31]– المصدر نفسه، ص62 .

[32]– المصدر نفسه، ص64 .

[33]– المصدر نفسه، ص66.

[34] - المصدر نفسه، ص69.

[35]– المصدر نفسه، ص136.

[36] - يبين عمار بلخوجة أن مؤسسة الأمير عبد القادر تعمل على تنظيم لقاءات في المستوى الوطني أو الدولي حول حياة وعمل رجل دافع دفاعا مريرا عن وطنه وعن شعبه. وكانت هذه المبادرات مشجعة ولكنها، مع الأسف تبقى محدودة وغير كافية من حيث أنها لا تغطي إلا فضاء ضيقا ولا تبدي اهتماما إلا بنخبة "باحثين وجامعيين" بالفعل إن اغلبية شبابنا لا تسجل اليوم في ذاكرتها إلا بعض العموميات المبهمة عن الرجل ذي الفضائل وعبقرية نادرة، أنظر: – عمار بلخوجة، "الأمير عبد القادر لا سلطان ولا إمام"، مصدر سابق، ص73، ص74.

[37]- المصدر نفسه، ص74.

[38]– المصدر نفسه، ص74.

[39]– المصدر نفسه، ص73.

[40]– المصدر نفسه، ص73 .

[41]– المصدر نفسه، ص94 .

[42]– المصدر نفسه، ص82.

[43]– المصدر نفسه، ص83.

[44]- المصدر نفسه، ص106.

[45]– المصدر نفسه، ص106.

[46]- المصدر نفسه، ص108.

[47]– المصدر نفسه، ص108.

[48]– المصدر نفسه، ص12.

[49]–المصدر نفسه، ص136 .

تاريخ الاستعمار الفرنسي بالجزائر وجرائمه
من خلال كتابات الاستاذ عمار بلخوجة
محارق الظهرة، والاستعمار: الجرائم غير المعاقب عليها، أنموذجا

الدكتور بليل محمد، جامعة تيارت

مقدمة

يعتبر الكاتب الصحف عمار بلخوجة من الرعيل الأول للصحفيين الجزائريين، الذين اهتموا بتاريخ الجزائر خلال الفترة الاستعمارية من خلال مقالاتهم الهادفة إلى كشف أساليب الاستعمار الفرنسي في الجزائر، بالاعتماد على مختلف المصادر التي عايشت تلك الأحداث الأليمة التي تعرض فيا الجزائريون لأنواع مختلفة من الزجر والعنف والإبادة الجماعية وصولا إلى التضييق على العملين السياسي والنقابي للحركات الوطنية والمنخرطين في صفوف النقابات الفرنسية نفسها، كشف عمار بلخوجة من خلال هذه المقالات التاريخية المنشورة في العديد من الجرائد الوطنية خلال فترة الاستقلال و كذا جولاته العديدة لأماكن الجريمة باعتباره صحفيا محققا ومكتشفا لمسرح الجريمة .

ذلك ما سوف نحاول أن نتعرض له من خلال قراءة نقدية لبعض مؤلفاته، والتي اخترنا منها مرجعين هامين تناولا مسار الجريمة الاستعمارية عبر التاريخ الاستعماري الفرنسي في الجزائر وهما:

- محارق الظهرة بمنطقة النقمارية شرق ولاية مستغانم
- الاستعمار، جرائم غير معاقب عليها

ولعلاج إشكالية الجريمة الاستعمارية وانعكاساتها على الجزائريين، مثل ما سردها وحللها الكاتب الصحفي عمار بلخوجة، فقد اعتمدنا على ما قدمه من معلومات أساسية لمقالاته، وحاولنا القيام بمقاربة تاريخية من خلال مقارنة ما ورد في كتاباته من مادة تاريخية بوثائق ودراسات أخرى تدعم ما ذهب إليه عمار بلخوجة في مقالاته العديدة.

1 – طبيعة الاستعمار الفرنسي في الجزائر

إن الاستعمار الفرنسي في الجزائر، دخل إلى الجزائر لتحطيم حضارة شعب قائمة ،رغم ادعاءات المنظرين العسكريين الفرنسيين أمثال بوجو وقادته العسكريين الذين ادعوا أنهم جاءوا للجزائر لنشر الحضارة المسيحية. ذلك أن الوقائع الميدانية أظهرت أن الجيش الإفريقي[1]كان ذو طابع انتقامي منذ تواجده بالجزائر وتميز بصفات غير إنسانية ،تمثلت في مطاردة السكان والقبائل الجزائرية، لذلك دخلت كتائب هذا الجيش في صراع دموي ضد كل كائن متحرك فوق الأرض الجزائرية، رغم أن الجزائريين دافعوا عن أعراضهم وأراضيهم وبسبب ذلك أضحوا تجربة أمام هذا الجيش الذي قام بارتكاب مجازر رهيبة في حق الجزائريين منذ أن وطأت أقدامه أرض الجزائر الطاهرة [2].ليفسر لنا هذا السلوك العدواني أن فرنسا لم تحترم تعهداتها للداي حسين بعدم التزامها بالحفاظ على الخصوصيات الدينية والثقافية للجزائريين وذلك بقيامها مباشرة بعد السيطرة على العاصمة والمدن الساحلية، بتحويل المساجد إلى كنائس أو ثكنات لجيشها والسيطرة على أملاك الوقف بإصدار سلسة من التشريعات التي تبيح لها التصرف بها[3] .

اتضحت معالم اللاستعمار وجرائمه في الجزائر منذ البداية، بأن قرر احتلال الجزائر كلها، خاصة مع مجيء بوجو Bugeaudإلى سدة الحكومة العامة سنة 1841، ليطبق سياسة الأرض المحروقة، ذلك ما تناوله الكاتب الصحفي "عمار بلخوجة في دراساته، موضحا لنا طبيعة الهمجية لهذا العسكري الذي استخدم جميع الوسائل لقهر شعب بأكمله؛ بدءا باتباع سياسة البطش والإبادة ضد مقاومة الأمير عبد القادر وكل القبائل غير الخاضعة لكتائب جيشه الإفريقي4.

بما أن بلخوجة صحفي ميداني، فإنه قام بمجهودات كبيرة، لاكتشاف أماكن الجريمة الاستعمارية في المناطق التي ارتكب فيها الجيش الفرنسي جرائمه من خلال دراسات الفرنسيين التي كتبت عن ذلك، أمثال "سانت أرنو " وكذا "بليسييه "حيث قامت جريدة المونيتار الفرنسية بتتبع أخباره مبرزة دوره في القضاء على القبائل المتمردة وكتاب ومؤرخون آخرون أشادوا بدور هذا الجيش في فرض الانضباط والاستقرار بالجزائر أمثال "أميل فليكس غوتتيه "وجوليان" و"مايسبيرو" وغيرهم، وآخرون حللوا طبيعة الجريمة المنظمة المرتكبة في حق الجزائريين ورصد

خطوات الجيش الافريقي من خلال الوثائق المنشورة من قبل قادة هذا الجيش، أمثال راوول بوسكي في المجلة الإفريقية وريتشارد في دراسة له عن منطقة الظهرة [5].

وتطرقت دراسات لجزائريين معاصرين لمأساة بعض القبائل الجزائرية التي تعرضت للحرق والإبادة خلال القرن التاسع عشر، أمثال مصطفى الأشرف في دراسة له عن طبيعة الاستعمار حول المجتمع والأمة في الجزائر[6]. وكذا بعض الافلام الوثائقية المعاصرة لأحد السنمائيين من مستغانم السيد " عبد الرحمان مصطفى" الذي أعاد بناء ألأحداث التاريخية لمحرقة غار الفراشيح حيث ذكر الكاتب الصحفي عمار بلخوجة أن اكتشف المعالم الجغرافية لهذه المحرقة، كان بمساعدة هذا السينمائي[7] .

ومن هذا المنطلق،فإن "عمار بلخوجة "[8]، استطاع في نظرنا من الإحاطة بجرائم الاستعمار ومعرفة خباياها من خلال اعتماده على وثائق ومقاربتها ببعض الدراسات التي تطرقت لهذا الموضوع وتتبعه مظاهر الجريمة الاستعمارية في العديد من دراساته الميدانية [9].

ويمكننا أن نستخلص أيضا من خلال كتابه حول الاستعمار، جرائم غير معاقب عليها، طبيعة الاستعمار الفرنسي القاسية وغير الاخلاقية في تسيير الشعوب المحتلة وعدم احترام خصوصياتها الحضارية والثقافية ،معتمدا على أسلوب الاخضاع بالقوة وعدم قبول أية معارضة في وجه احتلاله للجزائر، بمعنى أن الاستعمار الفرنسي جاء إلى الجزائر لمحو الشخصية الوطنية منذ الوهلة الأولى للتواجد العسكري الفرنسي بالجزائر مرتكبا جرائم لا يمكن تخيل بشاعتها بحرق قبائل اكملها بالشلف كالصبايحية وقبلها بالبليدة بقبيلة العوفية ثمّ قبيلة أولاد رياح بالنقمارية شرق مستغانم ثم واصل الاستعمار الفرنسي جرائمه التي فضحت وجهه القبيح خلال القرن العشرين، رغم انتهاء المقاومات المسلحة، حيث واجه الشعب الجزائري المسالم والمعبر عن رفضه للاستعمار بواسطة العرائض والاحتجاجات السلمية، فكانت جرائم فرنسا ماثلة للعيان في مايو 1945 ،قبلها وبعدها في جرائم عديدة ضد الجزائريين أحزابا سياسية من خلال البطش بمناضليها وقتلهم وسجنهم دون محاكمات، وهذه الجرائم التي تطرق بلخوجة لعينات منها ،نقلا عن مصادر فرنسية من خلال وثائق أرشيفية ومقالات جرائد استعمارية وجرائد الأحزاب وطنية[10].

2- أهم خصائص الجرائم الاستعمارية من خلال كتابات الصحفي الكاتب عمار بلخوجة

تناول الكاتب الصحفي "بلخوجة" الجريمة الاستعمارية في الجزائر، محللا أساليبها واصفا طبيعتها الاجرامية من خلال العديد من الدراسات، حيث قمنا باستنطاق بعضها وقراءة ما ورد فيها من مادة تاريخية، استطاع من خلالها الباحث من إيصال المادة العلمية إلينا، حيث اخترنا نماذج من دراساته كآلاتي:

أ – تحليل ما ورد في كتابه محارق الظهرة:

Les enfumades Du dahra ,les 1000martyrs des ouled Ryah (19Juin 1845

اعتمد الكاتب عمار بلخوجة كثيرا على حوليات بليسييه دي رينود Pélissier de Raynaud في مجلده الثالث الخاص بما وقع في مغارة أولاد رياح من وجهة نظر العسكريين الفرنسيين[11].واعتمد أيضا على ما ورد في الدراسة الهامة الموثقة والمعتمدة على أرشيف وزارة الحربية الفرنسية لروول بوسكي بالمجلة الأفريقية لسنة 1907، المجلد 51، وسبق لنا أن قمنا بدراسة حول نفس الموضوع عن محرقة غار الفراشيح ،نقلا عن المصادر الفرنسية، خاصة أرشيف وزارة الحربية بفانسان وكذا الجرائد الفرنسية المعاصرة لهذه ألإحداث[12] .حيث ذكرت هذه المصادر الطبيعة الوحشية والانتقامية للماريشال بيجو وقادته العسكريين الذين برروا جرائمهم بطبيعة الحرب التي لا تخضع للقوانين الإنسانية من وجهة نظرهم في الدفاع عن أنفسهم أمام المناقشات البرلمانية وتحقيقات وزير الحرب الفرنسي "سولت Soult "[13].

وحاول الباحث "بلخوجة" مقارنة بين هذه المحرقة ومحارق أخرى، أرتكبها ضباط الجيش الفرنسي المتواجدين تحت إمرة بيجو، خاصة بمنطقة الشلف بالصبيحية في أوت 1844التي ارتكبها الضابط كافينياك Cavaignac وأخرى ارتكبها النقيب سانت أرنو Saint Arnaudبحرق أكثر من 500 جزائري بمنطقة عين مران " رابيليه سابقا بتاريخ 08 أوت 1845.وكان هدف بيجو وقادته العسكريين من هذه المحارق إجبار الأمير على الاستسلام وإخضاع القبائل المتمردة بقوة السيف والبطش وأسلوب الأرض المحروقة.

ولهذه الغاية تباهى بيجو بأفعال ضباطه وأمرهم بالقضاء على كل حركة تمرد مهما كان شكلها وطالبهم باقتداء كافينياك بسحق هؤلاء المتمردين بحرقهم كالثعالب واعتبر بليسييه في رده

على هذه المجزرة بأن جلد طبل لجنودنا أغلى ثمنا في أعيني من جلد هؤلاء البؤساء أو المتمردين من خلال النص ألأتي بلغته الاصلية [14]:

« La Peau d'un de nos Tambours avait plus de prix à mes Yeux que la Peau de tous ces Misérables»

وحسب الكاتب بلخوجة، فإن بليسسيه قام بتبني استراتيجية بيجو وصاحبه كافينياك وغيرهم لإخضاع القبائل الجزائرية، وفي نفس الوقت يصعد بلخوجة مع الزمن ليقارن لما حدث للجزائريين في قالمة وخراطة وسطيف في مايو 1945، مركزا على ميدان المجزرة بإشراف بليسيبه نفسه، عليها من أجل إتمام المجزرة أو الهليكوست على الطبيعة ومنع قبيلة أولاد رياح من الخروج من المغارة وتهديدهم بربع ساعة الأخير، بمعنى أنه أوقف كل عملية تفاوض رغم تدخل قياد المنطقة، لكن بليسيبه أصر على ذلك، وكانت النتيجة حرق واستشهاد أكثر من 1000 جزائري، وبالتالي كانت مأساة حقيقية، حاول من خلالها بليسسه تقديم درس قاس لكل القبائل المتمردة، حيث تعرض بلخوجة إلى ذكر تفاصلها وتداعياتها نقلا من المصادر السابقة الذكر[15] .

وقارن بلخوجة هذه الجرائم بما وقع للمثقفين الفرنسيين المؤيدين للثورة أمثال موريس أودان الذي تعرض للتعذيب من قبل الظابط "شاربونييه " و charbonnierكذا طريقة اغتيل العربي بن مهيدي من قبل قائد المظليين "بول أوساريس " Paul Ausseress[16].

إنها مقاربات متماثلة في طريقة الجريمة ،ولكنها تختلف من حيث البشاعة والحجم، إذ تعتبر محرقة أولاد رياح في نظرنا بداية كشف الوجه الحقيقي لفرنسا الاستعمارية، بينما ما وقع خلال القرن العشرين وخاصة خلال الثورة التحريرية ،جاءت نتيجة طبيعية للأسلوب الاستعماري الذي عرفه الجزائريون،بينما قبيلة أولاد رياح لم تعهد ذلك، بل تفاجأت بحجم هذه المحرقة ولم تتخذ الاحتياط اللازم، وكانت تعتبر لجوئها إلى المغارة أمانا لها، بينما ما وقع من جرائم قد ذكرها بلخوجة فيما بعد كانت معروفة للجزائريين، وبالتالي فتاريخ الجرائم عند الاستعمار الفرنسي أضحى معروفا لدى الجزائريين أكثر من غيرهم لأنهم ألفوه وتيقنوا منه، ذلك ما جاء من مواقف للأحزاب الوطنية خلال مجازر ماي 1945 بدعوتهم،للحذر من المناورات الفرنسية للقضاء على الجزائريين ونشاطهم السياسي . ونعتقد أيضا أن هذه الجرائم سلسلة متصلة ببعضها البعض، لذلك ركز عمار بلخوجة على الطابع الإجرامي للجيش الفرنسي عبر تاريخه الملوث

بالدماء والحرق والإبادة الجماعية [17]، ما نعتبره منهجا واقعيا في ربط ألأحداث فيما بينها، رغم تباعد الزمن بين محرقة غار الفراشيح وجرائم فرنسا خلال الثورة التحريرية .

وأهم مزايا دراسة بلخوجة أنه أرفقها، بلاحق لقصيدة شعرية شعبية "الشعر الملحون "لصاحبها الشيخ خالد موهوبي،تطرق فيها لمحرقة الظهرة ومعاناة سكان قبيلة أولاد رياح ونتائج هذه المجزرة على الحالة النفسية للجزائريين وأوضاعهم الاقتصادية الاجتماعية[18] .

نستخلص في أخر تحليلنا لكتابه الخاص بمحارق الظهرة، أن الكاتب الصحفي عمار بلخوجة، اجتهد كثيرا في وضع مقاربات تاريخية عن مجازر الاستعمار الفرنسي في الجزائر، مبديا صدمته منها؛ والتي خلفت أثارا نفسية عميقة على كل جزائري، قد اطلع على وحشية الجيش الافريقي، وقدم لنا مقاربات أخرى لجرائم فرنسية، قد وقت في نفس العصر مع اختلاف الفاعلين، مثل ما وقع في طاقين بالعاصمة المتنقلة للأمير عبد القادر وجرائم أخرى أتت لاحقا خلال القرن العشرين وأثناء الثورة التحريرية.

ومما لاشك فيه أن جرائم الاستعمار هي نفسها، عبر تاريخه الاستعماري للجزائر وأن أول محرقة وصلت اخبارها للصحافة الفرنسية والأوربية وناقشها البرلمان الفرنسي ووردت في نشرة المناقشات البرلمانية Débats parlementaire في سنة 1845ونقلت تفاصلها جريدة المونيتور الفرنسية وجرائم أخرى وقعت قبلها وبعدها لم تحظ بنفس الانتشار، بسبب تكتم الجيش الاستعماري من نشر أخبارها خوفا من العار، لأن فرنسا كانت تتشدق بالحرية و الديموقراطية!

ب – تحليل كتاب: الاستعمار في الجزائر جرائم غير معاقب عليها

Colonialisme ,les Crimes Impunis , Histoire, ed , Alpha , Alger 3013 ,218 pages

إن هذا المرجع الهام الذي ألفه الكاتب الصحفي عمار بلخوجة، عبارة عن مقالات كتبها بعدة جرائد وطنية خاصة بالمجاهد، معتمدا على نقل حيثيات الجريمة الاستعمارية من مصادرها، ألأصلية كالوثائق الأرشيفية المتواجدة بمصلحة الأرشيف بولاية وهران وسجلات مداولات المجلس العام بوهران ومقالات لمناضلين حزبيين بحركة الانتصار للحريات الديمقراطية وحزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري من خلال جرائد هذه الأحزاب، أمثال الجزائر الحرة والجمهورية الجزائرية وكذا جرائد المعمرين أمثال صدى وهران.

ارتبطت أحداث هذه المقالات بإشكالية التواجد الاستعماري في الجزائر منذ سنة 1830 إلى غاية سنة 1962، وركز الكاتب الصحفي على جرائم الاستعمار الفرنسي خلال القرن العشرين وختم كتابه بدراسة نقدية للاستعمار الفرنسي والعنصرية في الجزائر [19].

ويمكن تصنيف مقالاته حسب محورين كبيرين هما:

- نماذج من جرائم الاستعمار في الجزائر خلال القرن العشرين

-الاستعمار والعنصرية: وهي دراسة معمقة لتقييم نقدي لتواجد الاستعمار في الجزائر وإفريقيا عموما.

ب1_بالنسبة **للمحور ألأول**: تطرق فيه عمار بلخوجة لنماذج من جرائم الاستعمار غير المعاقب عليها بالعمالات الثلاثة الجزائرية: وهران والجزائر وقسنطينة، حيث تشابهت طبيعتها الاجرامية ونفس فاعلها من قوات ألأمن الفرنسية بأوامر حكامها العامين وولاتها وشيوخ بلدياتها، الذين اتبعوا نفس الأسلوب الاستعماري، المتمثل في القتل والسجن التعذيب وإبادة الجزائريين العزل كالآتي:

– **مجزرة زيرلدة**:تمثلت في إبادة جماعية لجزائريين داخل معتقلهم سنة 1942، تابع للبلدية الأوربية باعتقال حوالي 40جزائري، سبق لشيخ البلدية واللجنة ألأمنية لهذه البلدية باحتجازهم، وكانت بلدية زيرلدة منطقة استراتيجية للاستيطان الأوربي، واتبع المجلس البلدي الذي يغلب عليه العنصر ألأوربي، أساليب العنصرية في حق 2000 مسلم جزائري يقطنونها.

وحسب ما ورد عند "عمار بلخوجة"، فإن شيخ بلدية زيرلدة المدعو "دونيس فوكاد Denis Foucade"، قام بتاريخ 01 أوت 1942بعملية صيد ومطاردة الفلاحين الجزائريين من عملهم وتوقيف بعضهم واعتقالهم بمكان لا توجد فيه التهوية ولم يسمح لسكان المنطقة من تحريرهم ،إلى غاية اختناق العديد منهم ؛ولم يكشف عن ملابسات هذه الجريمة، إلا بعد تدخل مناضلين ومنتخبين من أحزاب الحركة الوطنية والتطرق لها في صحافتهم، حيث تم إنقاذ 13 شخص من الموت واكتشاف 25 جثة لهؤلاء الضحايا، وتواطأت الأجهزة ألأمنية مع رئيس هذه البلدية من خلال سكوتها وعدم كتابة تقارير مفصلة عنها[20].

وقد اعتمد " بلجوجة "على مصادر عديدة حول هذا الموضوع، منها :

- مقال لأحد المناضلين الصحفيين المدعو " عبد القادر سفير"بجريدة "إقاليتي" Egalité بتاريخ بتطرقه 16أوت 1946 لحيثيات هذه الجريمة الفظيعة في حق الجزائريين من خلال دعوة شيخ البلدية العنصري الذي استخدم العنف والعنصرية ضد الجزائريين[21] .

- مقال آخر لسفير عبد القادر خلال فترة الاستقلال نشر بالثورة الإفريقية بتاريخ 26 فبراير 1987، تناول فيه أحداث زبرلدة، من حيث الأسباب والنتائج، فشهادة هذا المناضل ذات قيمة تاريخية بإعادة بناء هذه الحادثة التاريخية بعد الاستقلال بناءا على ما سبق له نشره بجرائد الحركة الوطنية ،وأبرز أهمية ما كتبه في جريدة ألإقاليتي التي تحولت فيما بعد إلى جريدة "روبوبليك ألجريان"، وأن بلخوجة أعاد نشر مقاله الذي ينتقده بسبب أنه نقل معلومات عنه من هذه الجريدة دون ذكر إسمه، وهي في نظرنا تواضع الصحفي بلخوجة ومهارته العلمية والمنهجية في نقل المعلومة الموثقة من مصادرها الأصلية[22] .

- جريمة ديشميا(Descmya)ببلاد القبائل بضواحي "سور الغزلان"وكانت هذه الناحية عبارة عن دوار بثلاثة عروش، حسب شهادة شهود قابلهم عمار بلخوجة بعد الاستقلال بتاريخ 08-09-2003، حيث قام هذا الصحفي بقطع مئات الكيلومترات من تيارت نحو ديشميا لمعرفة احداثها التي ذهب ضحيتها ستة جزائريين بتاريخ أفريل 1948 خلال حملة الانتخابات للجمعية الوطنية الجزائرية وهم من عرش بن خوجة ،حيث قام حاكم البلدية المختلطة أومال (سور الغزلان حاليا)بالضغط على السكان للالتحاق بمكاتب الاقتراع لصالح ممثل الإدارة ، وبسبب عملية التزوير التي انتهجها الحاكم العام "مارسيل إدموند نايجلان Marcel Edmond Naegelen " قد انتفض سكان المنطقة ضد السياسة الاستعمارية برفض المشاركة والاشتباك مع قوات ألأمن الفرنسية، حيث استخدمت ضدهم الذخيرة الحية ،مما نتج عنه سقوط ضحايا جزائريين، واعتقال آخرين وفرض غرامات عليهم ومنعهم من حقوقهم السياسية والمدنية،واعتمد الاستاذ بلخوجة على مجموعة من الوثائق ومقالات الجرائد المعاصرة للحدث [23]، منها الجمهورية الجزائرية لسنتي 1948 و1949، واعتبر عمار بلخوجة الحاكم العام نيجلان من خلال أفعاله، أنه كان عدوا للجزائريين وأحزابهم الوطنية [24]. و أرفق مقاله بمجموعة من الملاحق الهامة نقلها

عن جريدة روبوبليك ألجريان،تناولت حقيقة هذه الجريمة في حق جزائريين عبروا بطريقة سلمية عن رفضهم لسياسة تزوير الانتخابات .

– **أحداث دوار سيد علي بوناب بالقبائل الكبرى في أكتوبر 1949**:تعرض سكان هذا الدوار لعملية قمع واسعة، بسبب قيام الدرك الفرنسي بالبحث على أحد الهاربين من العدالة الفرنسية، حيث قامت الفرقة الأمنية الفرنسية بالعبث بالأغراض والأشخاص وحرق مشاتي الجزائريين وماشيتهم، حيث اضطر العديد منهم إلى مغادرة المنطقة ونظرا لعدم تمكن الدرك الفرنسي من قبض الجاني الهارب، استخدموا أساليب انتقامية ضد السكان العزل واستغلال المواطنين ماديا .ورغم احتجاجات أحزاب الحركة الوطنية وعرض القضية على مستوى البرلمان الفرنسي وبالجمعية الجزائرية وبالمجلس العام للجزائر، فإن الجريمة المرتكبة في حق الجزائريين، ظلت بدون عقاب حسب تحليلات الصحفي عمار بلخوجة الذي اعتمد على عدة مصادرة في نقله لأحداث منطقة سيد عل بوناب، وتطرق إلى تجاهل الحكومة العامة لهذه الأحداث من خلال زيارة نايجلان للغرب الجزائري مقدما دعما ماديا ومعنويا لغلاة المستوطنين[25].

– **دراسة عن قمع الحركة العمالية بوهران** :تطرق الباحث في هذا المقال إلى نشاط الحركة النقابية بوهران والقمع الاستعماري المسلط على المناضلين الجزائريين خلال احتفال العمال الجزائريين، المنضوين تحت الكونفدرالية العامة للشغل CGTالمدعومة من قبل الحزب الشيوعي الجزائري وتعاطف مناضلي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية معها بوجود عمال منخرطين ينتمون إليها، بتاريخالأول مايو 1952[26].

وقد اعتمد الباحث في نقله لهذه الأحداث وإعادة تركيبها على جرائد معاصرة للحدث، تمثلت في جريد الجمهورية الجزائرية République Algérienneوكذا جرائد التيار اليساري "أورون روبوبليكان"Oran Républicainالمحلية وجرائد المتربول اليسارية أمثال لوموند Le Mondeوليبارتي Liberté وغيرها، حيث تمثلت وقائع هذه الاحداث بقيام والي عمالة وهران بمنع أنشطة العمال والأحزاب الوطنية خلال ذكرى احتفال العمال لسنة 1952 لدواعي أمنية، ولكن الحقيقة تتمثل في تخوف مسؤولي العمالة من احتجاجات العمال ومطالبهم السياسية والاجتماعية ورفع الغبن عن الجزائريين .

وجاء هذا المنع على خلفية نشاط أعضاء جزائريين في مداولات المجلس العام بوهران، ينتمون للأحزاب الوطنية، تطرقوا إلى مشاكل الجزائريين وحرمانهم من حقوقهم السياسية؛ مما أغضب والي هذه العمالة ليقوم بإصدار هذا القانون التعسفي، الذي يمنع العمال الجزائريين والأوربيين المتعاطفين مع الجزائريين من رفع مطالبهم والتعبير السلمي عن انشغالاتهم اليومية [27].

وهدد والي العمالة العمال المحتجين الأحياء العربية بالطرد والسجن، وهي أساليب مخالفة للعمل الديمقراطي ووقعت الأحداث في هذا اليوم بين قوات الأمن الفرنسية والعمال الجزائريين وممثليهم، وارتبطت هذه الاحتجاجات بمناسبة انتخابات المجلس العام وعملية تزوير الانتخابات، باعتبار أن هذا المجلس بمثابة برلمان محلي يناقش جميع قضايا السكان. واعتمد أيضا الاستاذ عمار بلخوجة في تحليله هذه ألأحداث على ما ورد في مداولات المجلس العام لعمالة وهران وجريدة إيكو دورون اليمينية Echo d'Oran [28] .

– مقال أخر خاص بأحداث ندرومة الدموية في 15 أكتوبر 1953

اندلعت مواجهات بين مناضلين من حركة الانتصار للحريات الديمقراطية وقوات الأمن الفرنسية بسبب قيام هذه الأخيرة باعتقال أحد المناضلين الذي كان يقوم بتوزيع جريدة الحزب، فتم إطلاق النار على المتجمعين المطالبين بإطلاق سراحه، بتاريخ 15 اكتوبر 1953 وإصابة بعضهم.

اعتمد الكاتب الصحفي عمار بلخوجة على ما ورد في مداولات المجلس العام لشهر أكتوبر 1953، التي رافع فيها ممثلي حركة الانتصار عن هؤلاء الضحايا الجزائريين وكذا جرائد "إيكو دورون "و"أورون روبوبليكان "[29]

وفي دراسة لنا حول هذه ألأحداث، اعتمدنا على وثائق أرشيفية خاصة بمراسلات من قبل شرطة الاستعلامات إلى والي عمالة وهران حول هذه الأحداث [30].

ألحق الكاتب مقاله بمجموعة من الملاحق الخاصة بالأحداث نقلا عم جريدة "أورون روبوبليكان" Républicain Oran ووثيقة خاصة باحتجاج حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، بتاريخ نشرت بجريدته ألجيري ليبر Algérie Libre، بتاريخ 26-02-

1954، وهو ما يمثل في نظرنا إحاطة ألأستاذ بهذه ألأحداث وأعاد بناء وتركيب الحادثة التاريخية من خلال اعتماده على الوثائق ألأصلية التي تناولت ألأحداث عن قرب .

ب 2 –المحور الثاني الذي تناوله في مؤلفه الثاني الخاص بالاستعمار، جرائم غير معاقب عليها

اخترنا عينة ثانية في دراستنا الخاصة بالقراءة النقدية لكتابات الصحفي الكاتب "عمار بلخوجة "، تمثلت في قيامه بمقال مطول في أخر كتابه عن دراسة تقييمية للاستعمار الفرنسي بالجزائر منذ الاحتلال إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية ،حيث تتبع الكاتب العديد من ألأحداث التي صنعت الجريمة الاستعمارية في الجزائر، وشكلت أحداثا أليمة تعرض لها الجزائريون، عبر التاريخ الاستعماري الفرنسي ببلادنا .وظلت هذه الجرائم بدون عقاب ولا محاسبة إبان التواجد الفرنسي بالجزائر بسب عدم مبالاة الإدارة الاستعمارية بمشاكل الجزائريين ومطالب ممثليهم بالمجالس المنتخبة واعتبارهم مواطنين من درجة دنيا، وليس الحق في الدفاع عن السكان الجزائريين الذي يمثلونهم، بل أن أصواتا من الفرنسيين اليساريين ،المنضوين في الحزب الشيوعي الجزائري والنقابات الفرنسية والمثقفين المؤيدين لعدالة القضية الجزائرية، لم يسلموا هم الآخرون من الجريمة الاستعمارية، حيث قدم لنا الاستاذ بلخوجة نماذج منها أمثال موريس أودان وغيرهم .

وقد حرر الكاتب هذا المقال بتاريخ شهر مايو 1993، مبينا طبيعة الجريمة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، منبها إلى خطورة نسيانها بالسكوت عنها، لذلك جاء مقاله في هذه الفترة الحساسة التي دخلت فيها الجزائر في أوضاع سياسية معقدة، بسب التراكمات التاريخية والادعاءات الفرنسية بخصوص تاريخ الجزائر. وقد كتب هذا المقال قبل أن يقوم المشرع الفرنسي في يشهر فبراير 2005 بإصدار قانون يمجد فيه الاستعمار في الجزائر، وهي وصمة عار في جبين المشرع الاستعماري؛ الذي دأب منذ الاحتلال الفرنسي إلى اعتبار التواجد الاستعماري بالجزائر إنجازا حضريا، وسبق لنا في حصص إذاعية عديدة بتيارت ومستغانم تحليل الطبيعة الإجرامية للجيش الاستعماري وإدارة الاحتلال في الجزائر وأنجزنا عملا أكاديميا، خاصا بالمؤسسات الاستعمارية حول طبيعة المشرع الاستعماري الذي كان في خدمة الاستعمار الفرنسي في الجزائر [31].

4 –خلاصة تقييمية حول كتابات الكاتب الصحفي عمار بلخوجة

إن ما انجزه الكاتب الصحفي من دراسات عديدة، خاصة في المجال التاريخي، تجعل منه باحث من الرعيل الأول الذي كرس جهوده من أجل اكتشاف الجريمة الاستعمارية، عبر دراسات ميدانية بحث طويل عن الوثائق التاريخية بدور الأرشيف، خاصة أرشيف ولاية وهران وكذا تحري الحقيقة التاريخية من شهود العصر بالتنقيب والحفر عن المادة العلمية من خلال جرائد ذلك العصر ومحاورة بعض الشهود الأحياء، الذين عاصروا تلك الأحداث المؤلمة التي عايشها الجزائريون تحت نير الاستعمار الفرنسي.

وأن ألأحداث التي قمنا بتلخيصها والتعليق عليها من خلال مؤلفين هامين، تطرقا لحقيقة الجرائم الاستعمار المتمثلة في محارق الظهرة، وما أدرك من الحقيقة البشعة ،لهذه الجريمة التي وقعت أمام أعين الجزائريين وكذا عساكر الجيش الإفريقي والتي هزت الرأي العام الفرنسي والأوربي وسجلتها الأقلام النزيهة، واحتفظ لنا الأرشيف الفرنسي نفسه بملابسات هذه الجريمة التي كانت أول هيليكوست على الطبيعة في الفترة المعاصرة؛ قبل أحداث الحربين العالميتين ،وبذلك فالباحث عمار بلخوجة ،تأثر أيما تأثر وهو ينقل هذه الأحداث المريرة ويرحل إلى مكان الجريمة بغار الفراشيح، هذه المنطقة التضاريسية الصعبة المتواجدة بجبال الظهر الغربية، التي كانت موطن قبيلة أولاد رياح بالنقمارية حاليا شرق مستغانم والتي خلدها المخرج السنمائي المستغانمي، بفلم وثائقي سيظل يروي قصة جريمة لا يمكن محوها من التاريخ ووصمة عار في جبين فرنسا الاستعمارية ببلادنا ،وأن عمار بلخوجة خلدها هو ألأخر من خلال قصيدة للشيخ ميهوبي في أخر مؤلفه الخاص بمحارق الظهرة ،تتكون من واحد وسبعون بيتا من الشعر الملحون، إضافة إلى الشعر الذي لازال يحفظه أبناء المنطقة إلى اليوم عن هذه الجريمة ،تروي مأساة شعب بأكمله من خلال هذا النموذج من الجريمة الاستعمارية [32].

والمؤلف الثاني، تناول فيه الكاتب الصحفي مجموعة من المقالات التي تؤرخ للجرائم الاستعمارية في الجزائر خلال القرن العشرين بدراسته لعينات حقيقية ،تعرض من خلالها الجزائريون لأنواع من الضغط السياسي والبطش الجسدي والإعدامات والقتل الجماعي، تعتبر كلها جرائم في حق الإنسانية، ما حاول الباحث إيصاله إلى القارئ ،بأن هذه الجرائم ظلت

بدون عقاب ولا حساب، بسكوت الحقوقيين الفرنسيين والأجهزة القضائية الفرنسية من التحقيق فيها جديا ،بل تمّت محاكمة بعض فاعليها شكليا، سرعان ما تمّ تبرئتهم واعتبرت الإدارة الاستعمارية في الجزائر ممثلة في الحكومة العامة ومختلف أجهزتها أنها في حرب مع الجزائريين .

إن ما تعرض له الباحث بلخوجة من تحليل وعرض ملاحق من مصادرها ألأصلية، تعتبر في نظرنا هامة للكشف عن الحقيقة التاريخية وإعادة بناء أحداثها، لتظهر جليا أمام المطلعين عليها، رغما ما بدا على الباحث من خلط في تركيب الأحداث بالصعود والرجوع مع الزمن في عرضه لهذه الأحداث بمقاربات ما بين ما وقع خلال القرن التاسع وخلال القرن العشرين، يرجع ذلك في نظرنا إلى تحمس الباحث لمعرفة الجريمة الاستعمارية عبر التاريخ الاستعماري كله في الجزائر.

ونستخلص في الاخير من قراءتنا المتواضعة، لبعض كتابات **الكاتب الصحفي عمار** بلخوجة، أنها كانت في صميم البحث العلمي والارتقاء إلى العمل الأكاديمي من خلال التهميش ووضع الإحالات، وهو أسلوب علمي اعتمد على منهجية البحث التاريخي بالاستناد على المصادر الأصلية، قلّما وجدناها في دراسات صحفية خلال فترة الاستقلال، وبالتالي فإن الباحث يستحق المكانة الهامة بين الباحثين في مجال التاريخ قدم لطلبة التاريخ وغيرهم من الباحثين في هذا الميدان، تصوره للجريمة الاستعمارية ،وهي رد صريح على ادعاءات المشرع الفرنسي الذي حاول إيهام الجزائريين ونخبه المثقفة ؛ثقافة فرنسية أنه جاء لصالحهم ،وأن **لباحث** عمار بلخوجة من الرعيل ألأول الحامل للثقافة والأدب الفرنسيين وذو الثقافة المزدوجة ،لم ينسلخ عن جلدته وتاريخ وطنه، وواجه الاستعمار بنفس أسلحته، التي كان يخشاها الاستعمار نفسه من خلال سياسته التعليمية[33] الخجولة التي كانت قوانينها تمنع الجزائريين من مواصلة تعليمهم بالمدارس الفرنسية .

هوامش البحث:

---

1 -Pierre Montagnion, l'Armée de l'Afrique de 1830 à l'Indépendance de l'Algérie, ed , pygmadion 2012 pp15-21

2 - Bugeaud , la Colonisation En Algérie ….

[3]- سفيان شبيرة :"دوافع و تبعات مصادرة الإدارة الاستعمارية الفرنسية للأملاك الوقفية في الجزائر "مجلة علوم الأنسان والمجتمع، تصدر عن جامعة بسكرة، العدد 10 من جوان 2014، صص 213-é23

[4] - Amar Belkhdja , les Enfumades du Dahra …

[5]- ينظر عدة مراجع ودراسات لروول بوسكي بالمجلة الإفريقية وكذا شارل حول الظهرة:

Richard(CH)Etude sur L'Insurrection di Dahra ed,besanvenz Alger 1846 pp13-18-

Busquet (Raoul), « L'Affaire des grottes du Dahra 19 -20 juin 1845 »in Revue Africaine , V51 , année 1907 , OPU, p p ,119-120-

[6]- مصطفى الأشرف، الجزائر، الأمة والمجتمع ،ترجمة الدكتور حنيفي عيسى ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983

[7] -Belkhodja Amar , les Grottes du Dahra …p 9

[8]- صحفي سابق بالمجاهد يقطن مدينة تيارت، كرّس بحوثه حول تاريخ الجزائر، خاصة في الفترة المعاصرة، له كتابات ودراسات حول مناضلين في الحركة الوطنية، أمثال علي الحمامي و صعود الوطنية الجزائرية وأخرى حول جرائم الاستعمار: منها محارق الظهرة والتاريخ الاستعمار، جرائم غير معاقب عليها و أيضا دراسات حول الوحشية الاستعمارية بإفريقيا وشهيد تاقدمت علي معاشي وغيرها من الدراسات الفكرية و الانتربولوجية في مسار تاريخ الجزائر. وهو متقاعد حاليا يساهم في الحركة الثقافية و الفكرية بتيارت وغيرها من المراكز الثقافية الجزائرية و جل كتبه ،حررت باللغة الفرنسية و حسب حديثي معه، بأن أعماله ستترجم إلى اللغة العربية .

[9] --Belkhodja Amar, Colonialisme , les Crimes Impunis ,Histoire , ed, Alpha ,Aler2013, 153-157

[10] - ibid pp 30-46

[11] -E . Pélissier de Reymond ; Les Annales Algériennes , TIII ; pp 167-168

[12]- محمد بليل:" محقة غار الفراشيح باولاد رياح من خلال المصادر الفرنسية " مجلة عصور الجديدة رقم 6 تصدر 2012عن مختبر تاريخ الجزائر، بجامعة وهران.

[13]- ينظر مرجع عمار بلخوجة السابق الذكر: les Enfumages de Dahra , op cit p 43:

[14] -E- Péllissier A « les Grottes du Dahra »in Revue Africaine V 51 , 1907 pp 120 -119

[15] -Amar Belkhodja , les Enfumades du Dahra ; op cit p 64

[16] -ibid p 56

[17] -ibid ,p59

[18]- ينظر القصيدة كاملة في كتاب عمار بلخوجة السابق ذكره عن محارق الظهرة صص 101-110

[19] - Amar Belkhodja , le Colonialisme ; les Crimes Impunis , op cit pp 127-215

[20]- Amar Belkhodja ;El Moudjahid 14 -01-1987,d'après son ouvrage ; colonisation…op cit pp9-13

[21] -Ibid , pp 14-17

[22] -ibid p p 23

[23]- ibid pp 34-35

ويمكن المقارنة بما ورد في دراسات أكاديمية نقلا عن وثائق أرشيفية خاصة بانتخابات الجمعية الجزائرية و المجالس العامة في الجزائر ل : - محمد بليل، المجالس العامة وقضايا ا□زائري□، ج2 دار سنجاق الدين بتدعيم وزارة الثقافة، 2013. - حمري ليلى، ا□معية ا□زائرية و قضايا ا□زائري□، رسالة دكتوراه بإشراف الأستاذ مهديد ابراهيم بجامعة وهران 2015 .

[24]- Amar Belkhodja , colonisation ,op cit pp 44-45

[25] -ibid , pp 82-86

[26] -ibid , pp 98-101

[27] يراجع كتابنا حول المجالس العامة وقضايا ا□زائري□ ج 2، مرجع سابق فصل خاص عن قضايا الجزائريين الخاصة بالعمل النقابي داخل -المجلس العام لوهران.

[28] -Amar Belkhodja , Colonisation… op cit pp 117-126

قارن محمد بليل، المجالس العامة، ج 2، مرجع سابق.

[29] - Amar Belkhodja , Colonisation… op cit pp 132-133

[30] -Archives Nationale D'Outre Mer (AOM) ; b, N° 81F/878,les Incidents en Algérie Rapport du procureur général d'Alger au Ministre de la Justice et les gardes de seaux , Cf, Conseil .Général .département d'Oran , séance 16/10/1953, pp 154 – 157.

[31]- ينظر كتابنا حول: تشريعات الاستعمار الفرنسي في الجزائر، القطاع الوهراني نموذج 18881-1914 وانعكاساتها على ا□زائري□، دار سنجيق الدين بتدعيم وزارة الثقافة ا□زائرية ا□زائر 2013(مدخل الدراسة حول إشكالية التشريعات الاستعمارية في ا□زائر)

[32]- Amar Belkhodja, les Enfumades …op cit pp103-110

[33]- انظر مقالنا حول السياسة التعليمية الفرنسية ما ب□ 1945 -1954 والتي تعكس تخوف الإدارة الاستعمارية من ا□ثقف□ ثقافة فرنسية، حيث لعبت النخبة المثقفة دورا بارزا في النهضة و النشاط الحزبي وكانت المؤطر للثورة التحريرية أمثال فرحات عباس الذي كان أول رئيس حكومة جزائرية مؤقتة وكذا مشايخ وعلماء ا□زائر إضافة للمناضل□ ا□زبي□ والنقابي□ : محمد بليل :"السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر 1945-1954"مجلة الخلدونية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 7، 2015 تصدر عن كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية بجامعة تيارت .

67

أحداث وعبر قراءة في كتاب:

"صفحات من ذاكرة التاريخ" لمؤلفه عمار بلخوجة

الأستاذ رمضاني حسين، جامعة تيارت

مقدمة

إن إثراء المكتبة الوطنية بالمؤلفات والدراسات التاريخية التي تمجد أرواح شهدائنا الأبرار، منذ أن وطئت أقدام الفرنسين المستعمرين سنة 1830، ومحاولة إذكاء الروح الوطنية بين فئات الشعب الجزائري، هو الواجب الأول والأخير الذي ينبغي أن يحمله الشباب الجزائري على كاهله، ويولي له أهمية كبرى في ظل تكالب الأعداء على هذا البلد الأمين. لأن التاريخ هو الذي يضمن للأمم بقائها واستمرارها. والأستاذ عمار بلخوجة هو كاتب صحفي ومؤرخ، استطاع أن يحمل هذه المهمة النبيلة ، بهدف احياء الروح الوطنية في الشباب الجزائري، ولهذا تجده يتناول العديد من المواضيع التي لها علاقة بتاريخ الثورة الجزائرية، وحتى المواضيع التي ترتبط بالفترة التي تلت مرحلة الاستقلال، وربما يعود ذلك لمهنيته الصحفية و التي قاربت ما يتراوح 40 سنة من العمل الصحفي.

لقد كتب الأستاذ كمال بوشامة في تقديم لمؤلف (صفحات من ذاكرة التاريخ) مفصحا "عمار بلخوجة الباحث والصحفي – الكاتب، يعمل إذن، باستمرار، حاملا هما بديهيا دائما، يتمثل في تخليص الجزائري من براثن التضليل الإعلامي في شأن أصولنا، وكفاحنا وثقافتنا. فهو يصارح نفسه، بإصرار، في كل (شروع في تصوير أولى المشاهد) – يفهم من هنا في بداية كل انجاز – متسائلا: ألا يجدر بنا تسليط كل الأضواء على أحداث وحوادث مجهولة من طرف الأجيال الجديدة؟ وهذا يجبره بالطبع على الوفاء للحقيقة التاريخية، لكي يتمكن كل واحد من التعرف على مكانته، واعادة بناء العالم المبهر، بل والمثير، الذي تقلب فيه الماضي الذي يعيد رسمه بذلك الحرص الذي يميز (الفضولي) المتمادي على التنقيب في الأرشيف ..." [1].

ثم يواصل الأستاذ بوشامة: "لأن التاريخ حاضر دوما عند عمار بلخوجة" [2]. فإذا كان التاريخ علماً في تحريه الحقيقة والعمل على تسليط الأضواء عليها وتقديمها كما هي، فإن الباحث في هذا العلم، مطالب، إضافة إلى تمكنه من العلوم الموصلة، بإعطاء قيمة بالغة الأهمية للأصول التي هي صلته الوحيدة بالموضوع المزمع دراسته والتي هي جميع الآثار التي خلفتها عقول السلف أو أيديهم، وإذا ضاعت ضاع التاريخ معها وفقاً لنص القاعدة العامة.

ينوه الأستاذ بوشامة إلى ملاحظة مهمة بخصوص أهمية معرفة التاريخ الجزائري بالنسبة إلى شبابنا المعاصر: "من المؤسف أننا لم ندرسهم تاريخنا- أن يعلموا بأن فرنسا الاستعمارية، كما أوضح الكاتب بعناية، لم تكن جديرة بأي استحقاق حين نقضت عهدها، لأنها داست واغتصبت، غداة استسلام الداي حسين، المادة (04) من المعاهدة الموقع عليها من قبل الجنرال دو برمون. بالطبع، فقد كانت تتوق، استراتيجيا، إلى تحقيق هدف واحد ووحيد، آلا وهو ختم التاريخ، تاريخنا المجيد ..." [3].

لقد اقترف أول نقض للعهد، استخفافا بالمعاهدة وبحقوق سكان مدينة الجزائر على حد تعبير المؤرخ عمار بلخوجة[4]. فالأهداف المسطرة من طرف الدولة الاستعمارية لم تكن تسعى لتأديب الداي إثر حادثة المروحة كما هو مزعوم تاريخيا، ذلك أن الحشد الكبير الذي جلب مع الحملة العسكرية من غير المقاتلين كان يحمل في طياته عدة غايات تشير إلى رغبة هذا المحتل البقاء إلى الأبد في هذا البلد الذي ضم طوبوغرافيا إلى فرنسا، عبر إدعاء واهن جعل الواجهة البحرية لجنوب البحر الأبيض المتوسط تابعة لفرنسا.

لقد جلب الفرنسيون المحتلون معهم عتادهم الحربي وأفكارهم العنصرية، ليسودوا في بلاد لم تكن لهم إطلاقا غير أنهم استباحوا حرمتها من خلال إفراد جملة من المشاريع الإجتماعية والإقتصادية تكفل بها عملائها، من لأجل فهم عادات وتقاليد المجتمع الجزائري، يقول المؤرخ أبو القاسم سعد الله: "إن الحملة الفرنسية على الجزائر قد وقعت بعد ثلاثين سنة من الحملة الفرنسية على مصر، وهي الحملة التي تركت بصماتها على الشرق وجعلت الاستشراق الفرنسي ينشط في تحقيق ما عجز عليه الجيش. وسنرى أن الفرنسيين استفادوا في الجزائر من تجربتهم في مصر من عدة نواح، وخصوصا فيما يتعلق باللغة العربية"[5].

ولعل تاريخ الإستشراق خير دليل على هذه المسألة. فقد ورد في موسوعة المستشرقين للمفكر عبد الرحمن بدوي العديد من الأمثلة التي تنساق في هذ المنوال، حيث يمكننا أن نزكي ما ذهب إليه الأستاذ بلخوجة في إفراده لهذا العدد الكبير من الرجال غير المقاتلين الذين وفدوا مع السفاح دوبرمون *.

نذكر على سبيل المثال الدراسات التي أفردت للدراسة البني الإجتماعية للجزائريين، ترجمة لكتاب: (تاريخ بني زيان، ملوك تلمسان) من تأليف الإمام سيدي أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي، من طرف المستشرق الفرنسي بارجس (1810 – 1896)، (Abbé Jean – Joseph Bargas). ثن أتبع هذه الترجمة بأخرى لأبي بكر التواتي بعنوان: (الصحراء الكبرى و السودان) وقد صدر في باريس سنة 1853 [6].

وهناك مستشرق آخر هو لويس جاك برنييه (Louis Jacques Bresnier) (1814 – 1869).الذي عمد إلى تولي مهمة تدريس الفرنسيين اللغة العربية في الجزائر عام 1836، حيث كوّن مجموعة من المترجمين الفرنسين الذين يحسنون اللغة العربية، وعمل هؤلاء في خدمة الإدراة الفرنسية الحاكمة في الجزائر، ويذكر بدوي أن من مؤلفات هذا المستشرق (مختارات عربية أولية) (Anthologie Arabe élémentaire) ألفه عام (1852)، ومرجع آخر بعنوان: (دروس عملية ونظرية في اللغة العربية) (Cours Pratique)، أنجزه في الجزائر عام (1855م) [7].

أما من المستشرقين الفرنسيين الذين ولدو بالجزائر، وساهموا في ترسيخ الهوية الفرنسية بكل تبجح، فمنهم جوتييه، وهو جغرافي ومؤرخ اهتم بدراسة جغرافية المغرب. فكان له من المؤلفات: (غزو الصحراء الكبرى: بحث في علم النفس السياسي) صدر في باريس عام 1910، وكتاب (الجزائر وفرنسا) صدر عام 1920 وكتاب: (الصحراء الجزائرية) بالاشتراك مع روبرت شودو (R. Chudeau). ومنهم كذلك ليون جوتييه(1862 - 1949) الذي ولد في سطيف (بمحافظة قسنطينة) في 18 جانفي 1862، والذي تلقى تعليمه في ثانوية الجزائر ثم التحق بالمدرسة العليا للآداب في المدينة نفسها، والتي سيدرس فيها فيما بعد

الى جانب لومتر (Joules Lemaiter)، وموريس فاي (Waille) الذي قام بحفائر مهمة عن الآثار الرومانية في الجزائر [8].

أما جوستاف دوجا (1824 – 1894) فقد كان من المستشرقين الذين حاولوا ترجمة كتاب الأمير عبد القادر الجزائري، بهدف معرفة هذه الشخصية الفذة في تاريخ المقاومة الجزائرية، إذ شكلت شخصية هذا الأخير مصدر قلق من طرف المستعمر طيلة سبعة عشر سنة [9]. فهذه الشخصية التي سيكون لها دور تاريخي مهم في بناء القواعد الأساسية للدولة الجزائرية، حيث يضع الأستاذ عمار بلخوجة في كتابه أول صفحة من صفحات التاريخ الجزائري شخصية الأمير عبد القادر، كمقدمة أو تاريخا للملحمة حيث حدثنا عن أولى انتصاراته العسكرية والدبلوماسية في فترة قصيرة أين استطاع أن يلحق بالجنرال ديميشال هزيمة نكراء عام (1833)، مما مكنه من فرض أول ميثاق موقع عليه من طرف الفرنسيين الراضخين لشروطه الدبلوماسية، وقد كان ذلك في يوم 26 فيفري 1834. ليبسط بعد ذلك حسب المؤلف نفوذه على كل المقاطعة الوهرانية التي تمتد من سهل الشلف الى غاية الحدود المغربية [10].

ويواصل المؤلف تأريخه لملحمة الامير معربا عن شجاعته وبسالته في جميع المعارك التي خاضها، كما نوه بالحنكة الحربية و السايسية التي كان يقودها ضد فرنسا الاستعمارية وعملائها الجبناء. فقد أخضع بموجب المعاهدة الكثير من العائلات الإقطاعية التي وضعت نفسها في خدمة المحتل، تعلق الأمر كما يقول عمار بـ: "مصطفى بن سماعيل، وابن عمه المزاري، وبالغمري، بقدور بن مخفي، العريبي، في الغرب الوهراني، وتعلق الأمر أيضا ، بآل فرحات بن سعيد، بن غانا في منطقة بسكرة، وبن فرحات في منطقة ثنية الحد"[11].

هذه صفحة من صفحات الخيانة التي مرت بها الجزائر الأبية، إذ كانت المؤمرات التي حيكت حول مقاومة الأمير عبد القادر، كثيرة ومتكررة مما أدى في سنة 1841 إلى تحطيم المواقع المحصنة للأمير الجزائري (تازا بوغار تاقدمت، سعيدة، معسكر)، غير أن الفرنسيين على حد تعبير عمار بلخوجة، لم يتمكنوا أبدا من الاستلاء على مدنه سليمة صحيحة، إذ سيفرغها من عتادها، ويتركها لهم نصف محروقة [12].

ورغم أن الأستاذ يشير إلى أن سياسة الأرض المحروقة التي طبقها الجنرالات الفرنسيون في عهد الأمير عبد القادر، بقيت هذه السياسة متواصلة إلى غاية 1954، فقد أسست باريس لإرهاب دولة بحق، يقول بلخوجة:"سنجده لاحقا أثناء حرب التحرير في نوفمبر 1954، المفارقة أرادت أن هذه الحضارة التي كانت تزرع الموت والرعب مجدت أمثال بيجو، سان أرنو، بيجار، ماسو، ودوغول " [13]. وربما لا يفوتنا ها هنا ما أشار إليه الدكتور كمال بوشامة من أن الوجود التركي هو ما أنتج لنا الشعور بقابلية الاستعمار التي تعتبر في الحقيقة تبريرا للعدوان، وإنما الاستعمار الفرنسي في الجزائر هو في الأساس جريمة ضد الإنسانية.

ولئن كنا قدمنا لكتاب الأستاذ عمار بلخوجة، من خلال التعرض لشخصية الأمير عبد القادر، فإننا لا نستثني إعجابنا بما قدمه من شخصيات وطنية كان لها الدور البارز في بعث الحركة الوطنية، وذلك منذ مطلع القرن العشرين، حيث أشاد بأهمية الدور الذي لعبه كل من الامير خالد حفيد الامير عبد القادر، إلى جانب تلك الرؤية الشمولية التي أولاها لكل من أحمد توفيق مدني الوطني التونسي، والأمير شكيب أرسلان (1869 – 1946)*، الذي اقترن اسمه باعمال نجم شمال إفريقيا وأوروبا على العموم، وما قيل عن علاقته بمصالي الحاج زعيم النجم ثم حزب الشعب، وعن علاقته أيضا بالشيخ عبد الحميد بن باديس وعن مراسلاته مع الشيخ الطيب العقبي باعث الفكر الإصلاحي الجديد وغيرهم من رجال الفكر والسياسة في الوطن المغاربي [14]. ودون أن ننسى الحركة الوطنية التي تأججت أواصرها مع فرحات عباس ومحفوظ قداش وآخرون، لم يكل الأستاذ بلخوجة في ابراز مواقفهم الوطنية من الاستعمار الفرنسي ومن سياسات الإدماج التي حاولت فرنسا تطبيقها على الشعوب المغاربية المستعمرة.

وقد أوضح فرحات عباس موقفه من كل ذلك: للرد على جريدة (Le Temps)، وعلى اتهامات الصحافة الاستعمارية قمت، بواسطة رفع مستوى النقاش، بتحديد نقطة عقائدية تتعلق بسياستنا (...) لقد استعمل، ووقع الافراط في استعمال، عبارة " الجزائر أرض فرنسية "، لأن أقلية قليلة من المعمرين ومن الموظفين الأوروبيين، يلوذون في تماديهم على استغلال الأهلي، بسيف فرنسا. فالحلول التي تفرض بالقوة هي دوما حلة هشة، سريعة الزوال، وهؤلاء يخادعون أنفسهم عند تحدثهم عن امتداد فرنسا، قبل أن يضم الستة ملايين

من العرب البربر بعمق إلى مكاسب الحضارة الفرنسية " [15]. كما لا ينبغي أن ننسى المناضل محفوظ قداش في حزب الشعب – الحركة من أجل انتصار الحريات الديموقراطية، حيث يعتبر هذا المناضل من الذين حاولوا الدفاع عن موقف فرحات عباي الذي شهر به على أنه من دعاة الإدماج، خاصة وأن الفكر السياسي عند هذه الشخصية الوطنية قد عرف تطورا هاما، جعلت منه رائدا محبوبا حسب وصف الدكتور عمار بلخوجة، بل وقريبا من شعبه، إذ عرف فكره السياسي نقلة هامة في عام 1938، بعد أن تخلى عن فدرالية المنتخبين وأفكارها الإدماجية [16].

من هنا يرى صاحب المؤلف أن الحركة السياسية التي بدأت في الجزائر لم تكن بمنأى عن تلك التطورات الفكرية التي شهدها العالم العربي، حتى أنه يربط بينها وبين تلك الحركات الفكرية التي ظهرت منذ مطلع القرن العشرين، وها هو الأمير شكيب أرسلان مرة أخرى " يدعو إلى ضرورة توحيد العالم الإسلامي لإعلاء سمعته. كان يطمح إلى توحيد الدول الإسلامية ضمن كونفدرالية، إذ سيبدأ تكريس فكرته بإنشاء جامعة الدول العربية في 1947، بعد وفاته وهو المدافع المرموق عن أفكار الوحدة والانعتاق بقليل " [17]. يقول أبو القاسم سعد الله "فقد رأينا أن اهتمام شكيب أرسلان لقضية الجزائر بدأ منذ العشرينات عندما كان يكتب في تعاليقه على حاضر العالم الإسلامي، وحتى جريدة (الأمة العربية) وجدناها تكتب عن الإحتفال المئوي للإحتلال سنة 1830، وهي السنة التي ظهرت فيها هي إلى الوجود"[18].

كما كانت جريدة (الجزيرة) الدمشقية قد نشرت حديثا بتاريخ 06 أكتوبر 1937، لشكيب أرسلان حول الوحدة العربية، كان له ضجة سواء في المشرق أو في المغرب. ويظهر أن شكيب أرسلان قسم فيه العالم العربي إلى ثلاثة مناطق هي: مصر وسورية و العراق وفلسطين، والحجاز و اليمن و الخليج، و المغرب العربي. ويروي لنا المؤرخ أبو القاسم سعد الله أن خلاصة الحديث الأرسلاني أن العرب أمة واحدة وعظيمة بماضيها وبعددها، وأنها قد استيقظت من صباتها، واعتمدت على نفسها ورفعت السلاح للدفاع عن وجودها، ضد الذين يريدون استعبادها. وهو الرأي نفسه الذي يشاطر فيه الأستاذ عمار بلخوجة حينما يتطرق إلى الدور الريادي الذبي قامت به جمعية العلماء المسلمين بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي

كان قد سبق لهان شارك بحسب رواية للدكتور ابو القاسم سعد الله في النقاش حول هذه المسألة، حيث يرى شيخ العلماء المسلمين أنه " إذا حقق عرب المشرق الوحدة السياسية، فلا يمكن لأهل المغرب العربي إلا التوحد معهم دينيا ولغويا وثقافيا، أما سياسيا فلا تكون وحدة للمغرب العربي مع المشرق العربي إلا بعد الاستقلال" [19]. وقد وضع الشيخ عبد الحميد بن باديس كما يقول الأستاذ عمار كما يقول في إحدى مقالاته الصحفية عام 1987 "معارفه وعقيدته ونشاطه من أجل بعث الشخصية الجزائرية، وإذكاء شعلة الإسلام الأصيل. وفي هذا، فإن تجديد المدرسة العصرية، كان الوسيلة التي أرست القواعد الكفيلة بأن تساعد على بروز رجال قادرين على التكفل بعد ذلك بالانشغالات الدينية للجموع الموضوعة بين مطرقة الغول الإستعماري وسندان إقطاعية غدارة" [20]. ينوه الأستاذ عمار بلخوجة بضرورة الإحتفاء بهذه الشخصية الوطنية من خلال الاهتمام بيوم العلم الموافق لـ : 16 أفريل من كل سنة، وتعريف الشباب بمآثر هذا العلامة، حتى يكون لدينا خير خلف لخير سلف. وفي مقاربة متميزة يفرد لنا صاحب المؤلف رؤية عنوانا بـ(دراما وتفرج)، حيث يقارن بين وثيقة القواعد الأساسية لعقيدة (جمعية العلماء المسلمين)، وبين العقيدة الأصولية ذي المنطلقات العنيفة التي تبناها حزب (الفيس) (F.I.S)، والتي عمدت إلى تدمير كل القيم الوطنية والثورية للشعب الجزائري في محاولة انتقامية، تهدف إلى تقويض دعائم الدولة الثورية، التي استشهد من أجلها مليون ونصف مليون شهيد.

وقد ضرب لنا الأستاذ عدة أمثلة عن الممارسات التي قام بها أولئك الخونة، من متابعات لدور الشباب والمراكز الثقافية في محاولة لاستئصال روح الأمة الجزائرية من جذورها التاريخية، حيث تم عمد أبناء الحركة الملتفين بعباءة الإسلام السياسي، إلى إقصاء المرأة الجزائرية من دورها الحضاري، بكل ما أوتي لديهم من وسائل، بحجج وفتاوي واهنة، ولعل العبارة الأخيرة من الفقرة الأولى من هذا المقال، خير دليل على تلك المؤامرة التي دبرت للمرأة الوطنية بنت الجزائر الحرة، يصف عمار بلخوجة ذلك الحصار المبرم حول أم الشهيد وبنت الشهيد، " لقد حرموا على أنفسهم السماح للمواطنات بالتماس مقابلة مسؤول ما. حجتهم في ذلك أن الرجل ضعيف، وأن إبليس يتربص للوقوع به في كل وقت، لكي يسلمه للإغراء الجسدي. كانت

الهلوسة الجنسية، مهيمنة على نقاش الوعاظ الجدد في المجتمع " [21]. والكاتب هنا يدعو من خلال مقالته هذه الإطارات السابقة في الحركة الوطنية الجزائرية، الذين اختاروا النضال في التيار الديني لابن باديس، أن يتناولا الكلمة لوضع حد للمذابح ولكي يتصدوا اليوم بكل ما أوتي لديهم من قوة وعزم لأولئك الذين آرادو اغتيال الجزائر. ولابد علينا نحن الشباب من تكريس مبادئ القواعد الأساسية لعقيدة جمعية علماء المسلمين، التي أبرزها الكاتب في عشرين نقطة، والتي تدعو إلى إسلام معتدل، باعتباره دين البشرية بامتياز [22].

أما بالنسبة لوثيقة الميثاق الشمال – إفريقي (فيفري 1952)، المدون في إطار الوحدة المغاربية والكفاح المناهض للإستعمار من نجم شمال إفريقيا، إلى الجبهة من أجل الوحدة والعمل. فقد التزمت هذه الأحزاب بمواصلة وتكثيف من أجل تحرير شمال إفريقيا من كل نظام استعماري، لغرض تمكين بلدانها من أن تكون، في إطار ميثاق الأمم المتحدة، أنظمة دولة سيدة وديموقراطية. ويذكر الأستاذ عمار بلخوجة أن هذا الميثاق كان بحضور ورعاية وسلطة البشير الإبراهيمي، رئيس جمعية العلماء المسلمين [23].ومن أجل تحريك الروح الوطنية للشباب التيارتي (تيهرت)، يقدم الأستاذ مشهدا من مشاهد النشاط الوطني الذي عرفته المنطقة، في محاولة لإستنهاض تلك الروح التي بقيت متأججة في نفوس شباب التيارتي، والتي لا نشك في أن الرجل كان من خيرة أولئك الذين ساهموا في بعث النشاط الثوري في ولاية تيارت، وقد صادف أن استمعت الى الاستاذ لمآثر الشباب التيارتي في حصة إذاعية (لقناة الإذاعة المحلية)، كان قد نشطها بمناسبة أحداث 08 جانفي 1961 والتي بثت عبر الأثير في 08 جانفي 2017.

يشير الدكتور لجملة من الإحصائيات الرهيبة للبطالة والعوز الذي شهده مواطنوا ولاية تيارت منذ مطلع القرن العشرين، وقد أشار إلى مقال كان قد نشر في صحيفة الجمهورية للكاتب قايد أحمد بتاريخ: 04 أفريل 1952، " أن البطالة، والجهل والأكواخ، يعتبرون نتائج حتمية للبؤس الذي يرهق جموعنا " [24].

غير أن هذا الواقع المزري حسبه المؤلف لم يثني الشباب التيارتي عن الوقوف في وجه العدو المستعمر، حيث وقف مجموعة من الشباب الوطني من أجل اخراج بلدتهم من ربق الفقر

المدقع، والجهل المحدق بها، أين قاموا بتأسيس جمعية للبطالين، ففي يوم 23 ديسمبر 1952، اجتمع الشباب البطالون للدفاع عن حقهم في الحياة فقد أكد الشباب التيارتيون، على ان البطالة كانت آفة طال أمدها في هذا البلد، وقد نجم عنها نتائج بالغة الخطورة، في مدى متفاوت الاستعجال " [25].كما أشاد الكاتب بالمهمة الجمعوية التي قام بها السيد حبيب بلقيدوم، حينما أعاد التاريخ من جديد بتأسيسه لجمعية البطالين في ولاية تيارت سنة 1988. والتي يرى فيها صاحب الكتاب أنها سارت على النهج نفسه مع طموحات تلك الجمعية التي تأسست قبل أربعين سنة من ذلك [26].

ولم تقتصر النشاطات الجمعوية عند هذا الحد، وإنما تجاوزت ذلك إلى أنشطة سياسية وفكرية ساهم فيها جميع فئات الشعب، إذ لا ريب أن يشهد تاريخنا الحافل بكثير من التضحيات التي راح جراءها الألاف بل الملايين من شبابنا الأبي. ولعل الوقفات التي عرج عليها الكاتب لدليل على الثمن الباهض الذي دفعه الشعب الجزائري، لنيل حريته، فمن الوقفات التي يشير إليها الأستاذ عمار بلخوجة وهي عديدة شملت عدة جوانب اجتماعية وثقافية وسياسية، كأولئك الشهداء الذي وصفهم بشهداء العلم والمعرفة، والذي يذكر منهم البعض على سبيل الذكر لا على سبيل الحصر، شهداء سطح دار الطالب في فاس، يذكر الكاتب منهم "بلقندوز عبد القادر من تيارت، بن يعقوب عبد القادر من مغنية، عريبي آيت ولد رحو من معسكر، صدوق أحمد بن عيسى من تنس وكذا غلام الله من تيارت، وجباري عبد القادر رئيس ودادية الجزائريين في فاس، وأصله من ندرومة " [27].

إنه لمن دواعي الفخر والسرور أن نجد كاتبنا يثابر من أجل إحياء روح الوطنية في جيل الشباب، فيعمد إلى بعث العديد من الموضوعات التي تهم المجتمع الجزائري إبان الإستعمار الفرنسي وحتى بعد تلك المرحلة المظلمة التي دخل فيها شعبنا نفقا طويلا من اللآلم والمأساة، ولعل البعد الموسوعي الذي يظهر من خلال هذه المقالات الكثيرة التي تضمها جنبات هذا الكتاب، لخير دليل على اتساع أفق الكاتب في تحليل مختلف الجوانب المشكلة لبنية المجتمع من دين وثقافة وسياسة واقتصاد إلى غير ذلك ... فهو لا يتوانى عن ذكر ظروف الحج إلى البقاع المقدسة أيام الإستعمار، والعراقيل التي وضعها هذا الأخير لطمس جوهر الدين الإسلامي، أو

في الجانب الإعلامي وكيف كان العمل الصحفي مفوضا عليه مراقبة صارمة، رغم أن الكفاح الثوري لم يكن فقط بالبندقية وإنما كان بالقلم كذلك.

كل هذا مضافا إليه تلك الجرائم الوحشية التي بقية من دون عقاب. إذ ستبتلع أفران الجير والحفر الجماعية ما يقارب (45000) شهيدا من كافة الأعمار، وحسب رأي المؤلف: " فإن (أورادور – سور فلان) مندد بهمن قبل ضمائر الإنسان، في غرب ميال دوما إلى التمييز بين الأموات. شهداء الثامن ماي 1945، مسجلون في خانة المنسين في تاريخ البشرية " [28]. ناهيك عن أقبية الموت أو ما يطلق عليها الأستاذ بغرف الغاز في حرب الجزائر، وقد تم تركيب شريط وثائقي يروي لنا هذه الجرائم من طرف المخرج عبد الرحمن مصطفى بناء على نص كان الأستاذ عمار بلخوجة قد حرره بنفسه، أما العمل فهو بعنوان (محارق الظهرة) أو (مدخنات الظهرة) والعمل التلفيزيوني يروي لنا أبشع الجرائم الأستعمارية على وجه البسيطة في القرن العشرين، أين قام بيليسي سنة 1845 بإبادة قبيلة كاملة هي قبيلة أولاد رياح [29]. موضوعات أخرى تناولها هذا المؤرخ الموسوعي، نذكر منها: من بيجو إلى بيجار (جرائم ومجرمون)،بن يوسف بن خدة حقائق في شأن عبان رمضان، أرضية مؤتمر الصومام، فشل الجنرال دوغول، طفولة بؤس الشبيبة والحركة الوطنية، كتابة التاريخ، معاداة السامية، إضراب الثمانية أيام جانفي فيفري 1957، مذبحة 05 جويلية 1961، التنظيم الإدراي الاستعماري، وغيرها من الموضوعات التي تناولها هذا الكاتب الصحفي في باقي مؤلفاته.

خاتـمة

في الأخير يمكن الإعتراف بأن السيد عمار بلخوجة رجل فذ من رجال هذا الوطن الأغر، لم يتواني قيد أنملة في حمل قلمه للدفاع عن هذا الوطن العزيز، فراح بكل تواضع معرفي وأخلاقي يهز الكيان الشبابي للجزائريين لاستنهاض تلك الروح الوطنية التي يحاول كثير من المتآمرين إطفاءها عنوة، وبشتى السبل، والحقيقة أنني تشرفت بمعرفة الرجل عن قرب، بوساطة عميد كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، عندما كنت مكلفا برئاسة قسم التاريخ، بجامعة ابن خلدون – تيارت – وقد لمست في هذه الشخصية قيما وطنية نضاخة، تجعل منه رجلا نزيها إلى أبعد الحدود، فكم نحن بحاجة إلى مثل هؤلاء الرجال الوطنيين.

هوامش الدراسة:

[1] - بلخوجة عمار، **صفحات من ذاكرة التاريخ**، تر: أحمد بن محمد بكلي، تق: كمال بوشامة، منشورات ألفا ، الجزائر، ط 01، 2015، ص 06

[2] - المصدر نفسه، ص 06.

[3] - يقول الأستاذ عمار بلخوجة : (لقد جند الاجتياح الفرنسي، تحت قيادة الجنرال دو برمون، تعدادا من المقاتلين وصل إلى (34.184) رجلا، وعددا من غير المقاتلين بلغ (3.389) رجلا وكمية هائلة من عتاد الحرب، ومن التجهيزات المرافقة). ينظر: المصدر نفسه، ص 09 – 21.

[4] - المصدر نفسه، ص 21.

[5] – سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج 04، ط 01، 1996، ص 22.

* – الكونت دي بورمون كان وزيرا للحربية في عهد شارل العاشر، وتولى قيادة الحملة الفرنسية، وقد عزل بعد اقل من شهر من احتلال مدينة الجزائر. لأن انقلابا حدث في فرنسا أطاح بعرش شارل العاشر، وجاء بالملك لويس فيليب يوليو 1830. ينظر: المرجع نفسه، ص 23.

[6] - بدوي عبد الرحمن، **موسوعة المستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط 03، 1993، ص 64.

[7] – المرجع نفسه، ص 97.

[8] - كان الاستاذ ماسكيريه أستاذ التاريخ يدير مدرسة ليسيه بالجزائر، وقد قام هذا الاخير بأبحاث في إقليم المزاب (جنوبي الجزائر) وكتب عن اعماله في الجزائر كتابا بعنوان (ذكريات ومشاهد في إفريقيا)، سافر إلى ليون، ثم عاد للجزائر ليدرس الفلسفة في ثانوية البليدة عام 1895. ثم استاذا جامعيا بمعهد الآداب في الجزائر عام 1899. كان من بين اهتماماته حول القضايا المحلية في الجزائر، كتاب (المسألة الخاصة بسكان الجزائر الأصليين والمسلمون الفرنسيون (كذا) في شمالي إفريقية)، وكتاب (قضية ماجريت أمام محكمة الجنايات في محافظة الهيرو، تأليف كاميل بروال، وكتاب آخر هو كتاب: المسلمون الفرنسيون في شمالي إفريقية ن تأليف اسماعيل حامد. وكان قد نشر هذا المقال في (مطبعة الجمعية الجغرافية في الجزائر وشمالي إفريقية). ينظر: بدوي عبد الرحمن، المرجع نفسه، ص 195.

[9] - المرجع نفسه، ص 253.

[10] - بلخوجة عمار، **صفحات من تاريخ الجزائر**، المصدر السابق، ص 23.

[11] - يقول عمار بلخوجة: (يعتبر الأمير عبد القادر من أنصار الحلول السلمية، غير أنه معروف أيضا بحزمه وصرامة قرارته. فقد حطم التحالف الإقطاعي (في الغرب الوهراني) في معركة جرت في محاريس يوم 12 جويلية 1834، مني أعوان الجيش الفرنسي بهزيمة نكراء، لم يكن لتلك " الخيم الكبيرة " أي حس بالوطن ولا بالدولة الوطنية، بل يضعون أنفسهم دوما في صف المنتصر، لأنهم كانوا يرون في فرنسا قوة لا تقهر، ولغيرتهم من قائد شاب قد فرض نفسه ميدانيا، بمثل تلك السرعة. ينظر: المصدر نفسه، ص 24.

[12] - بلخوجة عمار، المرجع السابق، ص 28.

[13] - المصدر نفسه، ص 29.

* - ولد شكيب أرسلان في بلدة الشوف بلبنان في 25 ديسمبر 1869، وبعد عمر طويل في النشاط السياسي و القومي و الأدبي توفي في بيروت في 09 ديسميبر 1946. وكان قد تعلم في بيروت، ومن شيوخه فيها الشيخ محمد عبده أثناء نفيه سنة 1886. تولى عدة وظائف إدارية في الشام أثناء الحكم العثماني، وشارك في حرب طرابلس ضد إيطاليا غلى جانب بعض زعماء لجنة الاتحاد و الترقي من أمثال أنور باشا، وكان من أنصار الاتحاد بين العرب والأتراك، وانتخب للبرلمان العثماني، ودعم

موقف تركيا خلال الحرب الحرب العالمية، ولكنه اختلف مع سياسة جمال باشا (السفاح). وصفه الطيب العقبي في بيتين شهيرين:

رســـم صغير الحجم لكنه ... شـــكل (أبي غالب) الأكبر

ذكرنـــــــي لما بدا قولهم ... لـــــــيس على الله بمستكثر

ينظر: سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وآراء في التاريخ**، المرجع السابق، ص 115 - 122.

[14] - سعد الله أبو القاسم، المرجع نفسه، ص 114 - 115.

[15] - بلخوجة عمار، **صفحات من التاريخ**، المصدر السابق، ص59.

[16] - المصدر نفسه ، ص 69.

[17] - المصدر نفسه، ص 79.

[18] - سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ص 129.

[19] - المرجع نفسه، ص 131. وأيضا: بلخوجة عمار، المصدر السابق، ص 84.

[20] - بلخوجة عمار، المصدر نفسه، ص 84.

[21] - المصدر نفسه، ص 87.

[22] - يمكن الرجوع إلى المؤلف للاطلاع على هذه الوثيقة، والتأمل في النقطة عشرون التي يرى صاحب الدرااسة أنها تنبؤ بحق، ودعوة سارية الآن، وجهها عبد الحميد بن باديس، للجزائريين بعد خمسين سنة من تحرير هذه الوثيقة. ينظر: المصدر نفسه، ص 93.

[23] - استند الأستاذ عمار بلخوجة في تخريج هذا الميثاق، بناء على المصدر التالي: (La République algérienne) رقم 297 الصادرة يوم 14 مارس 1952 – نشرية إ. د. ب. ج –. ينظر: بلخوجة عمار، المصدر السابق، ص 104.

[24] - المصدر نفسه، ص 107.

[25] - المصدر نفسه، ص 109.

[26] - المصدر نفسه، ص 108 - 109.

[27] - المصدر نفسه، ص 126.

[28] - المصدر نفسه، 145.

[29] - المصدر نفسه، ص 157.

التاريخ والهوية

في كتابات عمار بلخوجة[G]

الدكتور أحمد عطار، جامعة تلمسان

*** مقدمة:**

ينطلق " المفكر الجزائري "**الزواوي بغورة**" في كتابه: "الهوية والتاريخ": من حدث ونص هامين في الثقافة الجزائرية، الحدث هو سنة 1930، السنة التي تؤرخ لاحتفالات فرنسا بمرور مئة سنة على استيطان* الجزائر، بكل ما صاحب هذه الاحتفالات من "الدعاية" (la propagande) لانتصار الحداثة على البربرية، أما النص الذي انطلق منه "الزاوي بغورة" فهو نص بعنوان: "العلم والاخلاق"[1] "**لعبد الحميد ابن باديس**" كتبه في شهر نوفمبر 1930 داخل سياق داخلي وآخر خارجي الداخلي تمثل : في الابعاد السياسية والدعائية التي روجها المحتل لاحتلال الجزائر فلقد قدم مبررات حضارية وعقلية لقدومه للجزائر وجعل من العلم مطية ومبرر لأخذ البشر والحجر، فلا يستحق هذا البربري إلا ان تأخذ بيده للحضارة، لذلك استهل "ابن باديس" عمله بضرورة الاخذ بناصية العلم، أما السياق الخارجي فيساير ما كان يعيشه الوطن العربي والامة الاسلامية من حركة اصلاح ونهضة.

عمل "ابن باديس" والكثير من النخب الجزائرية على مقارعة الفكر الكولنيالي فالساحة الفكرية والنفسية كانت فارغة وينقصها جنود لقيادة معركة الوعي والتاريخ والهوية، وعي حرب لا تنتهي بنيل الاستقلال عن المستعمر، بل تمتد ما بعد ذلك داخل هذا السياق العام يمكن أن نفهم مشروع "عمار بلخوجة"، **فكيف تصور التاريخ والهوية؟**

01/ من تفكيك الكولونيالية إلى ما بعد الكولنيالية:

يعرف "عمار بلخوجة" نفسه على أنه مدافع عن الهوية الوطنية[2]، ومفاهيم الدفاع الحرب المقاومة هي امتداد لنضال طويل ضد الحقيقة الواحدة وتهميش الاخر والعنصرية ...الخ، لم ير "عمار بلخوجة" في الاستعمار حالة مادية تسلب الثروة والمال والارض، بل إنه نقل صراعه

التاريخي مع الاستعمار على حالة فكرية شعارها: "**الحرية**"، "حرية الانسان" و"كرامته" "والتعدد والتنوع الثقافي" ضد الفرض العنيف للهوية الثابتة، إن جريمة الاستعمار لم تكن ضد الجسد والارض والثروة، بل كانت محاولتها تدمير الانسان الاخر المختلف، وتدميرها لقيم حضارات أخرى كانت تدعي أنها همجية ولا تستحق الوجود «إنها بالفعل تراجيديا إنسانية».[3]

قيل عن الاستعمار أنه « تلميذ احمق لا يستفيد من الدروس»، أو على حسب الوصف القرآني الرائع ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾، فعكس السياسة "**الكولونيالية**"* (Colonialisme) حمل الفكر الفرنسي والغربي عامة صورا مشرقة لمفكرين علموا العالم القيمة الانسانية والانثروبولوجية للشعوب المهمشة، ولعل أعمال الانثروبولوجي الفرنسي "**كلود ليفي شتراوس**" تظهر النظرة الغربية الخاطئة للمختلف عنها، فبحوثه بينت أن الشعوب البدائية لا تقل قيمة حضارية عن الغرب اليوم، وأن العوالم التي صنعتها وعاشتها، تعبر عن أجمل توافق وتناسق للحياة مع الطبيعة والبشر بينهم، لذلك نظر "عمار بلخوجة" إلى القضية الاستعمارية من منظار انساني وقيمي وليس فقط تاريخي، وهذا ما يفسر ميله لتقديم نماذج رائعة لشخصيات انسانية وقيم أراد الاستعمار طمسها[4] أمثال: "الامير عبد القادر الجزائري".

إن ما خسرته الجزائر بسب الاستعمار هي تشكلات ثقافية وبناءات حضارية كانت ترسم الهوية جماعة، لم يبق منها إلا النزر اليسير،.. دمر مجتمعا ونظام حياتي يصعب اليوم كشف كل أبعاده، وهنا يلتقي بالمفكر "**مصطفى الاشرف**" في كتابه: "**الجزائر الامة والمجتمع**"، حول "الحرب النفسية والتاريخ النفسي" أو لنقل مع تعبير الاستاذ: **مونيس بخضرة** "تاريخ الوعي"، تاريخ تحرر الوعي الجزائري هو ما لم يكتب، فثورة نوفمبر المجيدة هي التعبير المادي الظاهر لحركة نفسية عرفت تاريخا من التغيرات والصدمات وفي الاخير صعود صاروخي لثورة نفسية تنتفض على حالة القصور التي فرضها الاستعمار على الانسان الجزائري.

لا يدعو "بلخوجة" إلى كراهية الفرنسيين، بل إلى تعرية ونقد الايديولوجيا "الكولنيالية (مؤسساتها وآلياتها)، كما لا يسعى "عمار بلخوجة" إلى اجترار التاريخ والبقاء فيه فلا يقبل أن يكون مدونا للكولونيالية دون ما محاولة لتخطيها، داخل هذا السياق بالضبط نفهم تنوع أعماله بين التاريخ والثقافة، فهو على مستوى التاريخ يحاول تبيان حقيقة ما كتبه المستعمر عن الجزائر[5]،

وعلى مستوى الهوية يسعى لإظهار وكشف ما حاول المستعمر طمره وغمره واسكاته، داخل هذه الازدواجية يكتب "عمار بلخوجة" واضعا نصب عينيه شخصية "**فرانز فانون**"* التي جعلت من المقاومة الفكرية للاستعمار مهمة مقدسة للمثقفين[6]، «فلا يكفي تحرير الارض من المستعمر، بل لا بد من تحرير الوعي من الاستلاب»[7].

يحذر "بلخوجة" من أخطار سقوط الفكر "**المابعد الكولنيالي**" في ممارسات وخطابات الكولنيالية، فيتم إعادة انتاج أليات الاقصاء، ورفض الاخر والتهميش واعادة فرض الهيمنة والسيطرة و"الصوت الواحد"، كما حدث "**لفرحات عباس**" و"**محمد بوضياف**" و"**حسين أيت أحمد**" و"**مصالي الحاج**" و"**جمعية العلماء المسلمين**" ووو...الخ. تحت منطق: « إذا لم تكن معي ومثلي فأنت عدوي»، وعن ما يحدث "السقوط" في ما حاربناه من عنصرية، وتطرف.

02/ "مومو"... وإعادة بناء التاريخ والهوية:

لإعادة بناء واكتشاف ما غيبه الفكر الإقصائي (الصوت الواحد)[8]، يحفر "بلخوجة" في طبقات الثقافة الجزائرية ليعثر على الكثير من الدرر، تعرضت للقمع والتهميش من طرف فكر الرجل الابيض المريض بجنون العظمة (supériorité) وعلى أنه الوحيد القادر على "**العقلنة**" والترقي الاخلاقي والروحي والمادي طبعا لدحض هذا الادعاء يقدم " بلخوجة " صورا رائعة لفكر جزائري عميق، سنأخذ منه مثالا واحد، خصص له "بلخوجة" حيزا واسع في كتاباته، ألا وهو : "**حيمود براهيمي**" هذه الشخصية الفنانة المهتمة بالميتافيزيقا والتصوف، سيظهر عبرها جانبا مشرقا من التأمل العميق لفكر يحترم الاخر ويقبل اختلافه رغم أن الآخر (الغربي) يصادر صوته، فالأرض ليست موطن للاقتتال فقط، بل قد تكون للتسامح والتعايش الثقافي.[9]

يهيب "حيمود براهيمي" بإنسانية النخب الفرنسية، ويدعوهم في بداية الخمسينات عبر نصه: "رؤيا صيف" (le songe d'un Eté, écrit en 1951) بتوخي الانسانية والمنطق في التعامل مع بشر أمثالهم هم الجزائريين المسلمين، بغض النظر عن العرق والدين، ويتساءل أين هي قيم الثورة الفرنسية وحقوق الانسان؟، أين هي فلسفة الانوار؟، أين الوعي الحر و"**العقلانية الديكارتية**"؟، أين رسالة المسيح؟ ويضيف "بلخوجة": «كيف يمكن لشعب

ودولة ذاق مرارة الاستعمار والجرائم "**النازية**"، أن يقبلها لشعب أخر؟، كيف لنفوس انسانية تشمئز بمحرقة "أوشفايتز" (Auschwitz) أن ترتكب في الجزائر محارق أبشع....؟».

– أ) من نحن ؟:

في رحلة البحث عن الذات يطرح "عمار بلخوجة" سؤال من أنا ؟[10]، والسؤال عن من أنا هو سؤال عن النور والخلق والبداية والاصل، لذا فهو كما جاء عنوان الكتاب: (من أنا؟) "لحيمود ابراهيمي"** الذي قدم له "عمار بلخوجة" تحت عنوان: "من أكون؟.. حبا في النور" (QUI SUIS- JE § AMOUR DE LUMIERE)، لم يصل "حيمود ابراهيمي" أو (مومو/MOMO) كما يحبذ أن يسمي نفسه في قصائده، إلى ما وصل اليه زميله في مرحلة الشباب "**البير كامو**"[11] (Albert Camus) عند قاع العدمية ، بل إن "**مومو**" يرى الهوية في الكلمات التي يمتلكها (الشعر) وفي حبه الابدي لمدينته "**القصبة**" (رمز الجزائر) أو ما يحلو له تسميتها ببهجتي "فالبهجة" هي الفرح والسرور هي الحب، وإنما النور والبياض.

إن "مومو" لا يريد أن يعيش في الماضي وكراهيته، مهما ما سببته له أحداث 08 ماي من آلام، إلا أنا النظر الى الحاضر والمستقبل بحب هو ما يفتح باب الهوية دونما تنكر للماضي الذي يغرق في بهجة اللحظة، إن "بلخوجة" وعبر نص "الشاعر الروحي"[12] "مومو" يدعونا الى حب الوطن أكثر من الانشغال بكراهية الاخر لأن قوة الحب الصوفي للخالق أعلى شأنا من ملهاة كراهية شيطانه، فالبعد الصوفي[13] الذي يكتنف كتابات "مومو" يروينا بحلاوة الحب.

الهوية عند "مومو" اذا هي: هوية متصاعدة تنطلق من "سؤال من نحن؟"، لتصل إلى ما يسميه: "الهوية العليا" (L'Identité suprême)، التي يساعدنا "التصوف" و"الفن" أو "الشعر" في الوصول اليها ذلك أن «الهوية العليا هي هوية من اختصاص الايمان»[14]، فعودة "مومو" الى القرآن وشخصية "**محمد**" ﴿ صلى الله عليه وسلم﴾ وشخصية "**ابراهيم**" ﴿عليه السلام﴾ أب الديانات السماوية التوحيدية، عبر قراءة ذاتية فيها الكثير من الحرية والرمزية جعلته يبلور تصورا أكثر انفتاحا وتساميا للهوية الروحية*.

– ب) "الهوية العليا":

إن "الهوية العليا" (L'Identité Suprême) التي نحتها "حيمود براهيمي" كانت نتيجة للكثير من الصدمات واللقاءات التي كونها عبر مشواره الفكري والفني وحتى الرياضي وهو الغطاس الذي كان يعتزل العالم في قاع البحر وكأنه في خلوته الربانية، أو على "رصيف البحر"(Mole du Port d'Alger) خلوته المفضلة على ضفة البحر الابيض المتوسط، الخلوة المنفتحة على البحر والسماء في نفس الوقت ففي فيلم: "**تحيا يا ديدو**" للمخرج "**محمد زينات**"* يجلس "مومو" القرفصاء شبه عاري يواجه البحر ويعانق السماء لكن لا يدير ظهره كليا للحياة بل يراقبها يعاتبها ويبوح بحبه الابدي للبهجة، فلا يمكن للرجل الصوفي إلا أن يجاري الحياة دون أن تجرفه أو تنسيه ذكر ربه، ولا يمكن التعبير عن هذه الحالة إلا بالسيد القطب "أبي **بومدين شعيب التلمساني**" الذي جاهد الصليبيين وفتح القدس مع "**صلاح الدين الايوبي**" وفقد أحد يديه وفي نفس الوقت مارس التصوف والانفتاح على الذات، ولعل نموذج "**الامير عبد القادر الجزائري**" لهو أكبر نموذج عن المتصوف الملتزم إن جاز هذا التعبير المعاصر (الملتزم)، لقد كان "الامير" رجل حرب وعند وضعها أوزارها في مساء كل يوم وفي ظهر كل ليلة وسط الزمالة أين تقوم مكتبته الضخمة التي كانت تنؤ عن حملها الجمال والبغال يعتكف الامير المجاهد من الجهاد الاصغر إلى الجهاد الاكبر ومن محاربة وقتل الاخر إلى محاربة وقتل الذات الانانية الامارة بالسوء، يتنقل الامير من الدم الاحمر إلى الحبر الاسود، و« من السيف إلى القلم ومن بناء الدولة الجزائرية إلى بناء الاخلاق الانسانية في "**دمشق**"، ومن بطل وطني أمات المحتلين الى شخصية عالمية أحبيت الناس جميعا»[15].

تلقى "حيمود" الكثير من الاحاسيس والمعارف وهو جالسا في خلوته المقدسة المفتوحة على رصيف ميناء الجزائر، أحاسيس يقول أنه لم يشعر بها خارج هذا المكان، إلا في حالة واحدة يذكرها بمدينة "**تلمسان**" قرب "**سيدي بومدين**"[16]، وهما مكانان متباعدان جدا كما هو معلوم[17]، ففي تلمسان يدخل "حيمود" حالة من الصراع الذاتي كانت تمهيدا لاكتشاف النور الذي بداخله النور الهادي الذي انبثق أمامه بعد تأملات عديدة فبعد القصبة بالجزائر العاصمة تصبح تلمسان امتدادا لرحلة البحث عن الذات وانكشاف الهوية...النور...والحقيقة، لقد تحول

رصيف البحر عند "حيمود براهيمي" إلى ملتقى للقاء كل الرياح والمياه والسماوات أو كما يقول شاعر الحب الالهي :

"لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي. إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
لقد صارَ قلبي قابلاً كلَ صُورةٍ. فمرعىً لغـزلانٍ ودَيرٌ لرُهبَـانِ
وبيتٌ لأوثـانٍ وكعبةُ طائـف. وألواحُ توراةٍ ومصحفُ قـرآن
أدينُ بدينِ الحـبِ أنّى توجّهتْ. ركائبهُ، فالحُبُّ ديني وإيمَاني[18]"

«ويصارحنا "حيمود براهيمي" من بداية كتابه: "بالبعد الانساني لاتجاهه الروحي"، فهو يرى أن المتصوف إذا سمع النداء الاعلى بداخله، فعليه أن يبلغه الى نظرائه في الانسانية، وذلك من خلال لغة خاصة وهي اللغة التي ترفعنا من الحيوانية الى درجة الانسانية، يقول: أعترف إنني عاجز أمام المشهد المريع لانحدار الفرد الى حيوانية صماء»[19]

الفن...التصوف...الرياضة...كلها تأثيرات وتجاذبات صقلة "حيمود"، أما على الصعيد الفكري، خاصة سنوات الاربعينات (1940) سيظهر تأثير: "**محمد كبسي**" (Mohamed Gabsi)* و"**ميشال فالسون**" (Michel Valsan)** الشخصيتان اللتان كان لهما الاثر الكبير على "حيمود" ولا يتوقف عن ذكرهما،[20] مع التركيز كذلك على المفكر الكبير: "**رونيه غيون**" (René Guénon) ***، أو "**يحي عبد الواحد**" الاسم الذي سيختاره بعد اعتناقه الاسلام ، فكتاب هذا الاخير : " **أزمة العالم الحديث**" (la crise du monde moderne.)، سيكون له الاثر العميق على تصورات "حيمود" وهو الذي قال عنه أن الطرقيون يعتبونه الظل الحي للشيخ الاكبر "**محي الدين ابن عربي**"، وشبه لقاءه به كلقاء الطبيب بالمريض[21]. كما أننا نجد تأثيرات فكرية اخرى أقل حضورا كالسوسيولوجي الشهير: "**بيار بورديو**" (Pierre Bourdieu) الذي كانت لبحوثه بمساعدة "**عبد المالك صياد**"* في منطقة القبائل الوقع المهم على "حيمود براهيمي".

* **خـاتمـة:**

في الختام لا بد من التنويه بلحظتين أساسيتين في اشكالية الهوية والتاريخ عند "عمار بلخوجة" سنلخصهما فيما يلي:

01/ يربط "عمار بلخوجة" بين التاريخ / الهوية وفعل الكتابة، فالكتابة تقاوم وتكافح التهميش والنسيان، وتفضح جريمة الكولونيالية (Colonialisme) أنها الرغبة في التعبير عن المقهورين والمظلومين (صوت أقنان الارض)، إنها صوت الضحية والمخفي من التاريخ، بعد أن أراد الخطاب الكولنيالي (الاستعماري) تقديم الاهالي على أنهم كائنات بدائية ومتوحشة، جاء هو بوسم الحداثة والعقل لتحيرهم وتحديثهم، فوسمها باللا عقلانية، لذلك أنتج الغرب الذي اعتبر نفسه المركز الكثير من الثنائيات في ثنايا خطابه مثل: التقدم /التخلف، التحضر /الهمجية. المركز /الهامش(Centre/marge) الخ، التي أرادت تبرير جريمة الاستعمار، وأمام خطابات الهيمنة كان لا بد للمقموع من أن يثور ويكتب ذاته، كي لا يلفه الصمت والنسيان، ومنه آمن ""عمار بلخوجة" أن الذوات المنبوذة والاصوات المظلومة لا بد لها من التحدث، لان الاستراتيجية الكولنيالية مبنية كما يقول: "بلخوجة" على تكتيكين هما:

« **الكذب والتزوير** »[22] واسكات الاصوات المخالفة تندرج في هذه الاستراتيجيات "الاقصائية" الراغبة في "نفي" وفرض "الصمت" [23]على الغير.

يسير "عمار بلخوجة" في خط المفكر الايطالي "**أنطونيو غرامشي**"، (Antonio Gramsci) (1937/1891) لأجل تجسيد مهمة "**المثقف الملتزم**"[24] بقضايا المستضعفين في الارض، ذلك أن مهمة: إسماع صوت الضحية، يندرج ضمن مباحث الفكر "**الما بعد كولنيالية**" (**Post-colonialism**) وهو تقليد أسس له الكاتب والطبيب المارتينيكي*: "**فرانز فانون**"، الذي أبان على مقدرة هائلة في فضح أساليب وتكتيكات "الكولونيالية" لإجهاض الرأي الآخر، وتغطيتها لاستنزاف موارد البلدان بحجة نقل الديمقراطية والحداثة، و"**شرعنة**" (**légitimation**) السيطرة والهيمنة على السكان الاصليين بحجة "الحداثة" ... لذلك كان الهم الاساسي "لبلخوجة" هو "تفكيك" الاطار النظري والمعرفي "للكولنيالية"، وداخل هذا التفكيك تأتي مهمة اعادة الاعتبار "**للمرأة**" التي بدورها كانت في الدرك الاسفل من التهميش والنبذ[25]، ليس فقط عبر الخطابات والتصورات الكولونيالية، بل كذلك "السلطة الذكورية" وجاءت ثورة نوفمبر لتثمين قيمتها، ولعل صورة جميلات الجزائر أنصع صورة لانعتاق "المرأة" من الظلم والاحتقار[G]، بل أكثر من ذلك يدعو "بلخوجة" المرأة لكتابة

التاريخ، ولتكون مؤرخة للأنوثة، لكسر احتكارية "**التاريخ الذكوري**" ونقل التاريخ من المركز الى الاطراف، ويذكر نماذج مثل المؤرخات الجزائريات: "**مليكة برحال**" و"**مليكة قورصو**".

يعلم "عمار بلخوجة" أن الخطاب الكولونيالي ما يزال موجودا لذلك يسعى إلى **تفكيكه** و**نقده** (Décolonisation) واظهار بطلانه، ثم اعطاء الصوت "للمسكوت عنه" عبر مستويين:

– أ) **الاول** زيف الظاهري: بمعنى كشف الحقيقة الداخلية لممارسات المستعمر وزيف ايديولوجيته بتعرية التناقض بين خطاباته وممارساته، كادعاءاته بالإنسانية على مستوى الخطاب وهمجيته على مستوى الممارسات.

– **ب) الثاني** إظهار الباطني: وهو اظهار "المسكوت عنه" في الخطابات الكولونيالية، وكشف البواطن الحضارية المشرقة للغير، الذي نعته المستعمر بالبربري والمتوحش، وداخل هذا السياق نفهم أعمال "عمار بلخوجة" حول: "الامير عبد القادر" و"حيمود ابراهيمي" وغيرهما.

02/ اضافة إلى ما قلنا حول الهوية والتاريخ الوطنيين يكشف "عمار بلخوجة" من خلال بحوثه على "حيمود براهيمي" تصورا عميقا للهوية يسمى: "**الهوية العليا**" (L'Identité Suprême) التي يقصد بها عودة الذات إلى العوالم الروحية السامية بالاستناد على "**التصوف**" خاصة أعمال "الشيخ الاكبر محي الدين ابن عربي" (الفتوحات المكية) "وسيدي بومدين" و"الامير عبد القادر الجزائري"، كمرجية وطنية وانسانية تجعلنا نعود إلى تراثنا الديني الوطني، وفي نفس الوقت تنقل لنا تجربة الاخوة "الابراهيمية" بين الديانات التوحيدية، والاخوة الانسانية بين أبناء "**آدم**"، كل ذلك بإعادة الاعتبار لمفهوم مركزي داخل الاسلام والتصوف وهو : "**الحب**" فأي طريق الى الله دون "**الحب**" و"**المعرفة**".[26]

هوامش الدراسة:

---

* "**عمار بلخوجة**" من مواليد 16 نوفمبر 1941 بولاية تيارت الجزائر، عصامي التكوين، مؤرخ ، وصحفي سابق لجريدة المجاهد، مهتم بالتاريخ الجزائري المعاصر والحركة الوطنية ، ألف ونشر العديد من كتب التاريخ والسير منها: كتاب: "الامير عبد القادر، ليس بسلطان ولا امام"(L'Emir Abdelkader, ni sultan ni imam) 2007، وكتاب: "الكولونيالية،

جرائم دونما عقاب" (Colonialisme, les crimes impunis) الصدر سنة 2006. كلاما عن دار النشر "الفا " .(ALPHA)

* نفرق هنا بين العبارات التالية : استعمار واستيطان، فكلمة استعمار تحمل في اللغة معنا ايجابي هي اعمار الارض، لذلك استهجنها الكثير من المفكرين الجزائريين امثال: مالك بن نبي و ابو القاسم نايت بلقاسم واستعاذوا منها "بالاستدمار" أو حتى "الاستحمار"، لذلك نرى أن الغزو الفرنسي للجزائر بدء على شكل احتلال ثم تحول بعد سنة 1870 إلى استيطان: ونقصد به الايمان السياسي بانهم ملاك هذه الارض وانها وطن للمحتل.

1 الزاوي بغورة، **الهوية والتاريخ** دراسات فلسفية في الثقافة الجزائرية والعربية، منشورات ابن النديم، و دار الروافد الثقافية – ناشرون ، الطبعة الاولى، الجزائر بيروت، 2015، ص 16.

2 Amar belkhodja, Halime **Mokdad**, **un grand reporter au grand cœur**, berrouaghia, martyre et Héroique, edition el kalima, alger 2011, (Sur le couver du livre)

3 Amar belkhodja, Marie-Claire Boyet La Martyre de Tagdemt, Edition ANEP, 2002.(Introduction) P 07.

* **الكولونيالية**: (الاستعمارية) حالة من السيطرة وفرض التبعية من مجتمع على مجتمع أخر، ارتبط المفهوم بالامبريالية (impérialisme) أين شهد العالم المد الاستعماري الذي سيكون له الاثر الكبير على التاريخ والهوية والتعدد الثقافي والبنية الاجتماعية للدول المستعمرة وهي مجالات أبدع فيها المفكر الأمريكي الفلسطيني "إدوارد سعيد" (1935-2003 (من خلال كتابه الاستشراق الصادر عام 1978، بالإضافة إلى الهندي هومي بابا 1949 .

4 Amar belkhodja, Halime Mokdad, un grand reporter au grand cœur, p 09.

5 http://www.algerieconfluences.com/?p=43727

* **فرنز فانون**: (1961/1925) (Frantz Fanon) طبيب نفساني ومفكر فرنسي من جزر المارتينيك، عضو في جبهة التحرير الوطني عمل صحفيا في جريدة المجاهد يعتبر من أكبر مناهضي الاستعمار والعنصرية آمن بأن ما أخذ بالقوة يسترد بها، صاحب الكتابان الشهيران : "بشرة سوداء، أقنعة بيضاء " 1952 معذبو الأرض (1961)."

6 Amar belkhodja, MOUVEMENT NATIONAL. DES HOMMES ET DES REPERES –Histoire, Edition Alpha, Alger, 2013, p 221.

7 Ibid. P 222.

8 Ibid. P 157.

9 Amar belkhodja, présentation, HIMOUD BRAHIMI, (MOMO),QUI SUIS- JE § AMOUR DE LUMIERE, p 150.

10 HIMOUD BRAHIMI, (MOMO),QUI SUIS- JE § AMOUR DE LUMIERE, présentation ; Amar Belkhodja ,EDITION RAFAR,

** من هو: "**حيمود ابراهيمي**" المدعو "**مومو القصبة**"؟. هو شاعر وممثل جزائري (1997/1918) عرف بدوره الرئيسي في فلم "تحيا يا ديدو" للمخرج محمد زينات، كما قام بالعديد من الادوار المسرحية ، كما عرف بقدراته الرياضية العالية خاصة في الغطس لدرجة أنه سمي: "الرجل السمكة" لطول المدة التي كان يبقها تحت الماء، أما ميولاته الفلسفية وتأملاته الميتافيزيقية فتكاد غير معروفة للقارئ الجزائري، وسيكون الفضل في اظهار هذا الجانب للصحفي والمؤرخ: "عمار بلخوجة" (بمساعدة الطبيب: محمد مداسي وعمر شلابي ولزهاري لبتر وعائلة : براهيمي) عبر سلسلة من التحقيقات لنصوصه باللغة الفرنسية، خاصة نص: "**الهوية العليا**" (L'Identité Suprême) الذي الفه "حيمود" تحت تشجيع صديقه السوسيولوجي الفرنسي الشهير: "بيار بورديو" (Pierre Bourdieu) (1958) ويعتبر نص الذي قدم له "محمد بن بريكة" و"عمار بلخوجة": "الهوية العليا" من النصوص الميتافيزيقية التي تنكشف فيها الذات على نورها ، وتحقق بإنكشافها ذاك السكينة والسعادة، في كتابه: مومو الشاعر المبارك، يقول أن كتاب رونيه غيون أزمة العالم الحديث غير كل حياتي انظر.MOMO LE : p 45 .
. POETE BENI,

11 http://www.djazairess.com/elmassa/18910.

12
http://www.lesoirdalgerie.com/articles/2013/08/25/article.php?sid=153164&cid=16

13 Himoud brahimi, **L'Identité Suprême**, recherche et présentation, Amar Belkhodja, préface Mohamed benbrika,Edition El kalima, Alger, 2012, ,P 05.

14 Himoud brahimi, L'Identité Suprême, p 05.

* للتوسع حول هذه النظرة الصوفية يمكن العودة إلى الرسالة التي بعثها "حيمود ابراهيمي" إلى صديقه الاسترالي "جورج ماريشال" (Georges Maréchal) تحت عنوان : "بوح الروح" (confidence de l'esprit) ضمن كتابه: "الهوية العليا" (L'Identité Suprême, les page de 27 à 33) الذي قدم له "عمار بلخوجة"، أين يتحدث "حيمود براهيمي" عن تجرته في الدخول الى خلوته برصيف مينا العاصمة الجزائرية ثم رحلته الى تلمسان وما سببته له من اضطراب وعقم للكتابة دام 19 يوما، ثم يقدم تأملات في الحياة والموت والخلق والهوية العليا والحرية الانسانية .(انظر الصفحات من 27 الى 33) لكن النص الاساسي للتأملات الصوفية عند "حيمود براهيمي" يأتي بداية من الصفحة 51 بإهداء إلى "رينويه غيون" واحتراما لسيدي الشيخ مصطفى (ميشال فالسون). تحت عنوان: الهوية العليا (L'Identité Suprême) الذي يصنفه استاذ الفلسفة و"التصوف بن بريكة محمد" من جامعة الجزائر ضمن النصوص الصوفية الواقعة تحت تأثير "رينويه غيون" والشيخ الاكبر محي الدين ابن عربي .

* فيلم "**تحيا يا ديودو**" ظهر سنة 1971 للمخرج "محمد زينات" (1932. 1995) سيناريو مشترك بينه و"حيمود براهيمي" وموسيقى "محمد العنقا"، مع ظهر مميز للوحات الفنان "ايسياخم" و"محمد راسم"، يعبر الفلم عن ما تبقى من جراح للجزائريين بعد الاستقلال، وحبهم لمدينة الجزائر البيضاء.

[15] de Amar belkhodja, **MOUVEMENT NATIONAL**, des Hommes et des repères, Histoire, edition alfa, alger.2013. p 09.

[16] Voir ; Himoud brahimi, -(Confidence de l’esprit-Texte non daté) in, Présentation de Amar belkhodja pour le livre de, Himoud brahimi, L’Identité Suprême, p 08.et aussi la page 28.

17 Himoud brahimi, **L’Identité Suprême**, p 08.

[18] محي الدين ابن عربي ترجمان الاشواق. تحقيق عبد الغاني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1971.

19 Himoud brahimi, L’Identité Suprême, (Préface de Mohamed Benbrika) p 40.

G **محمد كبسي**:

GG **ميشال فالسون**: أو "**الشيخ مصطفى** عبد العزيز" المولد في 01 من فيفري سنة 1907 برومانيا وتوفي يوم 25 نوفمبر 1974 بفرنسا هو مؤسس الدراسات الاكبرية (الشيخ الاكبر محي الدين ابن عربي) في الغرب اعتلى منصب شيخ في الطريقة الشاذلية الصوفية، من بين كتبه: "الاسلام ومهمة رونيه غيون" (*L'Islam et la fonction de René Guénon*)

20 Himoud brahimi, L’Identité Suprême, p 07.

*** « **رونيه غيون**: فيلسوف ورياضي فرنسي ولد يوم 15 نوفمبر 1886، درس اولا الهندوسية قبل أن يدخل الاسلام ليبقى مدة قصيرة في سطيف بالجزائر سنة 1917 قبل أن يستقر نهائيا بالقاهرة و يتوفى يوم: 07 جانفي 1951،كان له العديد من المؤلفات الفلسفية والرياضية أهمها: "أزمة العالم الحديث" (la crise du monde moderne.) الصادر سنة 1927، الكتاب الذي عرف رواجا كبير وحقق شهرة واسعة لصاحبه عرف "رونيه كيون بأعماله حول التصوف في جميع الديانات"» نقلا عن: Himoud brahimi, L’Identité Suprême, p 07.

[21] Himoud brahimi, LE SONGE D’UN ETE, in, L’Identité Suprême, p 23.

* **عبد المالك صياد**: عالم اجتماع جزائري ولد يوم 24 نوفمبر 1933 وتوفي يوم 13 مارس 1998 بباريس في فرنسا أين شغل منصب مدير بحث في (CNRS) ومساعد "بيار بورديو" عرف ببحوثه المرجعية حول الهجرة والمهاجريين.

[22] , Amar belkhodja, MOUVEMENT NATIONAL, Edition Alpha, Alger, 2013, p

[23] Amar belkhodja, MOMO LE POETE BENI, Poésie, Édition El Ibriz, Alger, 2013, p 18.

[24] للتوسع أنظر: أحمد عطار، انطونيو غرامشي، **موسوعة الأبحاث الفلسفية**، للرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، الفلسفة الغربية المعاصرة صناعة العقل العربية مركزية الحداثة إلى تشفير المزدوج الجزء الأول إشراف وتحرير علي عبود المحمداوي، تأليف مجموعة من الاكاديميين العرب، تقديم علي حرب، منشورات الاختلاف منشورات ضفاف، 2012 بيروت.

* **المارتينيكي** نسبة الى موطنه الاصلي جزر المارتينيك (Martinique).هي جزيرة تقع في شرق البحر الكاريبي.

[25] Amar belkhodja, MOUVEMENT NATIONAL. DES HOMMES ET DES REPERES, p 49.

* ثورة نوفمبر أعادة الاعتبار الى "**المرأة**" المناضلة وجميلات الجزائر شاهدا على ذلك (**جميلة** بوباشا ، **جميلة** بوعزة ، **جميلة** مين امران، **جميلة** بوحيرد، زهرة ظريف، باية حسين...) شاهد حوارات مع المؤرخ: "عمار بلخوجة"

https://www.youtube.com/watch?v=ZCfdfSaocrQ

https://www.youtube.com/watch?v=9uuNywCTd4I

[26] Himoud Brahimi, L'Identité suprême, (Où serait Dieu sans l'amour et le savoir ?) éditions El Kalima, 108 pages.

عمار بلخوجه

من الكتابة الصحفية الى الكتابة التاريخية

الدكتورة كلاخي الياقوت، جامعة تيارت

تعتبر الصحافة مصدرا هاما للتأريخ، فهي سجل يومي لتطور ديناميكية المجتمعات بحكم متابعتها اليومية للأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية[1].

تلك هي الأهمية التي أدركها عمار بلخوجة[2] بعد خمسٍ وعشرين سنة من الكتابة الصحفية ذات الطابع التاريخي متحليا بروح البحث ومتفننا في إختيار المواضيع من دراسة للأحداث تارة وللشخصيات تارة أخرى مركزا على المواضيع التي لم ينفض عليها الغبار، مخرجا إياها من بوتقة النسيان قائلا:

« Comme le maitre-nageur qui sauve les baigneurs menacés d'être engloutis par les flots, j'exhibe événement et personnage en proie de l'oubli »[3]

"مثلما ينقض السباح الغرقى من الغرق، أبرز الأحداث والشخصيات المعرضة للنسيان. "

إذ يعتبر عمار بلخوجة الشخصية التاريخية الفاعلة في الحدث التاريخي رمزا من رموز الوحدة الوطنية، وهو الذي قضى خمسٌ وعشرون سنة هي الأخرى في الكتابة التاريخية بعد ما استغل ما اكتسبه من خبرات خلال كتابته للمقالات الصحفية ذات الطابع التاريخي كما أسلفت الذكر، والتي احتاجت منه التدقيق في الحقائق وتتبعها لإثباتها أو نفيها، وهي الصفة ذاتها التي لا بد أن تتوفر في المؤرخ الجاد.

وقد كان لعمار بلخوجه منهجه في الكتابة التاريخية والذي جعل منه باحثا أكثر عناية بالتاريخ ومنافسا للمختصين في مجال التأليف والبحث، وهو الذي عرف بالتزامه في عمله وعناده في الوصول الى المعلومة أينما كانت، متخذا من التاريخ رسالة الى الأجيال.

فرؤية عمار بلخوجة للتاريخ كرؤية أي مؤرخ تمرس الكتابة التاريخية وبحث في طيات الماضي والتاريخ، إذ يراه ركيزة أساسية من ركائز البناء وتكوين الشخصية وبه نحافظ على الوحدة الوطنية.

تلك هي المهمة التي اكتسبها عمار بلخوجه من عمله الصحفي الذي كان يؤرخ فيه للحظة منتقلا الى التاريخ القائم على تفسير الأحداث وشرحها وأخذ العبر منها.

وكما يقول بول جونسون Paul Johnson الذي مارس هو الآخر الصحافة وانتقل الى التاريخ:

" هدف الصحافة والتأريخ هو نفسه ينقلان للقارئ المعرفة والمعلومات ومحاولة شرح الاحداث، لا يمكن القول أين ينتهي عمل المؤرخ وأين يبدأ عمل الصحفي، فالصحفي يؤرخ للحظة والمؤرخ للحقبة" (4)

ولا يمكن لأي صحفي أن ينتقل الى الكتابة التاريخية ما لم يتوفر على مؤهلات كالتي توفرت في عمار بلخوجه كالجدية في طرح المواضيع وروح البحث العلمي، وتتبع وقائع الأحداث، كما مكنه اطلاعه الواسع على الكتب التاريخية والوثائق الأرشيفية من كتابة التاريخ دون الحكم على الاحداث وذلك لتفتحه على التيارات المختلفة وهو ما جعله ينافس المختصين في التاريخ ويرقى الى صفة المؤرخ الجاد.

كما يركز عمار بلخوجة على ضرورة التحلي بالصدق في نقل الحقيقة التاريخية والاعتماد على الوثيقة وتمحيصها، ويؤكد على أن المصداقية في البحث هي أساس التمركز الحقيقي للباحث وإثبات وجوده بين الباحثين والمؤرخين.

وما يلزمنا بالمصداقية في نقل الحقيقة التاريخية هو المكانة الهامة للتاريخ، كونه أداة توجيه وتوعية وتعبئة، لِما فيه من قيم ومفاهيم ترتقي بالأجيال نحو البناء والاستمرارية.

ونحن من خلال إبرازنا لمفاهيم الماضي ومظاهره الإيجابية، نبرز دور الماضي في تكوين الشخصية القومية للفرد، وحين نؤكد مواقف تاريخية للأفراد أو الجماهير، فهدفنا من ذلك هو تكوين أنماط سلوكية إيجابية لدى أجيالنا(5).

وذلك ما هدف اليه عمار بلخوجة من خلال كتاباته ومؤلفاته التاريخية التي رأى فيها مكسبا وطنيا ومقوما أساسيا من مقومات الوحدة الوطنية، ففي التاريخ عِبر ومحطات نتوقف عندها ونحرك من خلالها الأجيال، فهي بمثابة همزة وصل للأفراد ورابط أساسي لوحدة المجتمع وتماسكه.

ويؤكد عمار بلخوجة إلى ضرورة الاعتزاز وتمجيد رموز الشخصية الجزائرية من يوغرطه الى بن مهيدي وغيرهم من جيل الثورة وكلهم رموز لا بد من السير على نهجهم في الدفاع عن الجزائر والحفاظ على هويتها الوطنية.

غير أن عمار بلخوجة كمؤرخ عصامي لم يكمل دراسته مغادرا المدرسة منذ الرابعة عشر من عمره، معتمدا على نفسه في تكوين شخصيته كصحفي، متمرسا للكتابة المقالات الصحفية ذات الطابع التاريخي، منتقلا إلى الكتابة التاريخية، وما جعل منه مؤلفا وباحثا في التاريخ جدية طرحه للمواضيع التاريخية التي جعل منها رسالة للأجيال، وتلك هي مهمة التاريخ المرتكزة أساسا على نقل الحقائق التاريخية التي قد لا تخلوا من الذاتية.

لذلك فإن الموضوعية المطلقة تكاد تكون مستحيلة، إلا إذا كان المؤرخ متفتحا على التيارات المختلفة فانه قد يكون حينها أقرب إلى الموضوعية، حيث يطمح أي مؤرخ أن يكتب تاريخا موضوعيا ومطابقا للواقع، وهو أمر يكاد يكون مستحيلا في كل العلوم الانسانية عامة والتاريخ على وجه أخص.

فكل كتابة تاريخية إنما هي تزوير بوجه من الوجوه وبدرجة من الدرجات، ذلك لأن التاريخ الذي نكتبه ليس أبدا عين الحقيقة(6).

وهو ما يلزم المؤرخ بتفسير الحقائق التي توصل اليها بطريقة منهجية وعقلانية وأن يصوغ التعميمات التي تشرح سلوك الناس والأمم عبر الزمن فان لم يقم المؤرخ بهاتين المهمتين فانه لن يكون مؤرخا، وانما سيكون مجرد كاتب حولية أو يوميات أو جامع للأخبار والروايات التاريخية وبذلك تخلو صفحات التاريخ من أي مغزى أو دلالة(7).

وفي هذا يشير **عمار بلخوجة** إلى ضرورة الاعتماد على أكثر من وثيقة وتتبع الحقائق التاريخية وإخضاعها لدراسة متأنية من جميع الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والظروف

السياسية وحتى النفسية، وبذلك يمكن للمؤرخ أن يقترب من الحقيقة، فمن المستحيل أن يعيش المؤرخ الحقيقة، لأنه بصدد دراسة الحدث التاريخي لا أن يعيش واقعه.

كما يؤكد **عمار بلخوجة** إلى عدم الحكم على الأحداث التاريخية، فالمؤرخ ليس حكما بل كاتبا للتاريخ وحسب، فغاية المؤرخ ليست تقييم الأحداث أو الحكم عليها بإصدار أحكام تقييمية، فالتاريخ ليس محكمة والمؤرخ كتبه كما وقع وليس كما كان يجب أن يكون على حد قول **بول فاين P.Veyne** في كتابه :"**كيف نكتب التاريخ**".

« L'histoire s'occupe de ce qui a été, et non de ce qui aurait du être »(8)

و لا يمكن للمؤرخ أن يكتب التاريخ دون المطالعة والقراءة وذلك ما مر به عمار بلخوجة، حيث يعتبر القراءة والمطالعة ركيزة أساسية لإتقان التأليف، وهو ما ذكرته **ماري لين رمبولا** في كتابها "**دليل الكتابة التاريخية**" حيث قالت أن معظم الباحثين يتفقون على أن القراءة والكتابة عمليتان متصلتان، فكلما قرأت ستبدأ رؤية روابط جديدة بين الأفكار والشخصيات والأحداث التي تدرسها، وعندما تسرع في الكتابة سيبرز لك أسئلة جديدة، الأمر الذي يدفعك إلى النظر مرة أخرى إلى النص الذي كنت قد قرأته بنظرات جديدة، والبحث عن مادة جديدة لمساعدتك على الإجابة عن الأسئلة(9).

ولتصبح قادرا على أن تبلغ أقصى قدراتك في عملك التاريخي لا بد أن تصبح قارئا فاعلا، فبعكس القراء السلبيين ينخرط القراء الفاعلون في حوار مع النص، فيطرحون الأسئلة ويدونون ملحوظاتهم ويربطون ما يقرؤون بمعلومات يعرفونها مسبقا ونصوص سبق لهم قراءتها، وليست قراءة التاريخ كقراءة المتعة الشخصية ولكي يصبح المؤرخ قادرا على أن تبلغ أقصى قدراتك قي عملك التاريخي لابد أن تصبح قارئا فاعلا، إن هذا النوع من القراءة المتأنية الناقدة أساس المشاركة الفاعلة والبارعة في الثقافات وفي كتابة بحث ناجح(10).

فالقراءة بالنسبة للباحث والمفكر أمر ضروري وركيزة أساسية من ركائز التمرس في الكتابة والتأليف وكما أسلفت الذكر فانه يتوجب على الباحث في التاريخ أن يقرأ قراءة متأنية.

فلا يصح أن يمر القارئ وخاصة المؤرخ على المعلومة مرور الكرام وانما يتوقف عندها ويمحصها، فتثير في عقله عشرات التساؤلات حولها وعن ارتباطها بما سبقها وبما يليها فيعود بعينيه وكأنه يسأل المؤلف عما ثار في عقله وباحثا عن اجابات لهذه الأسئلة التي توقدت في نفسه وهكذا يستمر الحوار بين القارئ وبين سطور الكتاب الذي بين يديه وكأنه يجلس مع الكاتب نفسه فيحاوره ويسأله(11).

وكلما اختار الباحث كتبا جيدة كلما تمرس في بحثه و في ذلك قول لرينيه ديسكارتيس عالم الرياضيات الفرنسي 1526 / 1650 :" ان قراءة الكتب الجيدة هو بمثابة التحاور مع أعظم العقول التي عاشت في العصور الماضية" (12)

فلا يكاد يختلف اثنان على أن القراءة الجيدة هي أساس التأليف والبحث الجيد، هذا على العموم أما اذا خصصنا بالذكر القراءة من أجل الكتابة التاريخية، وذلك ما يتطلب منا القراءة للموضوع من جميع الجوانب سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا ونفسيا دون اغفال أي جانب، وهو ما يمكن الباحث من التحلي بالموضوعية وان صعب على المؤرخ تجنب الذاتية والارتقاء بالتاريخ الى العلوم الدقيقة دلك أن الانسان هو العنصر الأساسي في الحدث التاريخي وهو ما يجعل ضبط الحدث التاريخي أمرا صعبا.

فالمؤرخ كأي إنسان هو نتاج بيئته وعصره ويتكيف معها ليدرس وقائع الماضي على ضوء الحاضر مستعينا في ذلك بزاد منهجي ومعرفي إستقاه المؤرخ من حاضره ومن محيطه الذي يعيش فيه، فيصعب عليه آنذاك أن يتجرد من هويته وماضيه ومشاغل عصره، ويضاف إلى تلك العوامل تأثيرات أخرى على العمل المؤرخ منها تكوينه عبر مراحل دراسته وتأثره بالتيارات الفكرية المهيمنة(13).

لذلك نجد أن اهتمامات عمار بالخوجه العلمية و دراساته في البحث التاريخي قد توجهت نحو المواضيع التي لمس فيها هدفه في ابلاغ الرسالة الى الشباب مركزا على اهتمامه بالشخصيات التاريخية دون اقصاء لأي شخصية من شخصيات تاريخنا العريق من العهد القديم الى عهدنا الحالي، فالتاريخ في نظره وكما أسلفت الذكر ليس ذكر الحوادث وحسب بل التاريخ عبر للأمم وتجديد والتوقف عند محطاته ليس الا استشرافا للمستقبل، فرجوعنا الى الماضي لا

للتوقف على العيوب من أجل النقد والحكم، فلا يكاد أن يخلو تاريخ شعب من عيب، ذلك هو الهدف الذي أراد عمار بلخوجه أن يبلغه من خلال مؤلفاته .

كما يمكننا أن نصنف عمار بلخوجه ضمن مؤرخي المدرسة الجزائرية الناشئة التي أشار اليها ابراهيم مهديد ، ومن بين مؤسسيها نذكر مصطفى لشرف، سعد الله أبو القاسم ، مالك بن نبي ، قداش محفوظ، جمال قنان، والذين عملوا من خلال دراساتهم الأكادمية الى ابراز تاريخ الجزائر و الهوية الوطنية في صورتها الحقيقة لا كما تريده الكتابات الاستعمارية من خلال نظرياتها الاستعمارية والعسكرية.(14)

أما عن اللغة التي كتب بها عمار بلخوجة فهي اللغة الفرنسية، وبما أنه من المهتمين بتاريخ الجزائر فقد كان إتقانه للغة الفرنسية من أهم ما ساعده على البحث، وهو ما يواجه الجيل الحالي المتخصص في التاريخ من صعوبة، فإذا فهم اللغة قد يتعذر عليه فهم السياق، على عكس المتقنين للغة الفرنسية ومواقع ألفاظها.

إذ تعد اللغة من العلوم المساعدة في منهج البحث التاريخي، وأهم فروعه فقه اللغة "Philologie" وعلم معاني المفردات وتطورها "Sémantiques"، فإن فهم نصوص الوثائق التاريخية التي تُكون مادة البحث التاريخي يتوقف على معرفة الباحث باللغة المدونة بها(15).

واللغات تتطور وتتغير من عصر إلى آخر ومن كاتب إلى آخر، وفهم تطور اللغة يفيد الباحث في فهم محتوى الوثيقة ويساعده على تحديد زمانها اذا كانت غير مؤرخة، وذلك من خلال معرفة نوع الخط الذي كتبت به، ومن خلال المفردات اللغوية المستخدمة في الكتابة، حيث أن لكل عصر مفرداته ومصطلحاته وتعابيره(16).

غير أن عمار بلخوجة يؤكد على أن اللغة الفرنسية هي وسيلة تعبير وبحث ليس إلا، وعلى الرغم من ضرورة إتخاذ اللغة كعلم مساعد بصفتها وسيلة للكتابة والبحث العلمي، فإن عمار بلخوجة يؤكد اعتزازه باللغة العربية، التي هي وسيلته في الطرح خلال محاضراته ونقاشاته العلمية، وان استخدمت اللغة الفرنسية من قبل كتاب ومؤرخين الجيل الأول لما بعد الاستقلال كوسيلة للتعبير عن هويتهم لا لنفيها، والاعتزاز بلغة المستعمر وذلك ما عبر عنه كاتب

ياسين :J’écris en français pour dire aux français que je ne suis pas français.

الهوامش:

1- حسين مجدوبي، الصحافة والتاريخ، جريدة لفنغورديا الاسبانية منذ 1881 شاهد حي على تاريخ المغرب، مقالة الكترونية

Alifport.com 2014.05.25

2- عمار بلخوجة. ولد في 16 نوفمبر 1941

- كاتب صحفي سابق بجريدة- *El Moudjahid* quotidien
- عضو مؤسس لمؤسسة الأمير عبد القادر .
- عضو سابق في مؤسسة 8 ماي 1945.
- مراسل سابق في مركز الدراسات التاريخية .
- كان الرائد في التأسيس لاحياء ذكرى الشهيد علي معاشي 8جوان 1958.

الاعمال المنشورة:

1- **ALI MAACHI – ART ET COMBAT :** 1990 - 50 pages - à compte d’auteur - Hommage à un grand interprète de la chanson algérienne, assassiné par l’armée française et pendue sur la place publique de Tiaret le 8 juin 1958. Epuisé.
2- **L’AFFAIRE HAMDANI ADDA :** 170 pages - Publication à compte d’auteur - 1991 - sur le chef de réseau urbain FLN de Tiaret - Condamné quatre fois à la peine capitale - enlevé de la prison d’Oran et brûlé par L’O.A.S le 12 Janvier 1962. Epuisé. Revu et enrichi et réédité par l’ENAG - 2009 - Traduit en arabe par le centre de recherche sur le mouvement national et la guerre de libération nationale. Edition en francais soutenue par le ministère de la culture. - El Biar - Alger. ENAG - 2013. Le cinéaste Abderezzak Hellal s’est inspiré du livre pour en faire un scénario. Accepté par le Ministère de la culture pour la réalisation d’un film.
3- **ALI EL HAMMAMI ET LA MONTEE DU NATIONALISME ALGERIEN :** 300 pages - Ed Dahleb - Alger - 1991 - vie et œuvre d’un intellectuel et patriote précoce natif de Tiaret - pionnier du nationalisme algérien qui a consacré toute sa vie à la cause algérienne, maghrébine, arabe et musulmane. El Hammami a trouvé la mort dans un accident d’avion survenu au Pakistan le 12 décembre 1949. Epuisé. Réédité avec le soutien du Ministère des Moudjahidine en 2007 sous le titre « Ali El Hammami - Toute une vie pour l’Algérie - Réédité avec le soutien de la Présidence de la République - 2008. Sous le même titre.

4- **PAGES DE NOVEMBRE :** 280 pages - Récits sur la guerre de libération nationale du 1er Novembre 1954. Publié par les soins de l'association « Machaal - Echahid » et de la Wilaya de Tiaret - juillet 1997. Réédité en 2014 par les éditions Alpha.

5- **CHRONIQUES DE TIARET** : à compte d'auteur - 1998 - Textes sur la vie en société illustrés par l'artiste peintre Abdelhaq Chaouch.

6**- MARIE CLAIRE BOYET - LA MARTYRE DE TAGDEMPT :** Ed. ANEP 2003 - 100 pages. Sympathisante du combat armé de novembre 1954. Assassinée par l'armée française le 15 octobre 1957 à Tagdempt (Tiaret).

07- KAID AHMED PORTRAIT D'UN PATRIOTE : Ed. Anep 2003 – conférence donnée en avril 2003 au Palais de la Culture Alger.

08- BARBARIE COLONIALE EN AFRIQUE : Ed. Anep 2003 – 170 pages - crimes collectifs commis par les armées européennes en Afrique de Nord et en Afrique Noire. Préface du Docteur Djilali Sari. Nouvelle édition soutenue par le ministère de la culture en 2015.

09.- **ALI MAACHI – ART ET COMBAT** – 200 pages. Revu et enrichi – Edité par les soins du Ministère de la Culture en 2005.

10-COLONIALISME, LES CRIMES IMPUNIS : 216 pages – Ed. Alpha Design - Alger - 2006 - Crimes collectifs et méfaits commis par la France à Zéralda, Mascara, Sidi Ali Bounab, Deshmia, Nadrouma, El Esnam et Oran de 1942 à 1953. Récits suivis d'études sur le colonialisme et le racisme. Nouvelle édition soutenue par le ministère de la culture en 2011.

11- MOMO – LA MAGIE DES MOTS : 240 pages – Ed. Alpha - 2006 - Alger - textes et poèmes de Himoud Brahimi (1918 – 1997), acteur, comédien, poète, nouvelliste, philosophe, personnage central dans le film « *Tahiya ya Didou* » de Mohamed Zinet.

12-L'EMIR ABDELKADER NI SULTAN NI IMAM : Ed. Alpha - 2007 - 200 pages- recueil d'articles de presse sur l'épopée du fondateur du premier Etat national moderne. Traduit en arabe par H'bib Chenini. Préface Waciny Laredj.

13-ALI EL HAMMAMI : du Rif à Karachi - l'épée et la plume - Ed. ANEP – 2007. Un patriote et intellectuel précoce qui a combattu toute sa vie pour la liberté de l'Algérie et la dignité de son peuple.

14-MOUVEMENT NATIONAL - DES HOMMES ET DES REPERES : Ed. Alpha – 2008. 300 pages - Etudes et biographies sur Mohamed - Cherif Sahli, Moubarek El Mili, Ben Badis, Ferhat Abbas, Messali Hadj, Emilie Busquant (épouse Messali), Roland Miette. Préface Fouad Soufi. Réédité avec le soutien du ministère de la culture en 2015.

15-LA PLUME CONTRE SABRE - MOHAMED BENSALEM LAGHOUATI : 200 pages - Ed. Lazhari Labter 2008. Un grand patriote qui a combattu le colonialisme français, 30 ans durant, en lui opposant une seule

arme : la plume. Ouvrage soutenu par une unité économique publique sur recommandation de monsieur Khaled Benzine.

16-ALI MAACHI - L'HYMNE ASSASSINE : 219 pages - Ed. Alpha - 2009 - ouvrage soutenu par le Ministère de la Culture. Réédité en 2014 dans la collection « Beaux Livres ».

17-MOMO – PAR L'IMAGE ET PAR LE MOT : 165 pages. 2009. Ed.Alpha - ouvrage soutenu par le Ministère de la Culture dans la collection « Beaux Livres ».

18-LA PASSION DE L'AUTRE : Recueil de poèmes - ouvrage soutenu par le Ministère de la Culture. – 300 pages – Edition Lazhari abtar – Alger – 2008.

19-MOMO LE POETE BENI: Edition El Ibriz – Alger – 2013 – 200 pages – Poèmes de Himoud Brahimi dit Momo, présentés par Amar Belkhodja sur une cinquantaine de pages. Soutenu par le ministère de la culture.

20-EN EPIANT L HISTOIRE : Ed-Alpha-2011- Alger 400 pages. Etudes historiques sur l'Emir Abdelkader, l'Emir Khaled, Ferhat Abbas, Chakib Arsalan. Les massacres du 5 juillet 1961, l'organisation administrative coloniale. **Préface de Kamel Bouchama.**

21-ARTS ET ARTISTES : Ed. El kalima- Alger. 2011. Etudes sur la musique. Biographies musiciens, comédiens, cinéastes, peintres. Préface Abdelkrim Tazarout. Soutenu par l'ONDA.

22-HALIM MOKDAD – BERROUAGHIA HEROÏQUE ET MARTYRE: Ed. El kalima - Alger- 2011. Crimes français et exploits ALN. Soutenu par l'ONDA.

23-TIARET - MEMOIRE - MIROIR : Ed. El kalima - Alger- 2011. Histoire sociale politique et culturelle. Biographies personnalités locales des plus humbles aux plus célèbres. Réédité avec le soutien du ministère de la culture en 2011.

24 -LES ENFUMADES DU DAHRA – LES 1.000 MARTYRS DES OULED RYAH :

Les crimes abominables de l'armée française – Ed. El Kalima – Alger - 2011.Réédition en 2014.

25 - NOUVELLES CHUTES – Recueil de poèmes, textes et nouvelles – 200 pages - Ed. ENAG –Alger – 2012.

26- CRIMES, MISERES ET FAMINE EN TEMPS COLONIAUX : 200 pages - Affres de la famine et crimes commis par les colons contre la paysannerie algérienne en 1867 et 1920. Editions Kalima, Alger 2013. Soutenu par le ministère de la culture.

27- GUELMA – UN CRIMINEL NOMME ACHIARY – 200 pages – Documents et témoignages sur les massacres du 8 mai 1945. Soutenu par le ministère de la culture.

<u>28-TIARET – LA REVOLTE URBAINE DU 8 JANVIER 1961</u> – 100 pages – Emeutes populaires à Tiaret, Sougueur, Gueltet-Sidi-Saad, Sidi Abderrahmane contre la présence française, répprimées dans le sang : 21 morts dont deux femmes. –Editions Alfa – 2013 -
<u>29-AISSAT IDIR et FERHAT HACHED</u> – DEUX SINDICALISTES MARTYRS – Le premier, secrétaire général de l'UGTA, assassiné par les parachutistes français en juillet 1959. Le second, secrétaire général de l'UGTT, assassiné par la Main rouge le 4 décembre 1952 à Tunis. – 206 pages – Edition ANEP – Alger – 2014.Réédition soutenue par le ministère de la culture en 2015.
<u>30-BAYA HOCINE</u> – AU CŒUR DE TOUS LES COMBATS – 220 pages – Poseuse de bombe dans la guérilla urbaine. La plus jeune condamnée à mort p (1957) pendant la féroce et impitoyable répression menée honteusement par le général Jacques Massu et ses parachutistes tortionnaires Ouvrage paru dans les deux versions (arabe et français) aux Edition ENAG. Soutenu par le ministère des Moudjhidine - Alger – 2014.
<u>31– HIMOUD BRAHIMI</u> – ***Qui suis-je ? Amour de Lumière*** – recherche et présentation Amar Belkhodja – Textes inédits de métaphysique. Recherche et présentation Amar Belkhodja – 300 pages.
<u>32- AMAR BELKHODJA</u>- L'ARPENTEUR DE LA MEMOIRE- *mémoires* présentées par docteur Khadidja Belkhodja- Ed. Alpha- Alger 2015.

Amar Belkhodja est :

- Auteur d'une préface sur les massacres des Ouled Sidi Mansour de Ali Kebrit - Université de Tiaret.
- Auteur d'une préface de ***Les chemins d'un militant* -** *Mémoires* de Ramdane Bouchebouba – Cadre du PPA- MTLD, membre du CRUA, cadre de la Fédération FLN de France – Ed. Alpha – Alger – 2009.
- Auteur d'une posface de ***Mes pensées en toute liberté*** recueil de poésie de Kacem issad.
- Auteur d'une préface de ***Kaleidoscop de memoires de guerre*** de Zoubeïda Mameria – Ed. El Kalima – Alger 2012.
- Auteur d'une préface ***Diwan sidi Lakhdar Benkhlouf*** de Abdelkader Bendamèch 2015.
- Auteur d'une préface de *Lalla Zouleikha Oudaï* de Kamel Bouchama.
- Auteur d'une recherche et présentation d'un traité de métaphysique ***l'identité supreme*** de Himoud Brahimi (dit Momo) – Ed. El Kalima – Alger – 2012.
- Contribution un travail collectif ***A quoi sert le livre*** de Kaddour Mhamsadji- Enag-Alger 2013.

- Contribution à un travail collectif ***Algérie 1954-1962- Les Robes noires au Front*** : ***entre engagement et*** « ***art judiciare*** » actes du colloque international en hommage à Abdelhamid Benzine, sous la direction scientifique de Malika El Korso -Alger -2012.
- Contribution à un travail collectif ***Fière Algérie – aux maux du cœur, les mots de la raison*** - Ed- Dalimen- Alger -2012.

Amar Belkhodja est l'auteur d'un commentaire sur les crimes de l'armée française (1954-1962). Documentaire audiovisuel réalisé par Abderrahmane Mostefa ***Les cuves de la mort*** diffusé pour la première fois en version française par la télévision algérienne le 18 février 2010.

Les Martyrs de Zeralda – Texte et intervention de l'auteur dans un documentaire de 26 minutes réalisé par ZEFILS en 2013 pour le compte du Ministère des Moudjahidine.

Amar Belkhodja est un conférencier qui participe à un grand nombre de rencontres en Algérie et à l'Etranger (Paris, Tétouan, Rabat, Bruxelles, Toulouse)

Pour des ouvrages dédicacés, l'auteur a reçu des félicitations écrites :

- Trois lettres de félicitations du Président de la République.
- Trois lettres de félicitations du Chef d'Etat-Major de l'ANP.
- Une lettre de félicitations du Général Abdelkader Lachkham, Directeur central des Transmissions au MDN
- Une lettre de félicitations du Ministre de la culture.
- Une lettre de félicitations de l'Ambassadeur du Pakistan à Alger.

3- لقاء مع عمار بلخوجة بمكتبة الواقع بحي 44 سكن، تيارت في 2017.01.26 على الساعة 15:00.

4- حسين مجدوبي، المرجع السابق.

5- فاروق عمر فوزي، دور التاريخ في القومية القومية، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، الطبعة الأولى، 1977، ص:06 بتصرف.

6- فريد بن سليمان، مدخل إلى دراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، 2000، ص- ص:15.

7- نفس المرجع.

8- نفس المرجع، ص:15 نقلا عن

P.Veyne,comment on ecrit l'histoire.ed.du souil.paris,1971,p:220.

9- ماري لين رامبولا ، دليل الكتابة التاريخية، ترجمة تركي بن فهد آل سعود، محمدبن عبد الله الفريح، دار الملك عبد العزيز، 1436هـ/2013م، ص 48.

10- المرجع نفسه، ص:49.

11- ساجد العبدلي، القراءة الذكيه،شركة الابداع الفكري للنشر والتوزيع، ط2، الكويت، 2007، ص 85.

12- نفس المرجع،ص 86.

13- فريد بن سليمان، المرجع السابق، 147/146.

14- مهديد ابراهيم، الفكر السياسي النهضوي، منشورات دار الأديب، وهران، 2006، ص 5.

15- كامل حيدر، منهج البحث الأثري والتاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1995، ص:144.

16- المرجع نفسه، ص:144.

عمّار بلخوجة عبر الأثير: حصة "تيارت زمان ومكان"

قراءة سوسيولوجية في طبونيميا المدينة

الدكتور ثياقة الصديق، جامعة تيارت

"تيارت الزمان والمكان، عودة لأحداث وذكريات الزمان باستنطاق المكان عبر كل زمان"

تأتيكم مع الأستاذ عمّار بلخوجة"[1]

ديباجة

الأستاذ عمار بلخوجة الذي بدأ حياته المهنية والبحثية ككاتب صحفي ثم مؤرخاً عصامياً، لم يتوقف عند هذا الحد، بل كانت له إطلالات أثيرية عبر الإذاعة والتلفزيون في الذاكرة والتاريخ ولازالت مستمرة حتى اليوم، خصوصا تاريخ مدينة تيارت، وما وقع فيها من أحداث دموية أبان الثورة التحريرية. فمنذ افتتاح الإذاعة المحلية بـ"**تيارت**"، كانت له مواعد معها ولا يزال يشارك في حصص ثقافية وتاريخية ذات طابع علمي وأكاديمي على ما يربو تسعة عشر سنة ولازال، أي منذ افتتاحها سنة1998 هذا ما أكدته لنا الصحفية المكلّفة بتقديم حصة النادي الإذاعي، كما كانت لي معه حصص إذاعية، أذكُرُ واحدة منها وهي المثقف ودوره في خدمة المجتمع كان ذلك من ربيع 2013، لذا ارتأيت أن تكون مداخلتي حول ما قاله الأستاذ عمّار بلخوجة، وليس ما كتبه، ذلك أن معظم ما يقوله عاشه وعايشه، فكثير ما يستعمل ضمير"الأنا"، بلا فخر بل بكل تواضع فهو عايش الأحداث التي يكتب عنها، فالأجدر بنا أن نهتم بما قيل لا بما كُتبَ، فهي شهادة حية على ما عاشه وعايشه، ***"فمن رأى ليس كمن سمع"*** .

إن لغة التخاطب أو اللغة المنطوقة والتي هي سمة الإذاعة هي الأصل وأن لغة التحرير أو اللغة المكتوبة فرع عليها "فاللغة أصوات مسموعة وملفوظة قبل أن تكون مكتوبة، ولقد اخترعت الكتابة على صورة اللفظ فأصبحت الرموز الخطية دالة على أصوات اللغة، وتابعة لها[(2)] ولما كانت اللغة المنطوقة هي الأصل الذي انبثقت عنه اللغة المكتوبة، هذا، كما نجد أن الإذاعة المسموعة ليست إلا مجموعة من الأصوات، أما الصحافة المكتوبة فمجموعة من الكلمات والمساحات البيضاء أو

الفراغات البيضاء التي تفصل بينها[3]، أضف إلى هذا أن جمهور القراء للكتب أو للصحافة المطبوعة على قدر معين من الثقافة ودرجة من الإلمام بالقراءة والكتابة، ولهذا فهو جمهور مختلف عن جمهور الراديو والتلفزيون الذي لا نضمن أن يكون قد وصل إلى مستوى ثقافي، أو حتى يجيد القراءة والكتابة[4]، لهذا نجد أن الجمهور في تعامله مع ما هو مكتوب (صحيفة أو كتاب) يختلف اختلافا كبيرا عن تعامله مع ما هو مرأي أو مسموع، ففي الحالة الأولى يأخذ هذا التعامل شكلا عقليا في أغلب الأحيان، بينما في حالة الصحافة الإذاعية يأخذ شكلا عاطفيا لأنها تصلهم عادة في إطار الحياة العائلية، وتقدم في شكل من الألفة والاسترخاء، ولكنها عناصر تهيؤ انفتاحا عاطفيا واندماجا بين المستقبلين والبرامج.

ولذلك نجد كثيراً من الباحثين والدّارسين لمّا يؤرّخون أو يتوقفون على قامة علمية كبيرة، أو جهابذة من جهابذة الفكر، يهتم أولئك الباحثون أو الدّارسون أو الكتّاب عامة بما كتبه، لا بمقاله، ولا غرابة في ذلك لأن أسمى ما توصل إليها الفكر الإنساني في مسيرته الحضارية، الكتابة، وهذا الحدث الحضاري الكبير، أرّخ الإنسان لماضيه وهذا الحدث إيضاً دخل التاريخ.

غير أن كثيراً ما قاله أولئك العلماء في ندوات علمية أو محاضرات أكاديمية أما طلبتهم، أو تدخلات أثيرية في الراديو أو التلفزيون– قد تكون أهم بكثير وفي غالب الأحيان مما كتبوه، أو كُتِبَ عنهم، بل أن هناك من العلماء في الجزائر ممن جمعت محاضراتهم في شكل كتب من طرف طلبتهم أمثال المفكر العالمي مالك بن نبي، والعلامة عبد الحميد بن باديس، وقد كان رد أحدهم مقنعا، لما سُئل عن عدم اشتغاله بالتأليف والكتابة، فكان جوابه:" إن صناعة الرجال وتأليف القلوب شغلنا عن تأليف الكتب"، وفي مقامنا هذا لا يعني أن الأستاذ **عمّار بلخوجة**، لم يؤلف، بل ألف ولا يزال في قمة عطاءه المعرفي وتأليف الكتب، وإلى غاية كتابة هذه الأسطر فهو لا يزال يجمع بين الكتابة الصحفية العلمية وتأليف الكتب(5)، إلا أن ما وددت التأكيد عليه وهو أن ما قاله عبر الأثير الإذاعي لا يقل أهمية عن ما كتبه. ونحن بدورنا نحاول في هذه الورقة البحثية القيام بقراءة سوسيولوجية في أحدى تدخلاته الإذاعية ضمن سلسلة حلقات **"تيارت زمان ومكان"**، فنحول ما كان مسموعا ومنطوقا إلى ما هو مكتوب فيصبح مقرؤا، ونفتح فيه نافذة أخرى، وقد اخترنا حصة

منها والتي تحدث فيها عن "**المكان**"، **أي أمكنة وفضآت، أي** تسميات لشوارع وأحياء من مدينة **تيارت**، أي قراءة في طوبونيميا المدينة التيارتية.

أولاً– التعريف بالحصة الحصة:

الحصة الإذاعية " **تيارت مكان**" هي ضمن سلسلة حصص إذاعية تيارت زمان ومكان، سُجلت بإذاعة تيارت يوم 1أفريل2012 بمقر الإذاعة وبثت في نفس الأسبوع على أمواج إذاعة وقد تحصلت عليها في ملف إليكتروني يوم الأحد20 جانفي 2017 من مقر الإذاعة واستمعت إليها كاملة وسنضعها ملحق إليكتروني في قرص صلب للقارئْ في آخر المقال، وقمت بتحليل مضمونها من منظور تخصصي الأنثروبولجيا وعلم الاجتماع الحضري، وضمن الحصة كان هناك متدخل واحد وهو الأستاذ "فريد بن رمضان"من جامعة مستغانم، وهو كذلك باحث بمركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بوهران، وقد قام بأبحاث كبرى وعديدة حول تسمية الأماكن(طوبونيمي) نشرت على مستوى مركز البحث في الأنثروبولوجيا بوهران، مع العلم أنه ابن مدينة "**تيارت**" التي عاش فيها وهذا ما يؤهله أكثر للعب دور الانثروبولوجي المعايش والمشارك بامتياز لمجتمع البحث، مادام الحديث عن أماكن من مدينة **تيارت**. ناهيك عن كونه مستشاراً لدى هيئة الأمم المتحدة.

أما **سير الحصة**، كالعادة بعد المقطع الموسيقي والترحيب بالاستاذ من طرف المزيعة وذكر عنوان الحصة" تيارت زمان ومكان"، ثم تبدأ المزيعة بمقولة في غاية البلاغة وفي نفس الوقت الحكمة:" ***"تيارت زمان مكان، عودة لأحداث وذكريات الزمان باستنطاق المكان عبر كل زمان" نأتيكم مع الأستاذ عمّار بلخوجة***"، وفي هذه المقولة دلالة عميقة على ما يتقاطع مع بحثنا في الزمان والمكان، أي طبونيميا الأمكنة، وشاعريتها، ثم يبدأ الأستاذ **عمّار بلخوجة** بالتحية ورد السلام والشكر للمذيعة على الاستضافة".... ربي أشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي– بالطبع كانت المداخلة باللغة العربية– رغم أن كتابات الباحث كلها بالفرنسية– ليست فصحى جيدة وهذه لغة الخطاب ألأعلامي ولو كانت من باحث متخصص، تتخللها كلمات أحيانا كثيرة بالعامية والفرنسية، وليس غريبا أن تكون هذه لغة الخطاب الإعلامي ولو من

باحث، ليس فيها تصنّع أو قواعد نحوية وغيرها مما تتطلبها الكتابة، فهي موجهة لكافة الجماهير على اختلاف توجهاتهم، وتباين مراتبهم العلمية.

ثانياً– عمّار بلخوجة عبر الأثير أو الخطاب الإذاعي:

يعرف المؤرخون وقراء الجرائد الأستاذ **بن خوجة** من خلال كتاباته حول الأحداث أو الأعلام والشخصيات التاريخية وذلك من منطلق تخصصهم المعرفي، والدافع لذلك، أنهم يجدوا فيه ضالتهم المعرفية، وخلافا لذلك – مما هو غير معروف حتى لأولئك المتخصصين والذين يعرفونه من خلال كتبه– إنه معروفاً أكثر من جمهور وقاعدة عريضة من المستمعين للإذاعة بمختلف توجهاتهم المعرفية وتباين درجاتهم العلمية، لكن ما يشترك فيه المستمعون والمقرءون له في مخيالهم الجماعي العام، إنه في نظرهم يروي أحداث زمان ماضية، ولاسيما تاريخ الثورة منه، وبالتالي هو يقع ضمن دائرة المؤرخ للأحداث لا غير، لكن حقيقة الأمر هو أكثر في نظرنا من ذلك، لأنه يؤرخ للمدينة ككل، فلا يكتفي بسرد الأحداث التي جرت على أرضيتها. المدينة هنا، بشواهدها المعمارية والعمرانية وآثر مبانيها القديمة والحديثة، بل حتى في هويتها من خلال تسمية أحيائها وشوارعها، وهنا يخرج عن دائرة المؤرخ إلى ما هو أوسع من ذلك وهو الأنثروبولوجي أو عالم الاجتماع، وذلك من خلال طوبونيمي الأسماء والتي تكلم عنها في إحدى حلقات الحصص الإذاعية **"تيارت زمان ومكان"** وبالضبط في حصة"**مكان**". تلك الحصة/المداخلة التي تحدث هو فيها عن مسميات مدينة تيارت، ونتحدث عنها نحن اليوم، أي عن" المكان"/الذاكرة"، والمقصود به هنا: " تاريخ مدينة تيارت"، التاريخ المبني لا التاريخ المحكي، ولا المروي عنه بالأحداث الماضية، أي تاريخ الشواهد المادية تاريخ "حاضرة تيارت" عمرانيا ومعمارياً، ونعني بها الآثار الباقية، "فهي أقوى دليل من الحضارة المكتوبة أو المأخوذة من بالفهم والاستنتاج، فعلماء التاريخ والآثار يعتمدون في دراستهم على مخلفات الأمم من التّحف المنقولة كالأدوات، وما إلى ذلك، ليتعرفوا بها على أحوالها وعاداتها وما كانت عليه في حياتها ومعيشتها اليومية، وعلى أساس ذلك يقيسون درجاتها في التقدم والتخلف، وإذا كان للتحف المنقولة هذا القدر من علماء التاريخ والحضارة وهو قدر عظيم، فليس من الريب أن العمائر والمباني لها في استنباط الحقائق الثابت التي لا تهاب ولا تحابى" [(6)]، ومن ثمة، أضحت العمارة (المباني) وما

تحمله من أسم، وما يماثلها من آثار قائمة، في مقدمة ما يحرص علماء تاريخ الحضارات والمدن على استنطاقه، والاستماع إليه، والوقوف على ما يخفي ويعلن عند تدوين تراث أجدادهم الأقدمين، وهذا كان من بين دوافع اختيار الجانب الحالي/ المديني العمراني، وبصفة أخص "الطوبونيمي" في تيارت موضوعا للدّراسة، والتي بثت ضمن حصص سلسلة أو حلقات "تيارت زمان ومكان".

وفي حقيقة الأمر إن للباحث مشاركات في برامج إذاعية أخرى مثل النادي الإذاعي ، إلا أن معظم مشاركاته في التاريخ والذاكرة كانت ضمن حصة سلسلة: **"تيارت زمان ومكان"**، يدور معظمها حول الذاكرة والتاريخ الجزائري ولاسيما المحلي(التيارتي) منه، حملت عنوان" تيارت زمان ومكان"، سيما وان غالبية تلك الحصص كانت تحكي ضمن تاريخ الثورة وقبله بقليل تاريخ الحركة الوطنية في تيارت،- وذلك من منطلق التخصص الذي رَغِب فيه عِصمة وليس أكاديميا- أي تاريخ النضال السياسي الجزائري والنضال الثوري والذي لم يكن بمعزل عن النضال الوطني وهذا لا يعني أن **عمار بلخوجة** له دراية بالتاريخ المحلي فقط. وهو بقوم بدور المؤرخ عن طريق الحكي والمشارك وشاهد عيان وكما سبق الذكر" ***من رأى ليس كمن سمع***" ، فقد شارك في عدة مظاهرات أبان الثورة وكما يقول هو بنفسه، بل أكثر ما يكرره دائما، ما كان يراه من مشاهد مروعة من قتل وجثث معلقة في ساحة الشهداء والتي كان يعرضها المستعمر أي الجنود الفرنسي لترويع الجزائريين، وكل من تسول له نفسه الإخلال بالأمن العام والاعتداء على الفرنسيين أو المشاركة في الثورة، وكل ذلك ملم يجد من الجزائريين إلا عزما وإصرار على المقاومة وإعلاء كلمة الحق، (والسيف أصدق أنباء من الكتب)، بل أن هنا اليراع أصدق أنباء من السيف، لأن مقاومة السلاح توقفت مع نهاية الثورة التحريرية، في حين أن مقاومة اليراع لازالت مستمرة ضد النسيان، ولن تتوقف مادام هناك رجال أوفياء لماضيهم ولوطنهم ولمجتمعهم حاضرا ومستقبلاً، عاشو وعايشو الحدث، وما لأستاذ عمار بلخوجة إلا أحد أعمدة هؤلاء. مقاومته بـمؤلفاته ومحاضراته الأثيرية عبر الآّعة، وهو من ن الذين جعلوا من اليراع سلاح لمقاومتهم ولحفظ ذاكرة أمتهم، وربما تلك المشاهد المؤلمة هي التي تركته يكتب ولا شك أنها أثرت فيه نفسيا، بل تحولت تلك المشاهد التراجيدية إلى قوة خلاقة ومبدعة وربما مسؤولية علمية للأجيال اللاحقة، ولم ينهزم أو تجعل من شخصاً يتباكى فيها الأطلال، بل أستيقظ ذاكرته، وأطلق العنان ليراعه ليدّون ما عاش، ليبقى شاهد على ما كان، والدليل على ذلك أنه في

معظم مداخلاته الأثيرية حول تاريخ الثورة أو مدينة تيارات دائم يكرر ساحة الشهداء في **تيارت** في جل تدخلاته وبالطبع أنها ذاكرة قوية، ذلك أنها أقوى ذاكرة وهي ذاكرة المكان. ولكن قبل عرض ما تضمنته الحصة "**تيارت مكان**"، تحتم علينا الضرورة المنهجية والضوابط الأكاديمية عرض موجز عن الإذاعة والخطاب الإذاعي، ذلك إن للخطاب الإذاعي سطوة علمية لا تقل عن سطوة الكتب العلمية والأكاديمية.

1- **مفهوم الخطاب الإذاعي**: يطلق هذا المصطلح على المادة الكلامية التي تعرض لموضوع معين يوجهه أحد المتخصصين إلى جمهور المستمعين والمشاهدين من خلال الإذاعة الصوتية أو المرئية، ويعرف أحيانا بالحديث المباشر نظرا لأن المتحدث يلتزم فيه أسلوب السرد (Narration) ويتوجه بأفكاره وآرائه إلى المستمع مباشرة فيما يشبه المحادثة الشخصية[7]، وقد يكون هذا الحديث دينيا أو سياسيا، اقتصاديا أو اجتماعيا، علميا أو أدبيا فنيا، رياضيا، تاريخيا أو عسكريا...إلخ، وفي كل الحالات فإنه يكون بمثابة معلومات ومعان وأفكار، قد يتضمن كذلك مقترحات وآراء، ووجهات نظر حول الموضوع أو القضية المطروحة وقد شرح الباحث عبد الله العلايلي مفهوم الخطاب الإذاعي" على أنه إبلاغ الصوت الأسماع، الأداء بمخارج الحروف، وتكييف الصوت حسب المقامات،" وانطلاق الإشارة بالمعنى...قالوا: هو جيد الإلقاء، حسن الإفضاء، أو بصيغة أخرى هو: فن النطق بالكلام على صورة توضح ألفاظه ومعانيه"[8] وعلى هذا يمكن القول أن الخطاب الإذاعي يرِد في نوعين من أساليب الاتصال هما:

الاتصال المباشر والاتصال غير المباشر.

ففي الاتصال المباشر أو المرتجل: يكون الإلقاء فوريا أو ملازما للحدق المنقول إذاعيا (نقل وقائع احتفالات رسمية، كالجلسات البرلمانية أو احتفالات خاصة، كالمباريات الرياضية أو المقابلات الشخصية...) ويحتفظ البث الإذاعي المباشر بطبيعته حتى ولو تم تسجيله أو أجري عليه مونتاج وأعيد إذاعته.

أما الاتصال غير المباشر أو المحضّر: فيقوم عادة على إعداد مسبق للإلقاء، أو الإخراج أو الأداء، ويعتمد هذا الشكل في البرامج الثقافية[9]؛ كما يتميز الإلقاء في الاتصال الإذاعي غير المباشر سواء أكان منفردا أو حواريا عند الإلقاء في الجمهور مباشرة ومجابهة، والحصص الإذاعية التي شارك فيها الأستاذ عمار بلخوجة ومنها حصص **"تيارت زمان ومكان"**، تنتمي إلى هذا النوع من الاتصال، وهذا عكس الاتصال المباشر الذي يعتمد على مواجهة الناس مباشرة عن طريق البيان باللسان الذي يعتبر السمة الكامنة في طبيعة الراديو والتلفاز؛ ومجاراة لهاتين الوسيلتين نجد أن الخطاب المسموع كذلك نوعان، فهناك الخطاب الصوتي (الإذاعة) والخطاب المرئي (التلفاز)[10].

2- سلطة الخطاب الإذاعي:

لقد تضاعفت دور وسائل الإعلام في عصرنا الحالي، وخصوصا بعد أن أصبحت أجهزة الاتصال الجماهيري المتعددة قادرة على إلغاء المسافات، وتخطي الحواجز والمسموعة والمرئية، كما استطاعت منذ ظهورها أن تكسب انتباه الجمهور في كل مكان وأيا كان مستواهم، وإن أهم ما يستوقف ويثير انتباه اللغويين والعلماء المحدثين هذا، والجميع يعلم أن للغة الإذاعة أو الخطاب الإعلامي وخصوصا المسموع منه قوة تأثيرية على النشء أفرادا وجماعات، وقدرة فائقة على التحكم في الجماهير من حيث أداؤهم اللغوي وتوجيههم، وذلك من خلال خطاباتها التي تتغلغل في النفوس وتؤثر مباشرة في العقل والوجدان.

وفي الواقع أن حاسة السمع كانت دائما ذات أهمية تفوق حاسة البصر وهذه حقيقى تؤكدها العديد من آيات الذكر الحكيم التي جاءت فيها كلمة السمع دائما مقدمة على البصر[11]، لقوله تعالى: **"يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"**[12]، وقال أيضا: **"إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا"**[13]، إلى غيرها من الآيات البينات التي تؤكد أهمية حاسة السمع على البصر، وكما يقول الشاعر:

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة ** ** والأذن تعشق قبل العين أحيانا

وعلى هذا النحو يمكن بأن الصوت في هذه الوسيلة العمياء، "الراديو" يخلق مسرحا خياليا، وذلك أن تجربة الاستماع غير المرئية للإذاعة الصوتية يمكن أن تقدم من خلال الخيال صورا أكثر اتقانا وحيوية من تلك التي يمكن أن تقدمها الوسائل المرئية، وذلك لأن المنظر في الوسائل المرئية يعبر عن تصور مصمم لما في ذهن المؤلف، وبذلك يكون المنظر بمثابة "تجميد" لخيال المشاهد لأنه يفرض عليه شكلا أو صورة معينة، وهذا عكس ما يجري في حالة الاستماع، حيث تقوم الإذاعة الصوتية بتحرير الخيال وإطلاقه بلا قيود أو حدود(14).

3- البرامج الإذاعية: يقصد بها مختلف الحصص الإذاعية التي تتناول مواضيع سياسية ثقافية، اقتصادية اجتماعية تربوية، ترفيهية، سواء في شكل الإلقاء العادي للأخبار أو أشكال فنية إعلامية خاصة ومؤثرات صوتية مناسبة(15)، ويتوقف نجاح هذه البرامج في مراحلها المختلفة (البرمجة، الإعداد، الصياغة، الإلقاء، الإخراج) على عدة عوامل أهمها:

- البرمجة المناسبة من حيث الترتيب والتوقيت والحجم الساعي والتنويع
- حسن إلقاء المذيعي وتنشيطه للبرامج بحيوية وعفوية بعد التحضير الجيد لموضوعه
- الدقة في الإخراج وجعله مناسب لطبيعة البرنامج وموافقا لرغبة المستمع مع استخدام المؤثرات الصوتية المثيرة للاهتمام. هذا بالإضافة طبعا إلى حسن الإرسال والاستقبال الخاصين بالجانبين المادي والتقني(16).

4- خصائص الإذاعة: للإذاعة خصائص تميزها عن وسائل الإعلام الأخرى:

1- يستطيع الإرسال الإذاعي أن يتخطى الحدود والموانع الطبيعية، مما يضمن انتشارا أوسع للرسالة الإذاعية، لذلك اعتبرت الإذاعة أسرع وسائل النشر فهي تتفوق بذلك على الصحافة والتلفزيون، ومختلف وسائل النشر الأخرى، فهي تصل إلى ملايين إلى البشر في ذات اللحظة بغض النظر عن نوعية المتلقي ودرجة تعليمه وثقافته وسنه، كما أن الإذاعة لا تحتاج إلى جهد من المتلقي كما هو حادث في وثقافة وسنه.

2- تعتبر الأمية والفقر من العقبات الرئيسية التي تواجه وسائل الاتصال في الدول النامية، وقد أدى ذلك إلى تحجيم دور الصحافة والتلفزيون في القيام بدورهم كاملا، وفي نفس الوقت كانت هذه

العقبات من الأسباب التي جعلت الإذاعة المصدر الرئيسي للمعلومات والإرشادات للغالبية العظمى من السكان في كثير من بلدان العالم الثالث(17).

3- كما تتميز الإذاعة باستعمالها لمختلف طرق التعبير والتأثير على العاطفة، التي تتمثل في المؤثرات الصوتية والموسيقية، مما يعطي للمستمع شعورا بالمشاركة ويكون تأثيرها أقرب إلى التأثير الشخصي الذي يقترب من الاتصال وجها لوجه.

4- يتصف "**الراديو**" بخاصية غاية في الأهمية ولا تتوافر تلك الخاصية في وسائل الإعلام الأخرى وهي ذاتية الراديو، فجهاز "الراديو" جهاز شخصي كما أن الاتصال عن طريق الإذاعة لا يحتاج إلى وسيط خاص، وأن الرسالة الإذاعية تصل مباشرة من المذيع إلى المستمع مما مكن الراديو من خلق علاقة قوية متينة بينه وبين المستمع.

5- من خصائص الإذاعة والتي تنفرد بها عن باقي وسائل الاتصال خاصية التكرار، وذلك عن طريق تسجيل المواد الإذاعية وإعادة بثها أكثر من مرة وبأكثر من طريقة مما يجعل للإذاعة قوة فعالة توازي قوة الاتصال الشخصي.

6- يعتبر الراديو كأحد أهم مصادر الثقة التي يحترمها الناس ويقدرونها وخاصة في الدول النامية، مما لا شك فيه أن نجاح عملية الاتصال تتناسب طرديا مع درجة الثقة التي يتعامل بها الناس مع مصادرهم ومدى اقتناعهم بما يقولون، فالمصدر والثقة يؤثران تأثيرا كبيرا في فاعلية الرسالة الاتصالية (18).

ثالثاً- طوبونيميا المدينة: قراءة في إستراتيجية التسمية

إن البحث في نصية الشارع أو فضاء المدينة العربية عموما والمغاربية أو التيارتية على وجه الخصوص، سواء من منظور سيميائي، أو سوسيولوجي يبقى نادرا وإلى حد ما من منظور"طوبونيمي"، بقي بحثا نادرا، ولكن ليس منعدما، فلقد توقف البحث في المدينة عند نمط البناء وشكل العمارة، أو عند دراسة الممارسات الاجتماعية، دون أن يحاول الرموز والتسميات التي يتحرك فيها الناس إلا نادراً، لذلك فإن هذه الدراسة تنظر المكان/المجال في المدينة أو الشارع باعتباره فضاء مستثمر حسب منطق رمزي، أي أن الشارع أو الحي هو بمثابة نصّ موزع بطريقة تعوزها البراءة، لا إرادية إلى حد

ما. ومن هنا تكمن رمزيته، المجال(الحي، الشارع) شاهد على أغلب التحولات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، كما يشهد أيضا على أغلب أحداث التاريخ المرتسمة على جدرانه[19].

إن الشارع ليس ذلك الممر الذي تطأه الأقدام يوميا، بل هو فضاء الحراك البشري في لحظة زمنية معينة، وهو المكتوب والمصور، وهو العَلاَّمَة الإرشادية واللافتة الإشهارية والألوان والأضواء، وهو الجدار بما فيه من هندسة معمارية توالت عليه الحضارات والأحداث وتقاطعت فيه، فخلفت آثارها فيه، وتركت شواهدها عليه. إنه صيغة مكثفة من صيغ تلخيص التاريخ في مدته من الممتدة[20].

إن التسمية في المدينة التيارتية، ليست نصا معلقا معزولا عن المجتمع وذاكرته، بل هي تخترق الخطاب الاجتماعي اليومي، وتنتشر في الفضاء الاجتماعي حسب منطق تراتبي تصنيفي، مما يدعوا إلى القول إن التسمية هي ظاهرة اجتماعية في وجه من وجوهها، وتمثل عنصر من عناصر ثقافة المجموعة الساكنة للمدينة والمتملكة لمجالها الحضري:إن" **ساحة الشهداء**"، وحي "**الامير عبد القادر**"،أو"**الريبيجو**"، أو"**سيتي روسو**"،"**درج سالم**"، هي أسماء تعرّف أنهج وشوارع وأحياء في مدينة تيارت، أصبحت بحكم التداول أو التكرار جزء من نسيج الخطاب اليومي، إلى درجة جعلت الأسماء تنزاح عن معانيها، فتنسى أو تفقد أحيانا دلالتها الاسمية الأصلية، وتبرز الدلالة الاجتماعية التي أنتجها الاستعمال الجماعي لها. وقد تنزاح التسمية الإدارية ومنها التسمية الوطنية(لشهيد، لزعيم أو تاريخ وطني)، ليحل محلها ما أتفق الناس حوله وتداوله، كأن تعوض تسمية شاع الأمير عبد القادر ب" **ريبيجو rue Bigeaue**"، وساحة الشهداء بساحة، "**كارنو**"، إذ هو تعويض باللغة الفرنسية، فهذا التعويض في كل الحالات ذا دلالة ثقافية واجتماعية، وهذا ما يؤلم الباحث **عمار بلخوجة**، فكان موضوع نقاش له عبر الأثير الإذاعي، وكان موضوع لدراستنا هذه.

1- الفضاءات الاستعمارية القديمة: من ساحة كارنو، إلى ساحة الشهداء

يتحدث عمّار بلخوجة عن الأمكنة، ويتابع السياق الدلالي لتسمياتها عبر حقبتين من الزمن، الحقبة الأستعمارية وحقبة الاستقلال في مدينة تيارت متألما وفي نفس الوقت متأسفا عن تسمية ساحة الشهداء والتي بقيت حتى اليوم تسمى بساحة "**كارنو**"، بالرغم على مرور أربع عقود من الاستقلال

فلم يُستدمج الاسم الرسمي بعد في الذاكرة الجماعية ويصبح لغة الخطاب اليومي لشاغلي الفضاء لما يتواعدون فيه ، أو يذكرونه، بقوله"..... .أخواني أخواتي السلام عليكم ورحمة الله ، ثم يواصل كلامه نواصل حديثنا عن تيارت زمان ومكان، أي الذاكرة ، واليوم نتحد عن تيارت/ المكان، نرجع لبعض أسماء الأماكن، نتأسف ونستغرب عن كثير عن بعض مسميات مجالات خصوصا تسميات الشوارع في مدينة تيارت بعد خمسين سنة من الاستقلال، لازالت تسمى بمسميات الاستعمار أي مسميات ما قبل 1962، رغم أن السلطات المحلية وضعت لهذه الأحياء لها أسماء رسمية أدارية بعد الاستقلال، وهذا شيء غريب ومستغرب وغير مقبول...." ثم يستسمح المستمعين لتأكيد كلامه بحادثة طريفة وقعت له وفيها نكتة وهي مؤلمة ".......هناك نكتة مؤلمة في حقيقة الأمر أحكيها لكم، تواعدت مع صديق لي آتي من العاصمة في صيف 2012 وتوعدنا على اللقاء في ساحة الشهداء، ولما وصل إلى ساحة الشهداء وجد شباب بمحل لبيع الجرائد والتبغ(كيوسك)، فسأل أحدهم، إين تقع ساحة الشهداء، فقال له الشاب لا توجد ساحة الشهداء هنا في مدينة تيارت ، بل ساحة ***كارنو***، ثم أعادها بالفرنسية، place de Carneau ، **كارنو**، هذا لو تعلمون هذا رجل دولة فرنسية، وقد سميت عليه الساحة، كان سفاحا ويقتل الجزائريين ويرميهم في تلك الساحة وخلال الثورة المسلحة،خلال الثورة المسلحة، كان خلالها الجيش الفرنسي يقتل المجاهدين والمناضلين ويرميهم في تلك لتهرهيب، كعرض درماتيكي وفرجوي مؤلم، أذكر منهم ***عدي معروف***، ***معاشي***، ***بوسترة الجيلالي***، ***جهلان محمد*** ....كل هذه الجثث، من ما هو معلق معلق ومن هو مرمي في الساحة........" ولما التقى به الزائر قال له"...نتأسف كثيرا على الرغم من أن خمسين سنة من الاستقلال لازلنا لا نعرف مجالاتنا ونسمي تسميات مجلاتنا وفضآتنا المدينية ب بتسميات معمرين فرنسيين ارتكبوا جرائم في حقنا،" وبطبعه الأستاذ عمار بلخوجة هو كذلك يتأسف(يكررها مرارا في حديث) ليس على مجال ساحة الشهداء بل معظم مجلات وفضاءات مدينة تيارت ويواصل حديثه"....البعض منا وللأسف لما نقول له نلتقي في شارع الأمير عبد القادر، يقول أووو (متعجباً) أين في ***الريبيجو، الريبيجو***. بيجو هذا من أكبر المجرمين الفرنسيين الذي تسلطوا على بلادنا الجزائر وارتكبوا جرائم في حق الجزائريين والإنسانية ككل، لكن تسمية الأمير عبد القادر، في الفترة الاستعمارية كان هناك فرع من الشبان الجزائريين ينتمون إلى حزب الزعيم الراحل فرحات

عباس، حزب UTMA الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، كان هناك مجموعة شبانية سمت نفسها" شبيبة الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري"، وكانت ناشطة أنذاك منهم: **مصطفى بلعربي**، عكاشة مختار، تركي عبد القادر رحمة الله عليهم، السي عبد القادر رحمة الله يخبرني 1956 وربما قبل، كنا لما نتواعد نقول نلتقي في شارع الريبيجو، يقول بعضهم لبعض يقولوا نلتقي في الريبيجوا يقولون "لا" نلتقي أو نتواعد اللقاء في شارع الأمير عبد القادر، قرروا تغيير الاسم لينكروا إسم الجنرال ***بيجو***" ويواصل الأستاذ عمار بلخوجة نفس الشيء يحدث له مع سائقي سيارة الأجرة:".أنا دائما في صراع مع الطاكسي أقول له أديني(خذني) لحي الإخوة **"قيطون"**، وهما أخوين شهيدين رحمة الله عليهما، يبقى يفكر الطاكسي يقول إين ***لاسيا*** CIA، Algerian compagnie immobilier ، وهناك شارع المؤدي لتك العمارة يسمى شارع فلسطيني، نفس الشيء بالنسبة نقول خذني لحي طواهرية قويدر وهو شهيد وتضحيته كانت مؤلمة وقاسية وهو أصله من هذه المدينة من حي ***"لومبار"*** ، ومازلنا نقول سيتي ***"روسو"*** ، روسو هو كذلك مستعمر جدا في حديثه مع سائقي سيارة الأجرة ككل لما إذا لابد ا، يكون لنا رد فعل أجابي اتجاه هذه الفضائيات بعد الاستعمار ، أكراما لأولئك الشهداء الذين ضحوا من أجل هذا البلد". وبصفتنا باحثين في حقل الانثروبولوجيا والطوبونيميا، لا نجد تفسير لهذا الأمر سوى أن ذاكرتنا المكانية لازالت مستعمرة، فبرغم من تحرير الأرض لم نحقق بعد تحرير الذاكرة. وإذا لابد من دخول أسماء الشهداء في الذاكرة الشعبية بالرغم من أن تسميات تلك الشوارع كتبت في الجريدة الرسمية وعلى جدران تلك الشوارع وهو ما يؤكده الأستاذ فريد بن رمضان في تدخله ويلح عليه عمار بلخوجة ، فقد بقيت تلك المسميات حبر على ورق.

2- التسميات في الفضاءات(الأحياء) الجديدة:

هناك إبداعات يقول عمار،و يقصد بها التسميات، أي تسميات للمجالات الجديدة أو القديمة تطلق من طرف المجتمع التيارتي، وبالنسبة للفضاءات الجديدة هناك شيء غريب تستعمل كثيراً من طرف القابضين في حافلات النقل الحضري خصوصا، وحتى سائقي الحافلات....مثلاً: طريق **"الجفاف"**، أو طريق **"البيضاء"**، رغم، لهذين التجمعين أسم يعرف بهما، كذلك نجد أسم

"***باطيمات اليتامى***"، عمارات "اليتامى"، لأن هاتين العمارات كانتا بعيدتين عن التجمع العمراني للمدينة، أي وحيدتين كاليتامى التي لا أبوين لهما، هناك عمارة في طريق بوشقيف عمارة طويلة حجمها طويل مكون من عدة طوابق، أطلق عليها السكان"تيتانيك titanik"، ونفس الشيء نقول خذني مثلا الى "لافونيرL'avenir" وهي شركة بناء فرنسية، للعلم فإن هذا الحي، سبق وأن سلطة البلدية أعطته أسم **جهلان محمد** وهو شهيد من الأموات الذين علقوا في ساحة **كارنو** أي ساحة الشهداء مع معاشي وبن سترة الجيلالي، .." ثم يتساءل الباحث"...لماذا الاسم هذا أسم الشركة فقد قامت بالبناء وأكملت وتقاضت أجر، لما حتى اليوم نذكرها ونقدم لها خدمة وإشهار وشهرة، بالرغم من تأخر الانجاز وعيوبه، ونفس الشيء بالنسبة لحي **فولاني** و **لافونير** وهناك أحيا كثيرة.....، أطلع على الملحق الأليكتروني، هناك حي نسميه "**غاناًبيرGanabir**" هو تعبير للاسم **Galebir** ، **غاليبير** هذا كان رئيس مجلس شعبي بلدي لمدينة تيارت في العهد الاستعماري وكان يكسب أراضي كثيرة قام بتقسيمها وبيعها للسكان فسمي الحي عليه **غانابير**.....، وهناك أسماء تكسب أسماء جزائرية مثل، أسماء بعض المؤسسات الجزائرية العمومية مثلما نقول: مستشفى" بن فرحات"، وهو نسبة إلى بن فرحات الطاهر الذي كان لا عب كرة القدم، مثل مستشفى **بلزرق**،. ثم يتدخل الأستاذ فريد بن رمضان بصفته ضيف شرفي في الحصة، وبصفته كذلك مختص في تسميات الأماكن، ويعرض عليه الأستاذ عمار بلخوجة خلاصة بحثه في تسميته لأماكن، أن هناك تسميات جديدية للاماكن لا تضر لكن هناك تسميات تضر مثل **الريبيجو كارنو**......الخ سيتي **روسو**، **غانابير**...الخ"، ومن خلال تكراره للفظ" يضر " مرات عديدة نستشف أنه يعيش آلاماً بداخله-بعد خمسين سنة من الأستقلال-، لا يقل عن ألآلام الجسدية التي تعرض لها من عايشو الأستعمار وتعرضوا للتعذيب، وإن ضجيج وضجرا في أذنيه لما يسمع اليوم لأماكن نعتز بها مروية بدم شهدائنا الأبرار، لاتعرف، إلا بالروبيجو، أو غانبير، روسو، .....وغيرها. يتصل الأستاذ فريد بن رمضان ويتدخل مباشرة، بعد تقديمه لتشكراته يقول:" ...بالنسبة للتسميات، أو نظام التسميات وبالخصوص تسميات مدينة تيارت القديمة، وليست تيارت الحالية، بل **"تيهرت"** الواقعة بنواحي **"تاقدمت"**، المدينة المؤسسة منذ العصر الروماني، ثم العصر الوسيط الإسلامية، تيارت كانت معروفة منذ ما يزيد عن عشرة قرون أو تزيد أحدى عشر

قــرن لــدى المــؤرخين، معروفــة بفضــآتها: "**باب الصــفاح**"،"**باب الأنــدلس**"، "**باب المطاحن**"،"**باب"الكنيسة"**، هذا يدل على أنها مدينة عريقة ولها أسامي عريقة، ثم لما حُطّمت المدينة من طرف الفاطميين، ....، أختفت وظهرت أسماء جديدة مع المستعمر هذه الأسماء الجديدة مثل **لونمبار** ،سيتي روسو ، هذه نتيجة عوامل تاريخية مثل TéRIgO **تيرقو** ترجع للكاتب فيكتور هيجو....، وهذا شي طبيعي لكل البلدان التي تأثرت بالاستعمار وهذا يدخل في أطار الحضارة أو التثاقف، وحتى منذ عهد الرومان كانت تعرف تيارات باسم" ***تينهرتين" ،"تينقرسيف"*** ، وفي العصر الوسيط سماهاه المسلمين" ***بتيهرت" مثل "إبن خلدون" ، و"إبن الصغير"*** ، أبو الفضة يقول" ***تاهرت"...الخ***، التسميات ترجع لعوامل تاريخية ، أما الاستعمال، أي الاستعمال الشفوي، أي تسميات الأماكن،***"طوبونيميا***"، هناك استعمال رسمي، واستعمال شفوي، فبعد الاستقلال غيرت التسميات من الفرنسية إلى العربية بصفة قانونية رسمية وأخرجت في الجريدة الرسمية، وجاء قانون من بعد ذلك يغير التسميات من الفرنسية إلى العربية، واستبدلت أسماء الشوراع والأنهج أسماء الشهداء والتواريخ الوطنية..."ثم يتدخل الأستاذ **عمار بلخوجة** لماذا نمجد الأسماء القديمة"بعض الأسماء ، نجحت في التغيير مثل "**العربي بن مهيدي**" في وهران، ففي الضمير الجماعي والممارسات اليومية وهذا راجع إلى الاختيارات

يتدخل الأستاذ عمار بلخوجة نفس الشيء بالنسبة لحي"**درج أبا سالم**"، بقوله"أنا عرفته صغيرا(أي سالم) كانت لديه مخبزة في ذلك المكان، وبعد الاستقلال أعطيناه أسم عكاشة مختار لكن لم يستدمج ذلك في الذاكرة الجماعية فبقي الاسم القديم درج "**أباسالم**" ولم يستطيع أن يعرفونه الناس بدون هذا الاسم، وبالتالي ليس التسميات الاستعمارية هي المسيطرة وإنما حتى مسميات لشخصيات جزائري وعليه الناس وتدولونه في خطابهم اليومي....." وبهذاأختتمت الحصة.

استنتاج: إن بهذه الأسماء من خلال كلام **عمار بلخوجة** نستنتج طمس وتسطيح للذاكرة وللهوية والتاريخ، وهي مسألة مهمة يفترض التنبه إلى ما فيها من طمس وتسطيح للذاكرة، لأن هذه التسميات تستبطن كثافة وعمقا تاريخيين، وفي استعمالات التسمية معان ودلالات، وليس هناك مجالا للأعتباط، وفي مضمونها تاريخ ومنطق وطرافة عقلية، ولكن أيضا"رؤية للعالم"، فالتسمية رهانا

كما يقول **بورديو**، وأن للمجال سلطة وذاكرة كما يؤكد ذلك **غاستون باشلار** في شاعريته للفضاء، فالمجال ليس معطى جامدأ بل فيه روح الجماعة التي تمتلكه وتطأه يوميأ بأقدامها، فالشارع نص والمدينة كتاب مفتوح الكل يحاول قرآءته حسب لغته الخاصة عبر سوقا لغويا، ولا يتأتى ذلك إلا بالبحث في مجال السيميولوجيا الاجتماعية والتي بدورها قادرة على تقديم رؤية جديدة لتسميات الشوارع والأمكنة في المدينة، مفادها أن هذا المجال الجغرافي الذي نتحرك فيه يوميا يكون نصا للقراء' أي للفهم والتفسير، وهي بذلك تقدم إضافة منهجية مهمة في دراسة ثقافة الحياة اليومية، وهي إمكانية قراءة ما لا يقرأ عادة داخل سياق نصي، ويبقى لكل مجتهد مصاب.

هوامش الدراسة:

1- كلمة افتتاحية الحصة للمذيعة.

2- فطومة سوسي، مقارنة تحليلية بين لغة التحرير ولغة التخاطب بالفصحى، رسالة ماجيستير غير منشورة، جامعة الجزائر، قسم العلوم اللسانية والصوتية، 1998، ص: 39.

3- شلبي كرم، الخبر الإذاعي- فنونه وخصائصه في الراديو والتلفزيون، بيروت، لبنان، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، 2008: ص 97. نقلاً عن كساس صافية، لغة الخطاب الإذاعي الصوتي والمرئي وتأثيرها على المجتمع، مجلة مواقف للدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، منشورات جامعة معسكر العدد السادس، ديسمبر2011، ص85.

4- نفسه، ص 93.

5- بيعت آخر أصدارته العلمية في معرض الكتاب الدولي بالجزائر العاصمة في أكتوبر2016، ويوقع عنها بنفسه ، إي البيع بالإهداء.

6- شتوان محمد، حنة حنان، فراجي يمينة، العمارة الإسلامية في قرطبة الأموية(138هـ-392هـ/756م-1002م) مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس في التاريخ، جامعة إبن خلدون- تيارت،20102011، ص: ب.

7- كساس صافية، المرجع السابق، ص85.

8- فاروق، س. 1999، ص: 11. نقلا عن المرجع السابق،ص85.

9- نفسه، ص: 86.

10- نفس، ص86.

11- كساس صافية، المرجع السابق، ص90.

12- سورة البقرة، الآية: 20.

13- سورة الإنسان، الآية: 2.

[14]- بلمداني بختة،، دور الإذاعة في نشر الوعي الثقافي عند المرأة دراسة ميدانية بمدينة تيارت،، مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس في علم الاجتماع الاتصال،2012-2013، جامعة إبن خلدون- تيارت، ص28، نقلاً عن أحدادن زهير، مدخل

لعلوم الأعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007، ص73، نقلاً عن بلمداني بختة،، دور الإذاعة في نشر الوعي الثقافي عند المرأة دراسة ميدانية بمدينة تيارت،، مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس في علم الاجتماع الاتصال،2012-2013، جامعة إبن خلدون- تيارت، ص28.

15- المرجع نفسه، ص:141.

16- عاطف عدلي البعد وفهمي عاطف العيد، مدخل إلى الاتصال، دار الفكر العربي، القاهرة، 2010، ص:167.

17- وخاصة الذين لا يقرؤون أو يكتبون وهم يمثلون نسبة كبيرة من سكان العالم الثالث، وقد أكدت كثير من الدراسات الإعلامية أن الراديو يعتبر المصدر الوحيد المتاح للإعلام والتعليم وربط سكان العالم الثالث بالعالم الخارجي، ففي دراسة قام بها "دوبير جنزي" على خمس دول افريقية أوضحت هذه الدراية أن 8.5% من الأشخاص الذين استجوبوا قد أكدوا أنهم يأخذون أخبارهم من الإذاعة. للمزيد من التعرف على خصائص الإذاعة، أنظر بلمداني بختة ، المرجع السابق، ص29-ص30.

18- قد ارتبطت الإذاعة في أذهان العامة في المجتمعات النامية بأنها مصدر الثقة ومن ثم زادت قدرتها على الإقناع وقابليتها للتصديق ويرجع ذلك إلى نظرة المستمعين للإذاعة في الدول النامية على أنها لسان حال الدولة الناطقة باسمها ومن هنا ارتبطت هيبتها بهيبة الدولة ذاته

[19]-بوعزيزي، محسن، السيميولوجيا الأجتماعية، مركز دراسة الوحدة العربية، بيروت ،لبنان، 2010، ص145.

[20]- نفسه، ونفس الصفحة، 145.

"باية حسين المرأة المناضلة"

بقراءة عمار بلخوجة

الدكتورة خديجة بلخير، جامعة تيارت

مقدمة

المرأة ذلك الكائن الإنساني الذي لا يكتمل وجوده إلا بممارسة حقوقه الطبيعية إلى جانب الرجل، رمز للعفة والطهارة والحياء على غرار ما كان ينظر إليها عبر العصور على أنها مجرد حاجة بيولوجية أو رمزا للذة والغواية، فهذا التصور الذي يعتبر إجحاف في حق المرأة قد تغيّر إثر التقلبات السياسية والثقافية والاجتماعية التي شهدها العالم، وأضحت المرأة أداة فعّالة في المجتمع تتمتع بكل حقوقها تماما كالرجل، غير أن هذا الأمر لم يتحقق إلا بعد معاناة أليمة عاشتها الأنثى في كل أقطار العالم، وبالأخص منه العالم العربي الذي كان ضحية التبعية والهيمنة الاستعمارية في العصر الحديث، هذا المستعمر الذي انتهك حرمات وثروات البلاد،فلم تنفع معه إلا القوة، وذلك بإحداث المقاومات والثورات من أجل استعادة الوطن، ولقد كان للثورة الجزائرية أثر بالغ في التاريخ لما حققته من انتصارات عظيمة يضرب بها المثل فهذا الصمود أمام العدوّ الفرنسي والذي دام قرابة مائة واثنان وثلاثون سنة مكن الشعب الجزائري من التحدي لكل الصعاب والعقبات التي تعتريه في مشواره النضالي، وللمرأة الجزائرية حضور قويّ في هذه المسيرة النضالية أمثال : لالا فاطمة نسومر حسيبة بن بوعلي، مليكة قايد، جميلة بوحيرد، وباية حسين وغيرهنّ، ولهذه الأخيرة وقفة مع المؤرخ الجزائري عمار بلخوجة الذي قام بتحليل سيرتها التاريخية ونضالها السياسي الذي كان قبل الاستقلال واستمر حتى بعده، فكيف كانت قراءته لتلك الأحداث التاريخية التي شهدتها باية حسين ؟ وما هو موقفه من نضالها إبان ثورة التحرير الوطني؟

يعتبر عمار بلخوجة[1] من المؤرخين الجزائريين الذين أولوا أهمية كبيرة للكتابة التاريخية، فانصب فكره في تحليل تلك الأحداث التي شهدتها الجزائر خلال ثورة التحرير الوطني، حيث وقف عند كل شخصية كان لها الفضل في الجهاد والمقاومة، وتعد باية حسين[2] من المناضلات الجزائريات التي خصص لها وقفة فكرية تستحق القراءة، هذه المرأة التي كانت رمزا للنضال والمكافحة، كادت أن تهمش في ضوء الكتابات التاريخية، ولعل هذا ما دفعه إلى الكشف عن بعض معالمها الشخصية والتاريخية، وإن كانت هذه الكتابات ليست بكثيرة العدد حسب رأي عمار بلخوجة " ولكن لها الأفضلية في إبراز التكريم لسيدة كانت قد اعتقدت أنّ تحرير المرأة الجزائرية الذي بدأ وأعلن من قبل ثورة نوفمبر 1954 التحريرية، سوف يتواصل بالضرورة،وسوف يتحقق خلال الأعوام التي تتبع الاستقلال "[3]، ومسألة تحرير المرأة شهدت ثورة كبيرة في العالم العربي الإسلامي خلال العصر الحديث، هذا العصر الذي مر بمرحلة صعبة جعلته يعاني تخلفا وتأزما في شتى المجالات، فكان من مسؤولية علمائه هو التفكير في الإصلاح والنهضة، وبدأت هذه الفكرة بالمشرق العربي مع الطهطاوي وجمال الدين الافغاني ومحمد عبده وغيرهم، فهؤلاء نادوا بالتغيير وإصلاح ما هو عائق في التنمية، بل وبضرورة تحديث المجتمع العربي بمتطلبات المجتمع الغربي، وكانت المرأة الشغل الشاغل في تلك الفترة باعتبارها أداة فعالة هي الأخرى في النهضة والتنمية إلى جانب الرجل ولكن مصطلح " تحريرها " لم يتوقف على جانب التعليم والعمل ومشاركتها في الجمعيات والمؤسسات، بل امتد ليمس نوعا ما من خصوصياتها التي تمثل جزءا من ثقافتها وتراثها كمسألة اللباس مثلا، وإن اختلف الأمر في المغرب العربي بحكم تقاليده وعاداته، وبحكم أيضا طبيعة المستعمر وما مدى سياسته التي كان يمارسها على بلدانه، فإنّ فكرة " تحرير المرأة " أخذت نصيبها من التطبيق، وأصبحت تمارس كل حقوقها، حتى حق السلاح والمشاركة في الحرب والثورة تماما كالرجل.

وفي ظل تلك الظروف التي شهدتها الجزائر خلال الأربعينات والخمسينات، كان على المرأة أن تساند الرجل لأن القضية هي قضية الوطن الذي يحمل مسؤوليته كل الكائنات التي تتربع على عرشه، بل لقد كانت فرصة للمرأة الجزائرية أن تثبت ذاتها وتضع بصمتها في

التاريخ، وفعلا تمكنت من ذلك بفضل مساهماتها البسيطة سواء على مستوى الأرياف بإعداد الطعام وغسل الملابس للمجاهدين أو العمل كممرضة لإسعاف المرضى والمصابين أثناء العمليات الثورية، بل منهنّ من كلفنّ بمهمّات تتجاوز طبيعتهنّ البيولوجية، ويرى كثير من الباحثين أن " المرأة الجزائرية أثناء الثورة التحريرية كانت أكثر تحررا منها بعد الاستقلال،فالثورة لم تكن ضد المستعمر فحسب، بل كانت أيضا ضد الأفكار البالية التي تميّز بين الذكر والأنثى في الإنسانية " [4]، لأن المرأة في المجتمعات العربية عامة وفي الجزائر خاصة لم يقتصر دورها سوى على الإنجاب والتربية و لم يكن لها حق في التعبير أو ابداء الرأي، بل أكثر من ذلك فلم تكن تحظى حتى باسمها كحق طبيعي، وقاسم أمين من خلال كتابه "تحرير المرأة" يصور لنا هذا المشهد، فبرغم من تكريم الإسلام للمرأة وإعطائها حقوقها، إلا أنّ المجتمعات الإسلامية تغافلت عن ذلك للأسباب كثيرة أهمها عدم فهم ووعي ما جاءت به تعاليم الإسلام، والثورة بهذا قد فتحت منافذ لإعادة النظر في قضية المرأة ككائن إنساني، لكن سرعان ما تراجع دورها بعد الاستقلال، وهو ما عاشته باية حسين وتحملته بخيبة أمل عميقة كما وصفها عمار بلخوجة، وذلك بسبب عودة تلك النظرة التقليدية، والتي تحصر المرأة في عالم المنزل خاضعة للنظام العائلي المعمول به في البيوت الجزائرية .

وقت الاستقلال اختفت المناضلات من الحياة السياسية، ذكرياتهنّ فقط ظلت ملتصقة بالذاكرة الجماعية، وبداخل كل واحدة منهنّ ظلت مخبوءة رغبة شديدة في العدالة الاجتماعية [5]، التي لم تنصفهنّ بحكم سلطات عليا جعلت أفضلية الذكر على الأنثى خصوصا في المجال السياسي، وابتعاد المرأة عن هذا المجال بالتحديد على حسب رأي بلخوجة هو دعوة لفتح أبواب التطرف الديني، لأن المرأة أداة فعالة في المجتمع وبها تبنى الحضارة والنهضة، وهذا ما أشار إليه المفكر الجزائري مالك بن نبي عند حديثه عن شروط النهضة فقال : " إن المرأة والرجل هما قطبا الانسانية، ولا معنى لأحدهما بغير الآخر، فلئن كان الرجل قد أتى في مجال الفنّ والعلم بالمعجزات، فإن المرأة قد كونت نوابغ الرجال ..وإعطاء حقوقها على حساب المجتمع معناه تدهور المجتمع، وبالتالي تدهورها، أليست هي عضوا فيه ؟ فالقضية ليست قضية فرد وإنما قضية مجتمع "[6]، وحينما يتعلق الأمر بمسألة

قومية تصبح القضية هي قضية الجميع، فلا تفضيل بين ذكر وأنثى وتحرير الوطن هو خطوة نحو التقدم والتطور .

والتفاتة المؤرخ عمّار بلخوجة إلى المجاهدة باية حسين ما هو سوى إبراز الدور الذي لعبته المرأة الجزائرية في ثورة التحرير، بالرغم من صغر عمرها آنذاك إلا أن الوطنية كانت تحيى في قلوب الصغار قبل الكبار، يقول بلخوجة : "باية حسين هي هذه المراهقة التي دخلت الحرب ضد الاستعمار في الوقت الذي لم يكن عمرها سوى 16 عاما، المعركة شرسة هي معركة الجزائر (العاصمة) معركة أطفال القصبة الذين تجرأوا على تحدي القوة والكره لكل من ماسو وبيجار، والجلادّين، العاملين في خدمة نظام صنع عار الانسانية : الاستعمار "[7]

فهذا الاحساس العميق والشعور القومي كان ينمو يوما بعد يوم في قلب باية حسين وهي لم تتجاوز بعد سنّ الرشد، والواقع المؤلم قد صنع منها امرأة قوية تتحدى الوجود، فخاضت غمار الحرب وهي تعلم ما يؤول إليه مصيرها، ولكن هكذا هي النفوس النبيلة الفاضلة التي لا تخشى الموت، وكرامة الانسان هو أن يعيش في عزة وسلام وليس في قلق وخوف وحرب ودمار، ووجوده كما قال عبد الرحمن بدوي هو " ما يفعله وأفعاله هي التي تحدد وجوده وتكونه " [8]، وهذا هو منطق التدبير في حياة الفرد، وما فعلته باية حسين هو المشاركة في عملية ثورية ضد المستعمر الفرنسي، والتي تمثلت في وضع قنبلتين في ملعبي العناصر والأبيار، فكانت سببا كافيا في حرمانها من رؤية الطبيعة وجمالها، فأدخلت السجن وحكم عليها بالإعدام سنة 1957، وفي السجن بدأت معاناتها النفسية خصوصا بعد تلقي خبر وفاة والدتها التي توفيت بسبب خبر محاكمتها، إلا أنّ المناظر التي شاهدتها في السجن من أساليب التعذيب والتنكيل التي استعملها المستعمر الفرنسي على الجزائريين، جعل ألم الجزائر بقلبها أكبر من كل شيء، فلم تجد وسيلة للتعبير عن ذلك سوى بعض الكلمات يدونها التاريخ بأقلام دموية " عندما لم يكن أحد يعرف لماذا تمّ سجننا، عندما كانت كل واحدة منا لا تعرف بماذا تهتمّ، وأنّ ذكرياتنا المألوفة تتلاشى وتمحى وأنّ كل واحدة منا تسأل القدر،

دخلت إلى سجننا عندما لا شيء بدا في الأفق "[9]، فالذكريات على تعبير برغسون هي أحوال نفسية محضة، وكلما كان الحاضر أليما ومفزعا تلاشى الماضي بكل تفاصيله الجميلة .

ويبقى الاستعمار هو بؤس الانسانية كما قال بلخوجة [10]، فلم يكن منصفا حتى في أساليب التعذيب التي أقامها في حق الجزائريين بل لم تسلم المرأة أيضا من خبثه ووحشيته، فكان جسدها الطاهر فريسة له ليشبع غرائزه الحيوانية، ولربما كانت آلامها تفوق معاناة الرجل باعتبارها كائن ضعيف، فجسمها لا يتحمل ولا يقوى على ذلك التعذيب الذي ينزع صفة الانسانية، فالمرأة كانت " ضحية العنف سواء من مناضلي حركة التحرير أو القوات الاستعمارية، وغالبا ما كان يمارس عليها العنف حتى الموت "[11] الذي أصبح خلاصها الوحيد من جحيم الحياة .

وحينما يفقد الجسد الأنثوي قَدَسيته التي أولى بها الخطاب الديني أهمية كبيرة،تضعف تلك العلاقة الايمانية بين العبد وربه، فيقصر العابد في أفعاله العبادية اتجاه خالقه الذي كرمه في أحسن تقويم، وتبدو هذه العلاقة جلية عند سادة الصوفية حينما يعتبرون الجسد وسيلة للمعراج الروحي، فهو بداية للارتقاء إلى عالم تتوحد فيه الذوات، وهو الوحيد الذي " يؤدي طقوس الصوفي، فهو الذي يجوع ويكابد ويحترق شوقا للوصول، ويتألم ويضحي بكل الملذات من أجل أن يكون لائقا بالروح "[12]، فتعذيب الجسد بلغة الصوفية يقابله تطهير الروح وتزكية النفس، وغيابه عن العالم الحسي هو تهيئته للحضور في عالم المكلوت حيث الانتصار على الذات والفوز الأعظم بالقرب الإلهي، لكن التجربة التي ذاقتها باية حسين لم تكن كذلك، على الرغم أن التاريخ يشهد لبعض القادة أن انطلاق تجاربهم الروحية كانت من السجن كالأمير عبد القادر الجزائري الذي خصص أوقاته للخلوة، فيفنى عن ذاته وعن الخلق ليبقى في حضرة الذات الإلهية ولهذه النفحات الروحية دور كبير للسجين والمتألم والحزين، هي وسيلة لاطمئنان وللراحة النفسية، بل وللنسيان لأنه " بمجرد تذكر الألم يتمّ عيشه من جديد بطريقة أو بأخرى، ولكن هو في الوقت نفسه وضع يتجه عكس الحفاظ على الذاكرة "[13] وهذا ما أدلت به باية حسين حينما قالت : " لا أرغب في تذكيركم بالوحشية الجسديّة

التي وأنا فتاة مراهقة، تعرضت لها من قبل جلاّدي من جهة أخرى ستعذرونني لعدم تذكيركم بالتفاصيل التي أرغب في دفنها إلى الأبد في ذاكرتي، ومحو رعب مرحلة من تاريخنا الذي عبر الأيام يحرك قساوة النّظام الذي قرر إعادة السلام إلى الجزائر " [14]، فنسيان بعض الحالات الماضية قصدا حسب فرويد، وبالضبط الأحداث المؤلمة التي نطردها في ساحة اللاشعور، هو وسيلة لتجاوز الألم والتعايش مع معطيات الحاضر .

و فعلا هذا ما آمنت به باية حسين، إذ بالرغم ما تعرضت له بقيت صامدة ولم تستسلم للوضع السيئ أمام العدو الفرنسي، بل زادها قوة لتواصل مهامها النضالية حتى داخل السجن، تقول باية : " الطريقة الوحيدة لتسجيل قرارنا بمواصلة المعركة، كانت تتجسد بالنسبة إلينا نحن المساجين، في الأناشيد الوطنية والدينية، وخاصة في يوم من إضراب الجوع الذي –إذا كان لديكم الصبر على العدّ–تواصل عمليا، خلال شهرين دون انقطاع، باستثناء أيام الأحد طبعا ..هذا الإضراب نفسه عن الطعام سيكون سلاحنا النّهائي لتحقيق مطالبنا الخاصة بالمبادئ السياسية، لم نكن سجناء الحقّ العام، كنّا سجناء سياسيين من جبهة التحرير الوطني "[15]، هي وسائل ترعب العدو وتتحداه، خصوصا مسألة " الاضراب عن الطعام " تشكل خطرا على حياة السجين، وبالتالي على سياسة فرنسا التي تدعي المحافظة على الانسانية أمام العالم، فأين هي من تعامل قادة الجزائر مع المعتقلين الفرنسيين الذين حظوا بالعطف والرحمة والإحسان، بل لم يحرموا حتى من ممارسة طقوسهم الدينية، فالدين هو قانون أخلاقي قبل أن يكون شرائع وتعاليم سماوية .

واللجوء إلى الإضراب عن الطعام وسيلة سلمية فعّالة لإيصال الصوت إلى العالم، أمّا تلك الأناشيد الوطنية والتراتيل الدينية هي حوافز تجدد الثقة بالنفس، وتفتح أبواب الأمل، كما أنّها تحقق السلام الروحي، وحتى هي بدورها توتر كيان المستعمر الفرنسي لأن عالم الأفكار أهم من عالم الأشياء وهو الذي نواجه به التحديات، وتستمر التضحيات للمناضلين والمناضلات الجزائريات في سبيل الوطن من أجل العيش بعزة وكرامة، تقول باية حسين : " مطالبنا تحققت بفضل التضحيات اللانسانية، أحتفظ شخصيا ويحتفظ كل

الأخوات وكل الإخوة بالآثار المرعبة على المستوى الجسدي والمعنوي "، فاسترجاع السيادة الوطنية وتحرير البلاد من المستعمر الفرنسي جاء بعد تجرد هؤلاء من هويتهم، التخلي عن سعادة الذات من أجل سعادة الآخر، إنها التضحية التي كانت تجري في عروق الشعب الجزائري، وهذا ما قالته تماما المناضلة لويزات إيغيل احريز [16]"كان همي الوحيد الذي يحتل الصدارة في فكري هو الجزائر المستقلة ذات السيادة ولا شيء غير ذلك ولا أكثر من ذلك "، فعلا هو إثراء لمفهوم الوطنية التي لا تخرج عن كونها سوى استعداد لتقديم التضحيات لمصالح البلد بل هي صفة أخلاقية تولدت عنها مفاهيم عدة كالمواطنة التي أصبحت فيما بعد حق من الحقوق السياسية، إذ الفرد له حقوق وواجبات اتجاه بلده، وللدولة حق اشباع الحاجات الأساسية للمواطن، ولعل أول ما يطمع فيه الفرد هو الحرية التي تعد حق طبيعي كما بيّن ذلك جون جاك روسو في كتابه العقد الاجتماعي حيث قال : " وتنزل الإنسان عن حريته يعني تنزلا عن صفة الإنسان فيه وتنزلا عن الحقوق الانسانية، وعن واجباتها أيضا، ولا تعويض يمكن لمن يتنزل عن كل شيء، وتنزل كهذا يناقض طبيعة الانسان، ونزع كل حرية من إرادة الإنسان هو نزع كل أدب من أعماله " [17]، إذ كيف يمكن للمرء أن يعيش بسلام إن سلبت منه حريته، فهذا التوتر والقلق الدائم الذي صاحب كل الجزائريين في تلك الفترة، هو الحافز للتفكير والتخطيط من أجل المطالبة بالحرية، فتجسدت تلك الأفكار في عمليات ثورية محكمة قهرت بها العدو رغم قوته وبطشه، وتحقق الانتصار بفضل أبطال ثورة نوفمبر التي خلدت في التاريخ إلى يومنا هذا، وقد عبر عمار بلخوجة عن معركة الحريات الديمقراطية كما يسميها بقوله : " .. كم كان عدد هؤلاء الفتيات اللواتي ما كدن يبلغن مراهقتهن واللواتي قبلن الانطلاق في معركة شرسة ضد الاستعمار والمدافعين عنه في لباس المظلين ...لقد غنى لهنّ، وأفتخر بهنّ كل مناضلي الحرية في العالم، فخصصت جيزيل حليمي كتابا كاملا لجميلة بوباشا، البطلة التي تعرضت للتعذيب، والتي كان لها الشرف أن تصبح إحدى لوحات بيكاسو، إذ قام الرسام الشهير برسم لوحة المقاومة الجزائرية، التي سوف تزين بحق كمدخل الكتاب المذكور .."[18] فالحرية كانت بالنسبة إليهنّ طوبى أو حلم لابد أن يتحقق على الواقع، بل هي شجرة الخلد وسقياها قطرات من الدم الأحمر المسفوح —كما

قال الكواكبي [19] والأهمّ من ذلك كله هو الوعي لما يحمله هذا المفهوم، لأن الحرية كانت في المجتمعات التقليدية سلوك وتجربة وشعار ومهما " تنفى من الواقع والمجتمع، لا يمكن أن تنفى أبدا من التاريخ، حيث في استطاعتها دائما أن تلجأ إلى الخيال، والخيال ينخر الواقع يوما بعد يوم، باستمرار وبعناد، حتى يأتي على أساسه ويطيح به، فتلج الحرية من جديد وبصخب، حيز الواقع والمجتمع "[20]، ومازالت إلى يومنا هذا أمل وشعار الكثير من بلدان العالم، وخصوصا البلدان العربية .

وإن ارتبطت الحرية في مفهومها بالليبرالية الغربية بحكم مبادئ العلم الحديث والمدنية، ومدى الاتصال والتواصل المباشر مع الآخر، إلا انها طرحت بمقتضيات الواقع الاسلامي، وحاول الكثير تقريبها بمفهوم العدل باعتباره قيمة متسامية في المخيال العربي الاسلامي وأصبحت فكرة الحرية أكثر نضجا في المغرب العربي من حيث التأسيس الشرعي والفلسفي، فأغلب رواد الثورة والنهضة لم يعتبروها حق طبيعي كما ذهب إليها أصحاب فلسفة الحقوق الطبيعية، وإنما هي حق قانوني " فالإنسان لم يخلق حرا وإنما خلق ليكون حرا" [21] وجاء هذا الرأي بحكم الظروف القاسية التي عاشها المغرب العربي من جراء الاستعمار الفرنسي، فأخذت " طابع الارتباط باستقلال الوطن أكثر من ارتباطها بحرية المواطن "[22]، لأنه ما إن تحقق الأول سيتحقق الثاني بطبيعة الحال، وعلى رغم الاهتمام الذاتي الذي خص كل بلد إسلامي ، إلا أننا نجد ضرورة المناداة بالوحدة العربية القائمة على أساس الاتحاد والتعاون، وهذا ما أكد عليه المناضل المغربي علال الفاسي في نظرته التي رأى أنها لا تتحقق إلا " بانفتاح العرب بعضهم على بعض، ليتحقق التقارب ومن ثمّ يقع التفاهم فيما بينهم وخصوصا أن الاستعمار قد ترك أثاره الفكرية والثقافية في ربوع الوطن العربي، لذلك كان من مقتضيات هذه الوحدة القضاء على الفوارق التي أحدثها الاستعمار، وذلك عن طريق التواصل بين الهيئات الشعبية التي تؤمن بمبدأ الوحدة " [23]، وفعلا هذا ما حدث مع الجزائر وباقي الدول العربية الأخرى خلال فترة الاستعمار، وخصوصا عند اندلاع ثورة نوفمبر، حيث تلقت يد العون سواء من الجانب المادي أو المعنوي من الدول المجاورة، وهي بدورها

كانت مساندة لهم ولدولة فلسطين خاصة وما زالت إلى يومنا هذا، فما يجمع الأمة العربية هو أكثر ممّا يفرقها .

ولعل الشعور بالقومية لدى الشعب الجزائري هو الذي وحد الصفوف، وجعل الانتصار حليفهم، تقول باية حسين: " أثور ضد الموانع التي يمكن أن تبعد عن القضية الوطنية، هذا الكنز الذي لا يقدر بثمن، الذي هو شبيبتنا بخصوصيتها الرائعة، والتي أنا شخصيا مقتنعة بذلك، هي رهاننا نحو المستقبل" [24]، فصناعة المستقبل تكون بالعمل الديمقراطي لا بالنظام الاستبدادي الذي لطالما مارسته فرنسا على أرض الجزائر، وبفضل" مشاركة المرأة الجزائرية في النضال من أجل التحرر، خلقت لها ظروف ملائمة للحد من الاستعمار الاستيطاني الطويل الذي فرض عليها، وصاحبها بشكل كامل وكلي" [25]، لأن المرأة هي أداة فعالة في المجتمع، إن تمّ صلاحها فقط صلح المجتمع ككل، وإن حدث العكس انحطت حضارة بأكملها، ومن سياسة المستعمر أن يجعل المرأة وسيلة للوصول إلى هدفه بحكم طبيعتها الأنثوية ومدى تأثيرها على الرجل، فتستعمل كثير من النساء كجواسيس لمعرفة خبايا وأسرار العمليات الثورية، أو ينخدعنّ بتقليد النساء الأوربيات في جوانب لا تغني ولا تسمن من جوع كمسألة اللباس مثلا، ولهذا حرص الكثير من علماء الجزائر آنذاك على ضرورة تعليم المرأة الجزائرية وتفقيهها في دينها، ومن بينهم عبد الحميد بن باديس الذي اهتم بموضوع تعليمها، وبالتالي تحريرها من الجهل والأمية،فالمرأة في نظره هي نصف المجتمع واللبنة الاساسية لبناء الأسرة، وإهمالها هو هدم لهذه اللبنة وتفكيك تلك الأسرة، خصوصا وهو يدرك تمام الادراك الخطر الذي يحدق بالأمة من جراء الاستعمار الفرنسي . ومثل هذه الفرص التي أتيحت للمرأة الجزائرية، مكنتها من الانخراط في جمعيات نسوية لمساندة جبهة التحرير الوطني، واستمر هذا النشاط حتى بعد الاستقلال، وهذا ما أدلى به المؤرخ عمار بلخوجة حول معركة باية حسين التي لم تتوقف في 1962، بل واصلت مسيرتها بانضمامها إلى الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات، وانخراطها كعضو برلماني في المجلس الشعبيّ الوطني، حيث أتيح لها الاستماع إلى انشغالات المواطنات والمواطنين والدفاع عنهم، وخصوصا حقوق المرأة تقول باية : " إنّ النساء واعيات بوضعهنّ، وهنّ عازمات أكثر فأكثر على المساهمة في تحسينه، لأنَ التغير يأتي تلقائيا، هو ثأر من الحياة

التي لم تدللهن، هنّ اللواتي لم يكن لهنّ حظ التعلم،فهنّ يردنه لأبنائهنّ، وبناتهنّ، التعليم سلاح للبنات، نحن متأكدون أنّ العيش سيكون أفضل للأجيال القادمة، كل الذي فعلناه ليس عبثا، يقظة الوعي والقوانين التي تصدر هي رهان جيد للمستقبل ..نحن الرواد، نحن فخورون بالأسس الموضوعية، التغيير مضمون، والمشعل سيسلم ويستلم" [26] فالتغيير هو مشروع النهضة والحضارة، ومواصلة ما انتهى إليه الأولون، ومادام الوعي واليقظة يصاحب العقل البشري فحتما سيكون مستقبلا أفضل للأجيال القادمة، هذا ما أدركته باية حسين بعدما ذاقت تجربة مريرة من المعاناة والألم والظلم الذي ارتكب في حق المرأة، إذ لا سبيل من تحريرها سوى العلم الذي ينير طريقها .

وما يمكن قوله حول مشاركة المرأة في الثورة الجزائرية، ومساندتها لجبهة التحرير الوطني لم يكن سوى مرحلة تأسيسية لمشروع نهضوي ساد كل أقطاب العالم العربي، فقد تمّ إعادة احياء مكانة المرأة في المجتمع بعدما همشت منه كليا، وأصبحت تشارك في أعمال وقضايا إلى جانب الرجل كالتمريض، والتعليم، وحمل السلاح وغيرها، ولم يعد ينظر إليها ككائن اجتماعي ينصب دوره على الانجاب والتربية والاهتمام بالمنزل وفقط، حتى وإن غابت تلك الأدوار بعد الاستقلال وهو ما أشارت إليه باية حسين، فهو غياب مؤقت لتحتل بذلك كل المجالات خصوصا السياسية منها، وأصبحت محل اهتمام لدى المفكرين والمؤرخين الذين ذهبوا يحللون ويناقشون الأدوار التي قامت بها اتجاه الدين والمجتمع ، وهو ما فعله المؤرخ الجزائري عمار بلخوجة مع مناضلة وضعت بصمتها في التاريخ (باية حسين)، هذه المرأة التي دافعت بعد الاستقلال عن حقوق المرأة المدنية والسياسية كمواطنة، و على ضرورة رد الاعتبار لكل النساء المناضلات في تاريخ الجزائر من خلال رسالة بعثتها إلى رئيس الجمهورية السابق شادلي بن جديد، حيث نصّ بعضها على ما يلي : " ...في الواقع بمجيء الحركة وجدنا أنفسنا نحن النساء المناضلات المحاربات أوائل ضحايا الاضطراب الاجتماعي لبلدنا الذي لم يحضّر لنا شيئا ..لا أستحي أن أقول لكم إنّها مهما كانت بطولتنا، فلا شيء حُضر لنا لهذا الواجب قصد القيام بمسؤوليات جديدة .."[27]، فهذا نص صريح من أجل الدعوة إلى استمرار النضال حتى بعد الاستقلال فمسؤولية المرأة تجاه الوطن لا تتوقف في فترة زمنية

محددة، وإنما يجب امتدادها عبر الزمن والجزائري الذي خاض معارك قوية ضد المستعمر الفرنسي، أنّى له أن يميت تلك المشاعر السامية التي اعترته اتجاه وطنه، تقول باية : " ..لا أظنّ أنّني مخطئة عندما أؤكد أنّهم كثيرون اليوم الوطنيون الذين يتمنون تقديم تدعيمهم المخلص في مختلف المهام "[28]، فالإخلاص والوفاء والأمانة والمسؤولية، كلها معاني أخلاقية راقية يعيها الإنسان كلما كان العبء ثقيلا، إذ لا مجال للتفاضل أو الاختيار حينما يتعلق الأمر بالحرية واسترجاع السيادة، وتقدير الذات بالنسبة لهؤلاء هو التضحية لأجل سعادة الآخر، وهذا ما عبرت عنه باية : " ..أشعر بفرح عميق برؤية جيل الحرب وجيل الشباب يمتزجان في هذا الهدف نفسه، الذي يجعلنا أمس اليوم لا نندم على تضحية أفضلنا"[29] فالنضال في مفهومه الباطني لا يُعد سوى المحافظة على الوطن .

لقد كانت إذن رؤية المؤرخ عمار بلخوجة للمناضلة الجزائرية باية حسين، رؤية تاريخية دقيقة، حيث قام بدراسة شاملة على مسيرتها الذاتية التي عُرفت بمدى تحدياتها للعدو الفرنسي، فوصف وحلل تلك الأحداث عن طريق اعتماده على المنهج التاريخي ، وكذا عن طريق لقاءاته الشخصية مع باية حسين واستشهاد أقوالها وهو بذلك قد قام بإبراز دور المرأة ومساندتها في الثورة الجزائرية، خصوصا بعدما رأى التهميش الذي حظين به من طرف الباحثين والمؤرخين والمفكرين .

هوامش الدراسة:

---

[1]-عمار بلخوجة مؤرخ وصحفي جزائري من أبناء مدينة تيارت، اشتغل مراسلا لجريدة المجاهد أكثر من 25 سنة، ثم صرف اهتمامه إلى التاريخ لولعه به فراح يكشف عن الجوانب الخفية في حياة الشخصيات الوطنية، خصوصا أبناء منطقته كحمداني عدة وعلي معاشي وغيرهما، له عدة مؤلفات من بينها : الاستعمار –جرائم بلا عقاب، ومومو "سحر الكلمات "، باية حسين ..الخ.

[2]-باية حسين مجاهدة جزائرية (1940-2000) من مدينة العاصمة، شاركت في عمليات ثورية ضد المستعمر الفرنسي، ألقي عليها القبض سنة 1957وحكم عليها بالإعدام، وكانت عضوا في أول برلمان جزائري بعد الاستقلال .

[3]-بلخوجة عمار، باية حسين، ترجمة : مصطفى فاسي، موفم للنشر، الجزائر، 2014، ص16.

[4]-مفقودة صالح، المرأة الثورية في الرواية الجزائرية لونجة والغول لزهور ونيسي نموذجا، مجلة العلوم الانسانية، جامعة بسكرة، العدد 02، جوان 2002 ص02.

[5]-بلخوجة عمار، باية حسين، المرجع السابق، ص20.

-بن نبي مالك، شروط النهضة، ترجمة : عمر كامل مسقاوي-عبد الصبور شاهين، وزراة الثقافة والفنون والتراث، قطر، [6](د.ط،د.س)، ص165.

[7]-بلخوجة عمار، باية حسين، المرجع السابق، ص162.

[8]-بدوي عبد الرحمن، دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط1، 1980، ص05.

[9]-بلخوجة عمار، باية حسين، المرجع السابق، ص170.

[10]-المرجع نفسه، ص20.

[11] -Danièle Djamila amrane –Minne ,les femmes face a la violence dans la guère de libération ,p .87(www.confluences-mediterranee.com).

[12]-هلال عبد الناصر، خطاب الجسد في شعر الحداثة،(د.ط، د.س)، ص39.

[13]-بلخوجة عمار، باية حسين، المرجع السابق، ص68.

[14]-المرجع نفسه، ص163.

[15]- المرجع نفسه، ص164-165.

[16]-بزيان سعدي، جرائم فرنسا في الجزائر، دار هومة، الجزائر، (د.ط)، 2005، ص76.

[17]-روسو جان جاك، العقد الاجتماعي، ترجمة : عادل عمر زعيتر، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط1، 2014، ص45.

[18]-بلخوجة عمار، باية حسين، المرجع السابق، ص167.

[19]-الكواكبي عبد الرحمن، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تحقيق : محمد جمال طحان، دار صفحات للدراسات والنشر، سورية، د.ط، 2016، ص183.

[20]-العروي عبد الله، مفهوم الحرية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط5، 1993، ص108.

[21]-هداري عبد الله، الليبرالية وتمثل الحرية عند الرواد النهضويين، مؤمنون بلا حدود (مؤسسات دراسات وأبحاث)، المغرب، (د.ط، د.س)،ص11.

[22]-المرجع نفسه، ص12.

[23]-رحاي محمد، من أعلام الحركة التحررية في المغرب العربي " علال الفاسي نموذجا "، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 432 2015، ص148.

[24]-بلخوجة عمار،باية حسين، المرجع السابق، ص174.

[25] -Beatrice borghino ; les combattantes de la guerre de libération national au regard de l’approche de genre et d’autres conflits armes ;5 colloque international sur le rôle de la femme algérienne durant la révolution 1954 /1962,université de Skikda, décembre 2010 ;p10.

[26]- بلخوجة عمار، باية حسين، المرجع السابق، ص212.

[27]-بلخوجة عمار، باية حسين، المرجع السابق، ص226.

[28]-المرجع نفسه، ص227.

[29]-المرجع نفسه، ص227.

دفاتر تيارت وجه آخر للأنثروبولوجي عمار بلخوجة

"قراءة منهجية لكتاب دفاتر تيارت"

الدكتورة الماحي ليلى، جامعة تيارت الدكتورة حيدة نسيمة، جامعة مستغانم

مقدمة

تقتضي ضرورة البحث العلمي العمل وفق مناهج وتقنيات منهجية توجه الباحث للوصول لهدفه من الموضوع هذا ما ينطبق على كل التخصصات المعرفية، هذا ما يحتاجه ك باحث اكاديمي يتكون خصيصا ويتعلم ليصل للهدف المرجو من بحثه خصوصا ومن البحث العلمي عموما، قد لا نستغرب إذا تفوق وتميز باحث معين في اختصاصه وقدم الكثير وأسهم في تنمية البحث العلمي مهما يكن تخصصه، لكن أن نجد باحثا عصامي التكوين يعمل في إطار تخصص معين وينمي قدراته البحثية وينفض غبار الركود على الذي يصيب أحيانا هذا أو ذاك التخصص هو الأمر الذي يثير حفيظتنا ويفتح لنا قوسا للبحث في طبيعة هذه الشخصية والمثير للحفيظة والرغبة في البحث أكثر أن يكون هذا الباحث متميز جدا في تخصص آخر ويعمل وفق منهج هذا التخصص وبأدق تفاصيل تقنياته ومتمكن منه دون علمه،وهذا طبعا راجع لطبيعة تكوينة القوية، هذا ما سنعالجه في اوراقنا البحثية التي خصصناها للشخصية الوطنية عمار بلخوجة من خلال التطرق لمجموعة عناصر تراوحت بين مدخل بيوغرافي نكشف من خلاله عن جزء من شخص "عمار بلخوجة" من مولد ومسقط رأس وتربية ووضع أسري منتقلين بعد ذلك لعرض منتوجه الفكري واعماله التي تعتبر ثروة تستحق الدراسة، ثم اهتماماته ثم حاولنا إعطاء قراءة لكتابه وقائع من تيارت قراءة منهجية لمسنا من خلالها كل خطوات ومراحل المنهج الأنثروبولوجي التي يعمل وفقها كل مختص في هذا المجال من أبسط قواعدها حتى أكثرها تعقيدا، فمن هو عمار بلخوجة؟ ماذا قدم للبحث العلمي؟ أين يمكن ان نصنفه رجل تاريخي أم باحث أنثروبولوجي؟ للإجابات على هذه التساؤلات البسيطة قدمنا اوراقنا البحثية هذه كمايلي:

أولا: مدخل بيوغرافي لعمار بلخوجة

عمار بلخوجة من مواليد16 نوفمبر1942،مقيم بتيارت منذ سن السادسة، متحصل على شهادة الدراسة للمستوى الإبتدائي سنة 1956 من مدرسة كولونيالية، والمفارقة التي تستحق الإلتفات هي علامة الصفرالتي تحصل عليها في امتحان مادة التاريخ للشهادة المتحصل عليها، هذه العلامة التي كانت محفزا له ولم تثبط من عزمته حتى يعمل على التاريخ بكل دقة وعمق وبامتياز.

يحمل من الطيبة والتواضع والخجل ما جعله ذا نزعة إنسانية وأخلاق نبيلة حيث يمكنه أن يتنازل عن مقعده في سيارة الأجرة والحافلة، صاحب حس مرهف لدرجة أنه يستطيع تمييز صوت أثر أقدام العامل الحزين المعاقب من طرف رئيسه في العمل[1].

توقف عمار بلخوجة عن الدراسة المؤسسية بعد حصوله على شهادة السنة السادسة، لكن هذا لم يثبط عزيمته وحبه للعلم فواصل المسيرة عصاميا معتمدا على مواهبه، فقد تميز باكتساب اللغة الفرنسية التي لم يرفضها فقط لكونها لغة المستعمر بل كان ذكيا بما يكفي لتعلمها واستغلالها في مجال البحث والإطلاع الأمر الذي عزز عصاميته في التعليم لأنه كما هو معروف عصامي التكوين[2]، وكيف لا نعرف ذلك وهو الغني عن التعريف، فهو لم يقدم على شهادة الباكالوريا ولا على تعليم جامعي ولم يتحصل على أدنى شهادة للمستوى الجامعي[3]، كلها بوادر تفوق وذكاء وتميز.

لكن اللغة الفرنسية لم تكن كافية لتفوقه بل كانت أحد مفاتيح دخوله عالم التفوق لأن بحثه واطلاعه واحتكاكه بفئات المجتمع فتح له آفاق الإطلاع على جانب مهم لجمعية العلماء المسلمين التي مثلت قاعدة قوية في بناء شخصيته، ومثلت الجمعية أحد أهم مرجعياته المعرفية

AmarBekhoudja ;L’Arpenteur de la mémoire ,édition :1KhadidjaBelkhoudja Alpha,Alger,2015,page,07.

2 مقابلة هاتفية مع "عمار بلخوجة" رقم (03) يوم: السبت 28 جانفي على الساعة 13:24.

AmarBelkhoudja ,page 07.:3Khadidjabelkhoudja

الدينية والتي انطبعت على شخصيته[1]، وكما يقول "عمار بلخوجة" في مبدء التعرف على شخصية أحدهم لا يجب ان نسأله عن أصله ولا عن نسبه ولا أن ان نطلب منه لمحة عن نفسه بل وجب أن نستنطق أفعاله ومعاملاته وطريق عيشه ونبحث في واقعه هذا ما أقرته الباحثة "خديجة بلخوجة بأن "عمار بلخوجة" ممن يستفيقون باكرا على صوت آذان صلاة الفجر[2] ، وهذا فعلا استنطاق لسلوكه الذي يعبر بوضوح عن مرجعيته الدينية التي ارتشفها من اطلاعه على ما كانت تقدمه جمعية العلماء المسلمين في فترة الاستعمار.

تربى " عمار بلخوجة" يتيم الأب، فقد توفي والده وهو ابن الشهر الثامن فقط من عمره، لكن هذا لم يكن محبطا له ولم يشعره بفقدان الأب لوجود أم في حياته كانت هي الأب والأم وسنده في الحياة، فرغم أنها كانت أمية لا تقرأ ولا تكتب لكنها كانت على قدر عالي جدا من الأخلاق والعاطفة والإلتزام.

زودته بجرعات أخلاق عالية،وشربته مبادئ انسانية وبطولية راقية جدا وغير قابلة للمقايضة في سوق الحياة وزرعت فيه الروح الوطنية وحب الوطن[3].

هنا نفتح قوسا كبيرا لنذكر بأن عمار بلخوجة عاش طفولته ومراهقته وبداية شبابه في الفترة الحساسة جدا من الثورة على الاستعمار الفرنسي، وواكب اندلاع ثورة التحرير الوطني وهو إبن العشرين من عمره [4]، هذه الفترة التي كانت مشحونة بغضب المستعمر الذي ترجمه في الظلم والتنكيل والعنف والقهر وسياسة التجويع والتقتيل، فلم تفعل هذه السياسة فعلها في النفوس الراقية النقية التي جرفها تيار الروح الوطنية وحب الوطن بما فيها روح عمار بلخوجة [5]، التي رفرفت في الكثير من المناسبات، وفوق الكثير من قمم الوطنية، كيف لا وقد كانت والدته كلما

مقابلة مع "عمار بلخوجة" رقم (01) يوم: الخميس 19 جانفي 2017 على الساعة 11:00بتيارت. 1

.08AmarBelkhoudja ,page :2Khadidjabelkhoudja

مقابلة مع عمار بلخوجة رقم (03): سبق ذكرها.3

Fière Algerie aux maux du cœur ;les mots de la :4 Samira Ben elrisoulebsir raison ,édition Dalimen,Alger,l'Algerie,2012,page21

.08AmarBelkhoudja ,page :5Khadidjabelkhoudja

هم بالخروج واكبته قرب الباب لتأييده والرفع من عزيمته وتشجيعه بقولها :" دعوة الخير عليك كي راك تخدم على الشهداء" [1]، كيف لا يحمل عمار بلخوجة الرسائل والكتب وينقلها للمجاهدين وله أم تملك من حب الوطن والروح الوطنية ما يشد على قلب الأم التي تخاف استشهاد إبنها؟ هذا ما بنى فكر وقلب عمار بلخوجة الراقي النزيه المشبع بحب التعلم.

بالرجوع لطبيعة شخصية عمار بلخوجة ومن خلال الكثير من الوقفات قد يستنتج القارئ الذي يطلع أول مرة على هذه الشخصية الجزائرية، أنه يملك عزيمة قوية، لم يحبطها تجبر المستعمر بل زادها قوة، وبالوقوف على علامة الصفر في مادة التاريخ التي تحصل عليها عند حصوله على شهادة السنة السادسة يتأكد ما قلناه، هذه العلامة التي عززت من حبه للماضي ورغبته في تقليب صفحاته ونفض الغبار عن الكثير من الشخصيات التاريخية وهذا ما شكل أكبر دافع لعمله في مجال التاريخ حيث بحث ودون الكثير من الاعمال عن شخصيات تاريخية جزائرية واكبها وتأثر بها وأثر فيها، لكن ما سبب هذا الولع بالرجوع للماضي ياترى؟

ليس الأمر بالغامض ولا المعقد بل بالمشوق الفاتن فالمطلع على بعض تفاصيل حياة "عمار بلخوجة" سيعرف جيدا أنه محب لشخصية "يوغرطا" التاريخية والذي عرف عنه تاريخيا انه حارب الرومان بشجاعة وتم أسره ومات في ظروف قاسية جدا،كما أنه كان ولا يزال مولعا بشخصية الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة[2]، هذا التأثر لم يكن ارتجاليا عابرافي حياته بل ترك بصمته في الكثير من محطات حياته أبرزها حبه للتصوف ولإبن عربي الذي عرفه من خلال حبه لشخصية الأمير عبد القادر، كما أن ذلك المجاهد المحب للتاريخ والتدوين التاريخي كان فنانا راقيا بنبل اخلاقه وصفاء روحه بلخوجة الرسام وعازف الكمان، كلها محطات تكاملت في هذه الشخصية وشكلت فسيفساء رجل أمثاله نادرين.

ثانيا: ماذا قدم عمار بلخوجة؟

مقابلة هاتفية مع عمار بلخوجة رقم (03) سبق ذكرها.1

مقابلة مع عمار بلخوجة رقم (03) سبق ذكرها.2

قدم عمار بلخوجة الكثير من الأعمال تراوجت بين ما شغله من مناصب وما أنتجه من أعمال منشورة وغير منشورة.

اشتغلعلى الصحافة وكان صحافيا متمرسا حيث عمل في الصحيفة اليومية ElMoudjahid من سنة 1970 حتى سنة 1995، كان من مؤسسي مؤسسةالأمير عبد القادر، كان من بين الأعضاء القدامى المؤسسين لحركة 08 ماي 1945، كان مراسلا في المركز الوطني للدراسات التاريخية، بادر بارساء اليوم الوطني التكريمي للشهيد الفنان علي معاشي، سهام بكتابة نصوص حول جرائم الاستعمار رفقة المصور السينيمائي مصطفى عبد الرحمان[1].

أ- الأعمال المنشورة لعمار بلخوجة :

علي معاشي فن وحرب 1990، القضية حمداني عدة 1991، علي حمامي وتصاعد الروح الوطنية الجزائرية 1991، صفحات نوفمبر 1997، زمن تيارت 1998، شهيدة تاقدامت Marie Claire Boyet 2003، قايد أحمد صورة إطار وطني2003، همجية الاستعمار في افريقيا، علي معاشي فن وحرب 2005، الاستعمار ،جرائم بلا عقوبات 2006،مومو سحر الكلمات 2006، الأمير عبد القادر لا سلطان ولا إمام 2007،علي الحمامي 2007،الحركة الوطنية رجال ومعالم 2008، الريشة (القلم) ضد السيف محمد بن سالم لغواطي 2008، علي معاشي النشيد الذبيح 2009، مومو بواسطة الصورة وبواسطة الكلمة 2009،عشق الآخر 2008، مومو الشاعر بني 2013، فن وفنانين 2011، حليم مقداد برواية تاريخا وشهيدا 2011، .... واد الظهرة الألف شهيد من واد الرياح 2011، سقطات جديدة 2012، جرائم بؤس ومجاعة في الفترات الاستعمارية 2013، قالمة- المجرم المدعو الشياري، تيارت الثورة المدينة 08 جانفي 1961- 2013، عيسات إيدير وفرحات حشاد 2015، بابا حسين 2014، حيمود

مقابلة مع عمار بلخوجة رقم (02) : يوم الاثنين 23 جانفي على الساعة 13:00 بتيارت.1

براهيمي ثم كتاب عمار بلخوجة الذي كتبته الدكتورة خديجة بلخوجة إبنة عمار بلخوجة في 2015[1].

ب- الأعمال التي لم تنشر بعد :

له مجموعة مكونة من 14 كتاب ومقال علمي مؤرشفة ولم تنشر بعد مكونة من كتاب تيارت 1954-1962، كتاب تيارت 1929-1954.

دليل افريقيا الشمالية – الذاكرة الجزائرية قاموس بيوغرافي – عبد القاد صاولي و رجالا – الثقافة والسياسة في الحركة المغاربية في المشرق – الأسس الإقتصادية في الإسلام وردود المغالطات التاريخية – تاريخ الجزائر المعاصر – مكتبة مؤسسة العالم العربي باريس – محبوب باتي – أطفال ديسمبر فرنسا ومسلميها – الاسلام من دون الإسلاميين حياة وفكر مالك بن نبي – رائد حركة الوطنيين الجزائرية حاج علي عبد القادر –تاريخ حزب جبهة التحرير الوطني الداخلي[2].

ثالثا: اهتمامات عمار بلخوجة

من خلال الأعمال المقدمة والمسيرة التي يعيشها "عمار بلخوجة"، خاصة وأنه عاصر في ربيع عمره وتحديدا عشرينيته الأولى أحداث الثورة بحذافيرها في تيارت وكان على علاقات وطيدة بالكثير من المجاهدين القدامى حينها والذين استشهد أغلبهم، يظهر بوضوح أنه شخصية تاريخية ومهتم بالتاريخ وكل ما قدمه من منتوج فكري نحى المنحى التاريخي، هذا الإهتمام الذي وجهه لشخصية الأمير عبد القادر الذي اطلع على كل حياته وارتبط ارتباطا وثيقا بمبادئه حتى أنه أصبح يعمل وفقها فأخذ عنه مبدأ التعرف على الشخص من خلال أفعاله لا من خلالما يقوله وهذا ما عرف عن الأمير عبد القادر، فلا جدومن التعرف على الشخص مسيحيا كان أو مسلما فقط افعاله هي الجديرة بالتقييم [3]، عند افصاحه عن اعجابة بشخصية الأميرتحدث باقتضاب غير مخل عنه أبرز المعالم التي تميز هذه الشخصية وقد كان متأثر كثيرا بما حدث له

AmarBekhoudja ;,pages,01,04.:1KhadidjaBelkhoudja

2Ibid,pages,04,07.

مقابلة هاتفية مع عمار بلخوجة رقم (03) سبق ذكرها.3

عندما وقعت له خيبة ظن عنيفة في الفرنسيين الذين كان يثق في كلمتهم ثقة عمياء لكن الأسر بين له أن لا قيمة لكلمتهم [1]

وبعد أن انتهت مدة الأسر تحسنت علاقته بنابليون الثالث فأغدق عليه وأكرمه وأحسن معاملته ثم أداه وساما سنة 1865 ليشكره على على تدخله في حل فتنة الشام[2]، تأثر عمار بلخوجة كثيرا بفكرة عدم البحث في أصل الشخص بل في أ

فعاله ومعاملاته مع الغير من خلال ما قدمه الأمير عبد القادر من دعم للمسيحيين الذين كانت سترتكب حينها في حقهم مجزرة حيث أنقذ تدخله 18000 مسيحي عربي مما رفع مكانته وأثبت نبل أخلاقه ونزعته الإنسانية وهذا ما ترك بصمة قوية في حياة عمار بلخوجة مما جعله في وقت لاحق يفكر رفقة مجمعة من رفاق الدرب في إنشاء مؤسسة تميط اللثام عن هذه الشخصية الجزائرية الخرافية مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة فكان من بين الأعضاء المؤسسين لمؤسسة أو جمعيم الأمير التي خرجت للنور كمؤسسة واقعية سنة 1991، هذه المؤسسة التي نفضت الغبار عن شخصية الأمير عبد القادر ودفعت كل المداهنات التي طالما حاولت تزوير حقائق تاريخية وعملت على إعادة إحياء الأمير في تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة خاصة من خلال تبني فكرة عدم مقاطعة الآخر المختلف ولا مقاطعة معارفه وعلومه بل أخذ ما يناسب الوطن منها واستغلاله في اعادة البناء والتشييد طبعا باحترام الدين والخصوصية الوطنية ودعائم الهوية الوطنية، هذا التأثر عمل عمله في شخصية عمار بلخوجة الذي طالما اعجب بشخصية فرانز فانون من الأصول الإفريقية الذي تزوج من جزائرية ودعم الثورة الجزائرية بكل ما أوتي من مقدرة[3] وهذا فعلا ما يؤكد النزعة الإنسانية عنده ويثبت أنه يرفض التعب وحمية الجاهلية ولا يميز بين أحد إلا من خلال أفعاله.

شارل هنري تشرشل : حياة الأمير عبد القادر ،ترجمة، أبو القاسم سعدالله، الدار التونسية للنشر،تونس، سنة 1974،ص، 1.24

شارل هنري تشرشل،مرجع سبق ذكره،ص،2.25

مقابلة هاتفية مع عمار بلخوجة رقم (03) سبق ذكرها.3

من بين اهتمامات "عمار بلخوجة" أيضا القضية الفلسطينية وله باع طويل في هذا الموضوع.

خامسا: قراء منهجية لكتابوقائع من تيارت

كتاب وقائع من تيارت كتاب قيم وثمين ليسس فقط لأنه يحمل كم كبير من المعطيات الإجتماعية عن المجتمع التيارتي فقد تجاوز المادة العلمية الزاخرة المقدمة لمجموعة من الطرق المنهجية، نشر هذا الكتاب سنة 1998 ، يضم 163 صفحة تحتوي على 08 فصول كلفصل يحوي مجموعة مقالات منتنوعة تعالج الحاية الإجتماعية في المجتمع التيارتي، يحتوي على مجموعةمن الرسومات المعبرة بأسلوب عميق وتهكمي على الفكرة الجوهرية لكل مقال، إستهل الكاتب كتابه بمقال تكريمي حول صديقة المرحوم عبد الحق شاوش الفنان الرسام المبدع والذي كرمه بطريقته الخاصة حيث وضع صورته على صفحة غلاف الكتاب معنهاية الكتاب، لازمت ذكريات المرحوم عبد الحق شاوش ذاكرة " عمار بلخوجة" ولم يكن ألم فقده أمر آني لأنه استمرفي تذكره حتى أنه كرمه بهذا الكتاب الذي خرج للنور بعد وفاته بأربع سنوات، مما يعكس صورة حول معنى الصداقة بالنسبة له، من خلال قراءتنا لكتابه وقائع من تيارت اتضحت مجموعة أفكار عن تكوينه المعرفي ومستواه الراقي العميق، هذا الكتاب الذي يثبت ان عمار بلخوجة لم يكن فقط مجاهدا على أرض المعركة في ثورة التحرير بل هو مجاهد من نوع آخر أيضا، هو نموذج للمثقف الفاعل الذي لمس جوهر المجتمع واستطاع بعين الباحث الحقيقيأن يلاحظ التغيير الذي عاشه المجتمع الجزائري بعد الإستقلال والذي أفرزته طبيعة تلك المرحلة خاصة بالنسبة للمنظومة القيمية للمجتمع الجزائري والتي بدأت تنحو منحى مغاير لما كانت عليه، عالج الوضع بنوع من التهكم في اسلوب قصصي متسلسل بليغ وبلغة رصينة استطاع من خلالها أن يلمس جوانب الحياة الإجتماعية في تيارت التي أثارت حفيظته، وما يجب ذكره أن هذا الكتاب ليس فقط نموذجا لعمل المثقف الإيجابي الفاعل في المجتمع بل هو دليل منهجي في العمل الأنثروبولجي لإحتواء عمله على دراسات ميدانية عاشها وعايشها ونقلها بوصف إثنوغرافي مكثف وعميق وحللها وعالجها بأسلوبه المتميز، لن نذكر في هذه الأوراق البحثية المتواضعة كل المقالات والوقائع الواردة فيه لأنها تحتاج لعمل علمي وتأليف كتاب كامل لكننا سنحاول معالجة

بعض منها ليس على سبيل الإنتقاء لأن كلها جاءت بنفس المستوى المنهجي والتحليلي سنأخذ مقال البداية الذي صنفه في دائرة السلوك وأعطاه عنوان فرعي متعلق بمرحلة الشباب،سنستدل على كل مرحلة وكل تقنية منهجية أنثروبولوجية من خلال هذه المقالات ونبين كل تقنية والكيفية اتي استخدمها بها وعن أي مرحلة تعبر في البحث الأنثروبولوجي.

أ- الملاحظة بالمعايشة:

تمثل الملاحظة بالمعايشة جوهر البحث الأنثروبولوجي لأنها من أهم أدواته المنهجية المستخدمة[1]،فلها فضل كبير على المنهج الأنثروبولوجي وحسب الأستاذ: "أحمد أبوزيد هي: "الأساس الذي تقوم عليه بقية طرق البحث الأنثروبولوجي للوصول إلى درجة أكبر من التعمق في البحث تمكن الباحث من الوصول إلى صورة كلية عن مجتمع بحثه وتوحي إليه بتساؤلات جديدة"، ونظرا لصعوبتها وإمكانية تطبيقها وفق شروط المعايشة فالمقصود بها "الاندماج الكامل فيحياة المجتمع"[2]، حيث تسمح للباحث الأنثروبولوجي بمراقبة ومعاينة أعمال مجتمع بحثه ويحضر مناسباتهم كالحفلات والاجتماعات الدينية وكذلك الشعبية ومراسم دفن الموتى، ومن خلالها يتمكن الباحث من الكشف عن الحقيقة حيث تكون الملاحظة الإثنوغرافية: "والتيهي أحد الأساليب التي يستخدمها الباحث المقيم في دراسة الشعوب (البدائية)" [3].

وصف عمار بلخوجة وضع التغير الحاصل في المجتمع خاصة على مستوى العادات والتقاليد وتحدث بدقة عن حيرة ودهشة جده الذي لم يتقبل هذا الوضع وعبر عنه بأنه نشهد فوضوي، نقل ما قاله الجد حرفيا وحافظ عليه بقوله: " هل يريدون قتلي؟" من؟ مجيبا: كل هؤلاء

1عبد الله عبد الغني غانم: قراءات وتطبيقات في طرق البحث الأنثروبولوجي المكتب الجامعي الحديث، ط1، الإسكندرية، مصر، سنة 2004، ص102.

2سعاد عثمان، تكامل المنهجية عند أحمد أبو زيد، مجلة العربي، "العالم والمفكر أحمد أبو زيد رائد الأنثروبولوجيا، العدد 659، وزارة الإعلام، الكويت، أكتوبر 2013، ص،29.

منصور مرقومة: الأنثروبولوجيا(علم الإنسان) المنهج والموضوع، منشورات مخبر حوار الحضارات التنوع الثقافي وثقافة السلم ،دار أ ب ج،3

الشباب الرافضين لحلق شعرهم، عكس من يضعون العمامة التي نادرا ما ينزعونها لغرض الحلاقة والنظافة [1] ، استطاع عمار بلخوجة من خلال مقاله هذا أن ينقل صورة كاملة ودقيقة جدا عن الشباب في فتة السبعينيات الذي يطيل شعره، وهو ما يتنافى ومنظومة مجتمعنا الأخلاقية وديننا الذي يلغي تماما تشبه المراة بالرجل كما استطاع نقل النظرة الاستغرابية للجيل القديم الذي يضع العمامة والذي يخجل من اي ممارسة تشبه بالنساء والذي يحترم الأعراف السائدة، نقل كل هذه الأفكار في وصف دقيق مضبوط مكثف يستطيع تقديمه والتمكن منه الباحث الأنثروبولوجي الذي تعلم من الميدان كيفية الوصف أو الإثنوغارفي المختص في الوصف، لم يقف عند الشعر الطويل للشباب بل تجاوزه لوصف لباس المرأة بين واحدة ترتدي لباسا تقليديا يستر كل جسمها ولا تظهر منها سوى عينها وهو في مجتمعنا يعرف بالحايك وارتداؤه بهذه الطريقة يسمة " بوعوينة" وهو لباس ساتر للمرأة من رأسها وحتى أخمص قدمها منتقلا للتغييرات الطرائة على لباس هذه المرأة من لباس مستور يعكس منظومة قيمية محافظة ترفض عراء المرأة إلى لباس التنورة القصيرة التي يعتبرها الجد الناقم لباسا فاضحا لا يليق بتاتا بهذا المجتمع المسلم [2] .

انتقل الكاتب لتحليل معنى التنورة القصيرة ووصف الوضع الإجتماعي وتمثل المجتمع لها من خلال تشبيهات كثيرة أطلقها ماهي إلا تحليل للوضع السائد.

هنا تجدر الملاحظة أن الكاتب بإعتباره أحد أفراد المجتمع الذي درسه وباعتباره يعيش في هذا المجتمع فقد استطاع العمل وفق الملاحظة بالمعايشة لأنه حقق الإندماج من خلال إنتمائه لمجتمع البحث والذي يتمنى كل باحث أنثروبولوجي الوصول له في الملاحظة بالمعايشة لفائدته المنهجية والذي يجني ثماره المعرفي من خلال جمع المادة الإثنوغرافية التي ستصبح أهم معطيات البحث والتي ستحلل وتفسر ليتم فهم معنى الممارسة في مجتمع البحث.

1Amar Belkhoudja : Chroniques de Tiaret ;dépôt légale 1960-1989 ;1998 ;page ;07.

2Ibid ;pages ;07,10.

توجد الكثير من المقالات والنصوص الذي ضمها هذا الكتاب بعضها يحمل المسحة التاريخية في الطرح والآخر فلسفي خاص بالميتافيزيقا لكن أغلبها انثروبولوجي بالدرجة الأولى فمثلا مقاله حول ممارسة النصيفة هو نموذج أنثروبولوجي بكل جدارة لأن طبيعة هذا الموضوع في حد ذاتها أنثروبولوجية، ويمكن التبرير وعدم القول أنها سوسيولوجية لأنه درس النصيفة في مجتمع مصغر محلي وهذا من بين حدود التمييز بين مواضيع علم الإجتماع والأنثروبولوجيا، كما ان دراسته أنثروبولوجية بحتة إحترم فيها مراحل البحث الأنثروبولوجي من وصف إثنوغرافي للمادة الإثنوغرافية من خلال الملاحظة بالمعايشة من جهة وكذلك مرحلة التحليل الإثنولوجي التي حلل فيها ممارسة النصيفة منتقلا للتفسير والوصول للمعنى وهو المرحلة الثالثة في البحث الأنثروبولوجي، بالنسبة للنصيفة في المجتمع التيارتي وحسب ما قدمه الكاتب من وصف وتحليل وتفسير هي ممارسة متوراثة تتم في جو فرجة وفرحة لتقديم المساعدة التي يحتاجها مثلا المقبل على الزواج حيث يقدم كل فرد ما يمكنه تقديمه من مال ومساعدات، هذه المساعدات التي تشكل حلقة بين الأفراد الذين قدموا المساعدة فمن يساعد بمبلغ معين سيستلمه في نصيفة خاصة به من نفس الشخص الذي ساعده سابقا، وقد وصف الكاتب النصيفة بإسهاب وبأسلوب عميق يجعل القارئ يتخيل كل أحداثها وكأنه يعيشها فعلا ثم انتقل لتحليلها وتفسيرها معبرا في مقاله بأنها نوع من التضامن الإجتماعي الذي يفك الأزمات في حالة الضائقات، وهو هنا يرسم لنا مجتمع متكافل مترابط النسيج الإجتماعي متكامل يقدم العون وينتظر معاملة بالمثل في شكل حلقي يمر بكل من قدم المساعدة، بكل صراحة النصيفة التي عالجها الأستاذ هي نفسه االدراسة التي قدمها " برونسلو مالينوفسكي" عندما كان له السبق في اكتشاف الإقتصاد في المجتمعات المدعوة " بدائية" من خلال دراساته "المغامرون" و"الحياة الجنسية لدى البريين في شمال غرب ميلانيزيا" ورغم أنه لم يكن منظرا للاقتصاد إلا أن تركيزه على ممارسة المعاملة بالمثل[1].

التي تشبه بل تطابق نسبيا تلك الحركة الحلقية التي تنتقل فيها المساعدة من شخص لآخر في شكل دائري، هذه الممارساة التي اعتبرها مالينوفسكي نظاما اجتماعيا واقتصاديا قائما

جاك لمبار: مدخل إلى الإثنولوجيا،ترجمة : حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، ط1،الدار البيضاء، المغرب، سنة 1997،ص،1.172.

بذاته يرسم منظومة اقتصادية في هذه المجتمعات التي طالما اعتبرت مجتمعات غير اقتصادية، كما أن هذه المنظومة هي شكل من أشكال التكافل الإجتماعي في هذه المجتمعات والتي تعكس تماسك النسيج الإجتماعي وقوته التي يستمدها من تلك اللحظات التضامنية.

أيضا استخدم "عمار بلخوجة" في كتابه قاعدة منهجية يجب على الأنثروبولوجي أن يتقيد بها هي عند نقل أقوال خاصة بالمبحوث في مجتمع البحث على الباحث ان ينقلها بموضوعية وأن يحافظ على لغتها ويضعها في بحثه بالمنطوق الشعبي وهو ما استخدمه الكاتب في الكثير من نصوصه منها مقال التغير الخاص بالشباب في الصفحة الثامنة من كتابه بقوله " دير كيم دار جارك ولا حول باب دارك" كذلك في الصفحة 21 من نفس الكتاب في مقاله حول عبارات الأبكم عندما نقل تسميته حسب المنطوق الشعبي " العقون"، هذا ما يتعلمه المختص في البحث الأنثروبولجي.

ربما هذا التحليل هو فقط لنموذج بسيط قد لا يعطي كل الأعمال الواردة في كتاب وقائع من تيارت حقها، لكن تبقى الكثير بل أغلب مقالات هذا الكتاب أنثروبولوجية بالدرجة الأولى فملا مقال الساحر نموذج حي لأن هذا الموضوع كان ومزال مداة دسمة أسالت حبر الكثير من الأنثروبولوجيين الكلاسيكيين والمعاصرين، كما أننا عالجناها كعنصر مهم جدا في أطروحتنا للدكتوراه في إطار تخصص الأنثروبولوجيا الذي نبحث في حدوده، أيضا مقالة الزردة، مقالة الماء، مقالة الزواج التي قرنها بالسكن والبروقراطية، كلها مواضيع أنثروبولوجية من حيث الموضوع والمنهج وهذه الأوراق البحثية غير كفيلة بمناقشتها كلها واستخراج معالم تخصص الأنثروبولوجيا فيها لأنها لا تحتمل ذلك الكم الهائل من العمل الذي قدمه "عمار بلخوجة" لذلك نتمنى أن تكون مناسبة علمية أخرى نناقش فيها هذه المواضيع بدقة أكثر.

خاتمة

"عمار بلخوجة" ظاهرة قائمة بذاتها تستحق الدراسة "عمار بلخوجة" أحد أهم معالم البحث التاريخي في الجزائر، ذلك العبقري العازف، الشاعر، الفنان، المتصوف، المفكر، يحتاج ليد

مختصة بارعة تبرز مساره الأنثروبولوجي قدم الكثير الكثير، لا يمكن قول أي شيء سوى أنه شخصية فسيفسائية فذة، هو نموذج نادر وعملة مفقودة ودعامة للبحث العلمي.

القائمة البيبليوغرافية:

-1KhadidjaBelkhoudja:AmarBekhoudja ;L’Arpenteur de la mémoire ,édition Alpha,Alger,2015,page,07.

2- مقابلة هاتفية مع "عمار بلخوجة" رقم (03) يوم: السبت 28 جانفي على الساعة 13:24.

Khadidjabelkhoudja : Amar Belkhoudja,page 07. 3-

4- مقابلة مع "عمار بلخوجة" رقم (01) يوم: الخميس 19 جانفي 2017 على الساعة 11:00 بتيارت.

5- Khadidjabelkhoudja : Amar Belkhoudja,page,08.

6- مقابلة مع عمار بلخوجة رقم (03): سبق ذكرها.

7- مقابلة مع عمار بلخوجة رقم (02) : يوم الاثنين 23 جانفي على الساعة 13:00 بتيارت.

8- Samira Ben elrisoulebsirFière Algerie aux maux du cœur ;les mots de la raison ,éditionDalimen,Alger,l’Algerie,2012,page21

9-Khadidjabelkhoudja: Amar Belkhoudja ;ibid ,page,08

10- مقابلة هاتفية مع عمار بلخوجة رقم (03) سبق ذكرها.

11- مقابلة مع عمار بلخوجة رقم (03) سبق ذكرها.

12- مقابلة مع عمار بلخوجة رقم (02) : يوم الاثنين 23 جانفي على الساعة 13:00 بتيارت.

13-KhadidjaBelkhoudja Amar Bekhoudja ;,pages,01,04.

14- Ibid,pages,04,07.

15- جاك لمبار: مدخل إلى الإثنولوجيا، ترجمة : حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، ط1،الدار البيضاء، المغرب، سنة 1997،ص،172

عمار بلخوجة والتأريخ لقضية حمداني عدة

قراءة في مؤلف " قضية حمداني عدة 1926 – 1962"

برحو يوسف/ طالب دكتوراه، جامعة تيارت

مقدمة

عمار بلخوجة، واحد من أبناء هذا الوطن، وابن مدينة تيارت الذي رفع شعار الدفاع عن تاريخ المنطقة والذود عنه، وذلك بإخراجه الى النور، ونفض الغبار عن كثير من الأحداث المهمة التي حدثت في هاته المنطقة من الجزائر فخط بقلمه زهاء الثلاثين مؤلّفا، حاول من خلالها التعريف بالشخصيات التي لعبت أدوار جليلة في معركة الشرف – معركة تحرير البلاد و العباد – من قهر المحتل الذي استباح الأرض و انتهك العرض، ومن بين هؤلاء الشرفاء الأفذاذ ، الشهيد البطل (**حمداني عدة**) الذي سنحاول التعرف عليه من خلال كتاب عمار بلخوجة الذي اختار له عنوانا هو: (قضية حمداني عدة 1926 – 1962) .

هذا المؤلف صدر عن دار النشر: مخلوفي، عدد صفحاته 166، مقسمة على أربعة فصول مدعمة بمجموعة كبيرة من الملاحق (66 صفحة)، عبارة عن مراسلات مختلفة، ومقالات صحفية صدرت في جرائد ويوميات تلك الحقبة الزمنية، وقبل التطرق لما جاء في الكتاب أورد تعريفا موجزا للمؤلف عمار بلخوجة، وضعه هو المصدر نفسه على غلاف الكتاب:

عمار بلخوجة ولد يوم 16-11-1941 بفرندة، عمل صحفيا بجريدة المجاهد اليومية، عصامي التكوين تخصص في البحث التاريخي، وكانت غايته من ذلك، مسح الغبار عن الأحداث المهددة بالنسيان، ويؤمن عمار بلخوجة أن معرفة الماضي، هي همزة وصل بين

الأجيال، تجاهلها يشجع ظاهرة القطيعة، هذه القطيعة التي تؤدي بدورها إلى تفتت الشخصية الفردية و الجماعية .

نظرة على محتوى الكتاب :

يقدم المؤلف لكتابه بالقول بأن التطرق إلى مسار مجاهدي الحرية، هو بمثابة فتح إحدى أنبل الصفحات الكثيرة عن ثورة التحرير الوطني، والتي من أجلها قدم حمداني عدة حياته في ظروف مأساوية، في جانفي 1962، حين تقدم أعضاء من المنظمة السرية (OAS) إلى سجن وهران، مستفيدين من تواطؤ شركاء لهم من داخل السجن وقاموا باختطاف حمداني عدة رفقة ثلاثة مساجين آخرين، ليتم بعد ذلك إحراقهم أحياء بدون شفقة، ولارحمة، وهذا غيض من فيض، من جرائم المحتل الغاشم الذي جاء إلى الجزائر حسب زعمه لينقل إلى أبنائها الحضارة والتحضر.

أما في المقدمة: نجد الكاتب يضع مقارنة بين السكان الجزائرين، والأوروبين المقيمين في الجزائر سنة 1954 معتمدا على عدة إحصائيات: ديمغرافية، اجتماعية، اقتصادية، أوردتها جرائد المحتل ومن بينها: (عدد السكان الرعاية الصحية، التعليم، التعليم العالي، الفلاحة، الدخل الفردي، التشغيل ...الخ) ليخلص إلى مفارقة كبيرة بين الأرقام، فمثلا على مستوى الإحصائيات الديمغرافية نجد أن (عدد الجزائرين 9.5 مليون، بينما عدد الأوروبين 1.02 مليون)[1] ، ورغم هذا التباين الكبير بين الرقمين إلا أن هناك تفرقة جلية في الاستفادة من المزايا (الاجتماعية الاقتصادية ، التعليمية ... الخ) وبالطبع لصالح الأقلية الدخيلة .

وكما هو متوقع يقوم الكاتب بنقل هذه المقارنة إلى مدينة تيارت، باعتبار الكتاب في الأصل يتحدث عن تاريخ هذه المدينة وضواحيها، وبنفس طريقة المقارنة ليخلص إلى نفس

النتيجة وهي اللاعدل، والظلم، والتمييز في التعامل بين المعمر، وصاحب الأرض، هذه المعاملة التي جعلت هذا الأخير يعاني مشقة حقيقية حتى للحصول على قوت يومه الذي هو ببساطة " الخبز".

ويضرب الكاتب مثالا استنادا على مراسلة لحاكم إقليم (مقاطعة) وهران إلى الإقليم الفرعي تيارت حول أجرة العمال الموسميين لجني العنب في عين تموشنت (525 فرنك + نصيب من الخبز)[2] .

وفي جانب آخر، وما تعلق باندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر، يورد المؤلف بعض المراسلات التي جرت بين حاكم وهران، وحاكم إقليم تيارت حول عزمه على القضاء على من سماهم بالإرهابين – يقصد المجاهدين–من خلال إرسال وحدات قتال خاصة، ويدعوه إلى تسهيل مأموريتهم، ومدهم بكل ما يحتاجونه.

كما يذكر الكاتب المقالات الصحفية التي تناولت حدث انطلاق الثورة التحريرية المجيدة، ويخبرنا أن هذه الصحف كانت تقف منذ البداية موقفا عدائيا من الثورة، وكانت تهدف إلى القضاء عليها في مهدها، ومن بين ماكانت تنصح به هذه الصحف، هو تأخير الإصلاحات في مختلف المقاطعات التي ينشط بها المجاهدون –الإرهابيون على حد زعمهم – .

بالإضافة إلى ذلك فقد تبنت مختلف السلطات العسكرية، والمدنية، في تيارت، إجراءات تهدف في مجملها إلى قمع الثورة، ومن أهمها تكثيف تواجد الوحدات العسكرية الخاصة في المنطقة .

ثم يتطرق المؤلف إلى مسألة قمع النشاط السياسي الجزائري، وذلك من خلال حل حزبي حركة انتصار الحريات الديمقراطية (MTLD)، والحزب الشيوعي الجزائري (PCA)، بينما واصل

الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (UDMA) نشاطه في تيارت، حيث عقد أعضاء فرع تيارت يوم 26-12-1954 [3] اجتماعا، وأصدروا بيانا للتنديد بالقمع الأعمى، والتوقيف العشوائي، والجماعي، وبعد ذلك يتطرق الكاتب إلى بعض الأحداث على الجانب السياسي للحزب منذ 1954 .

الفصل الاول: القطاع الذاتي لتيارت

يتطرق المؤلف في هذا الفصل للتعريف بالشهيد حمداني عدة، حيث يخبرنا أنه ولد يوم 26 أفريل 1926 في تيارت، في عائلة من خمسة أبناء، كان هو الذكر الوحيد بينهم، حصل على شهادة الدراسات الابتدائية (élémenaire) في سنة 1942، وتعلم العربية في " الكُتّاب "، التحق بفريق شبيبة تيارت، مارس رياضة الجمباز وركوب الدراجات، كما كان يساعد والده في أعمال المطحنة .[4]

تزوج يوم 9 جانفي 1949 من السيدة (بلجرود زوبيدة)، وأنجب منها: نضيرة، مصطفى، مليكة، فاطمة الزهرة، مياسة.[5] توفي والده في سنة 1955، ليتحمل هو وحده مسؤولية كفالة عائلته، ورغم ثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه كان نداء الوطن يسيطر على وجدان عدة، ولذلك نجده لا يتردد في تقديم واجب الوطن على واجبه اتجاه عائلته، (وفي هذه النقطة الكاتب يفصل كثيرا).

التحق عدة بالجبال – الثورة التحريرية – في جويلية 1957، وقد كان أول المتصلين به: السيد بلعيد أحمد مناضل في (PCA و MTLD)، وذلك من أجل تكوين خلية FLN بتيارت.[6] وكانت أولى العمليات الفدائية المنفذة بتيارت، هي حرق قاطرتين في محطة المدينة يوم 21 أوت 1955. ثم يسرد الكاتب أهم الأحداث التي وقعت سنة 1956 في المدينة، وفي

الجبال، باعتبارها السنة التي شهدت أكثر العمليات أهمية في المنطقة. ومن بينها العملية التي قام بها المجاهد بلخوجة أحمد المتمثلة في إلقاء قنبلة يدوية على أحد الحانات الموجود بشارع (Combon)، بتاريخ 18 نوفمبر 1956 تسببت في إصابة ستة أفراد من مرتادي الحانة .[7]

ثم يخبرنا بأن منطقة تيارت كان بها 3 شبكات لل FLN [8]، لم يكن بينها أي علاقة، كل واحدة تنشط ذاتيا وهذه المعلومة مهمة للغاية، حيث تطلعنا على جانب معقد، من طريقة عمل جبهة التحرير الوطني إبان الثورة التحريرية،كما يطلعنا على أهم الأحداث والعمليات الفدائية التي وقعت سنة 1957، والتي تمثلت في الاغتيالات التي تقع بين الفينة وا لأخرى، كذا تفجير أملاك المعمرين .

وفي هذا الإطار يطلعنا الكاتب على قصة الطفلين بوشعيب (بوشايب)، وحشاشي، اللذين قاما بعملية فدائية ذاتية ضد صاحب مقهى (La Bourse)[9]، هذه العملية النابعة من إحساسهم بالقهر، والذل ، ورغم أن القصة ليس لها أي علاقة بالشهيد حمداني عدة إلا أن الكاتب يسردها بالتفصيل .

ومن بين الأحداث المهمة أيضا التي وقعت في هذه السنة:

- إضراب التجار، ومحاولة العسكر، والشرطة قمع وإفشال الإضراب.

- أفريل 1957 تكليف حمداني عدة بالتنظيم السياسي، والاداري لمنطقة تيارت .[10]

- جويلية 1957 التحاق حمداني عدة بالجبل هو، وزميله بو عبد الله ويورد لنا الكاتب السبب الذي ربما عجل بهذا القرار ذلك أنه، وفي التاريخ المذكور آنفا، قامت سلطات المحتل بإيقاف مئات المواطنين، من بينهم عدة ورفاقه وتجميعهم في الملعب البلدي، ليطلق سراحهم بعد ذلك، وفي طريق العودة، وقبيل وصول عدة الى بيته لاحظ سيارة غريبة تتوقف بالقرب، وعندما تيقن

من أنهم عناصر الشرطة القضائية، اتخذ قراره الذي لم يكن منه بد، وهو الالتحاق بالجبل .[11]
وبعدها أصبح حمداني عدة يعرف باسم بـ" سي عثمان "، وزميله بوعبدالله بـ" سي بوزيد " ثم يذكر الكاتب بعض الأحداث المتفرقة منها الهجوم على مقهى، اغتيالات، و ابتداء من سنة 1958 حمداني يترقى إلى رتبة مساعد (ADJUDANT)، وفي سنة 1959، يترقى إلى رتبة مرشح (ASPIRANT)، مكلف بالمعلومات والاتصالات، ثم رئيس منطقة، الى غاية يوم توقيفه في الرابع من ديسمبر 1959. [12]

ثم يتطرق الكاتب إلى دور النساء في الثورة، ويقدم أمثلة من منطقة تيارت، كما يعرض علاقة حمداني عدة بشبكة النساء، وإعجابه بدورهن، وشجاعتهن، كذا لجوء المحتل إلى وسائل التعذيب بكل طرقها، بغرض الانتقام والقضاء على الثورة، وعزيمة المناضلين في صفوف جبهة التحرير الوطني .[13]

الكاتب يصف مدينة تيارت وخصوصياتها، ومنها السلالم، التي صعبت على المحتل عملية حصار الأحياء[14] وبخصوص ساحة CARNOT المقابلة للبريد المركزي، كيف أنها كانت ساحة للهو، والموسيقى ثم أصبحت ميدانا للاغتيالات، ومن أشهرها اغتيال الشهيد علي معاشي، ورفاقه في هذه الساحة بالذات[15]، كما أنها غدت معرضا لجثث المغتالين (الكاتب يسرد عدة امثلة).

وعن بطش المحتل بكل من يقف مع الثورة من قريب، أو من بعيد، يروي لنا الكاتب حادثة اغتيال الجنود الفرنسيين لزوجين من الأوروبين، مزرعتهم كانت ملجأ ونقطة عبور لجيش التحرير، ثم يعرج على الاغتيالات التي قام بها المعمرون المصدر نفسهم ضد الجزائريين خاصة الفلاحين، دون حساب، ولا عقاب، فدم الجزائري ليس له أي ديّة في قانون المحتل، ويعطينا الكاتب عدة أمثلة. (تفاصيل المساعدات – تفاصيل الاغتيالات) .

ثم يخبرنا عن العمليات الفدائية، التي قام بها عناصر حمداني عدة :(عمراني بن عودة ، بن مستورة العربي معروف) ومنها عملية استرجاع القنابل التي كانت تلقيها طائرات المستعمر، والتي لم تنفجر، وذلك لإعادة استعمالها وبسبب الضغط الكبير التي كانت تسببه هذه العمليات على المحتل، وبعد سلسلة التفجيرات المستمرة، لم يجد المحتل بدّا من اللجوء الى الأساليب القذرة، واللاأخلاقية، وذلك للضغط على المجاهدين البواسل، حتى يثنيهم عن عزمهم ومن ذلك إلقاء القبض على والدة، وزوجة حمداني عدة، وتعريضهما لعملية استنطاق طويلة باءت كلها بالفشل . فحمداني عدة كان دائما يضع واجب الوطن فوق واجب العائلة .[16]

الفصل الثاني: في المغارة

- التحاق حمداني عدة (سي عثمان و رفيقه سي بوزيد) بالمغارة يوم 3 ديسمبر 1959، تقع قرب ديدرو (وادليلي حاليا) .[17]
- رفاق حمداني عدة في المغارة هم، ثمان مجاهدين (الكاتب يعرف بهم) .
- الكاتب يعطينا وصف للمغارة التي يختبئ بها حمداني، ورفاقه .
- جنود المحتل يكتشفون المغارة، ويحاولون اقتحامها ثم يقومون بمحاصرتها .
- بدء مفاوضات بين حمداني والعسكر (الكاتب يفصل في الأمر) عن طريق وسيط (فلاح من المنطقة).
- تعهد كتابي من الكلونيل RECOLLE بموجبه يعتبر حمداني، ورفاقه جنودا في حالة الاستسلام .[18]
- حمداني يتخذ قرارا بالاستسلام حفاظا على حياة رفاقه، وخاصة الجرحى .[19]

الفصل الثالث: الدعوة القضائية

- حمداني عدة يوصى رفاقه بأن يحملوه كل المسؤولية عن الاحداث السابقة .[20]
- تعرض حمداني، ورفاقه لكل أشكال التعذيب، والإهانة أثناء حبسه في تيارت، ثم في فيلا بجوار جسر طريق (Trezel)، السوقر حاليا .[21]
- إجراء المحاكمة في وهران.
- فشل محاولة حمداني عدة في استعمال أحد الحركى المكلفين بحراسته لمساعدته في الهروب، وذلك في طريق العودة من وهران إلى تيارت .
- تكاثف جهود المحامين للدفاع عن رفاق حمداني، على رأسهم المحامي (محمد رحال).[22]
- استغلال التعهد الكتابي لـ RECOLLE، للدفاع عن حمداني و رفاقه .
- يتطرق الكاتب إلى جهود المحامين (جزائريين، وفرنسيين)، للدفاع عن القضية الجزائرية بصفة عامة على رأسهم المحامي الشهير JACQUES VARGES، و آخرون يذكرهم بالتفصيل .[23]
- الحكم على حمداني بالإعدام.
- ظهور وتنامي اليمين التطرف والمنادي بفكرة (بالجزائر فرنسية).

الفصل الرابع: سجن وهران

- حمداني يحوّل إلى سجن وهران .[24]
- التأكيد على حكم الإعدام، تضامن المساجين مع المحكوم عليهم بالاعدام، وتحوّل التضامن إلى حركة احتجاجية .[25]
- وصف الكاتب للوضعية المزرية للسجن: (اكتظاظ، غياب النظافة، المعاملة السيئة، الرقابة على الرسائل......الخ) .

- زيارة فرقة من الدرك الفرنسي للسجن (أعضاء OAS، متنكرون في الزي الرسمي للدرك) .
- 12 جانفي 1962، استدعاء حمداني وثلاث مساجين، واختفاء المساجين الأربعة منذ ذلك الحين . وبعد أيام قليلة فقط، تم العثور على جثث محروقة، وتعاظم الشكوك حول كونها للمساجين المختطفين، وفي هذه الأثناء أحد الجنرالات الإنقلابين يتبنى عملية اغتيال المساجين.

الخاتمة

من خلال ما قرأناه عن الشهيد البطل حمداني عدة، أو سي عثمان، يبدو أن هذا الرجل كان من الرجال القليلين الذين لا تتغير مواقفهم مهما ارتفع سقف التضحية، لا يتغيرون بتغير الأحوال، يرسمون بوجداتهم قضية يحيون لأجلها ويموتون لأجلها. أمثال حمداني عدة خلقوا إما للنصر أو للقبر، ولم يخلقوا أبدا ليقبلوا بعيش الذل و الهوان، لا يؤمنون بقلة الحيلة، ولا ضعف الوسيلة، سلاحهم هو إيمانهم بعدالة قضيتهم التي لا تقبل المساومات و لا تقر بالتنازلات. كان سي عثمان بطلا حقيقيا، نذر حياته للدفاع عن وطنه، وكان دائما يقدم واجب الوطن على واجب العائلة، والأهل، وكان مستعدا أن يضحي بالنفس، والنفيس، في مقابل قضيته الأولى التي هي الوطن، يظهر ذلك من خلال الاطلاع على تاريخ الرجل المضيء، ومن خلال قراءة رسائله التي كتبها إلى أهله، ومعارفه، والتي كانت تعبر دائما عن ارتياح نفسي كبير، وعن معنويات عالية، لا ينزل سقها أبدا، نابعة من الإيمان الكبير الذي يتحلى به هذا الشهيد البطل. وفيما يتعلق الملاحق المدعم بها الكتاب فهي عبارة عن مراسلات مختلفة، مقالات صحفية حول القضية.

-هوامش الدراسة:

1- Amar Belkhodja . l’AFFAIRE HAMDANI ADDA (1926-1962),Tiaret: Editions Mekhloufi .p7.
2– Ibid. p9.
3– Ibid.p12.
4– Ibid.p14.
5– Ibid.p14.
6– Ibid.p14.p15.
7– Ibid.p18.
8– Ibid.p17.
9– Ibid.p19.
10– Ibid.p23.
11– Ibid.p23.
12– Ibid.p24.
13– Ibid.p24.p26.
14– Ibid.p31.
15– Ibid.p39.
16– Ibid.p50.
17– Ibid.p57.
18– Ibid.p62.
19– Ibid.p62.
20– Ibid.p68.
21– Ibid.p68.
22– Ibid.p74.
23– Ibid.p77.
24– Ibid.p84.
25– Ibid.p84.
26– Ibid.p 86.

علي الحمامي المفكر الثائر

قراءة لمؤلف عمار بلخوجة:

"علي الحمامي من الريف إلى كراتشي، السيف والقلم"

الدكتور غوزي مصطفى، جامعة تلمسان

توطئة:

عمار بلخوجة باحث جزائري في التأريخ الجزائري، وكتابه "علي الحمامي" ينخرط في هذا الإطار، الذي يقتضي من أي باحث في مجال حساس، كالكتابة التاريخية المحفوفة بمزالق عدة أن يتصف الباحث بالكثير من الصفات ليس أهمها النزاهة، وأيضا التفرغ شبه الكلي للكتابة. إن التأريخ الجزائري في الحقبة المعاصرة ونقصد بالحقبة التي تشمل القرن التاسع عشر فالنصف الأول من القرن العشرين احتكر بالأساس وفي بادئ الأمر، من قبل مدرسة الجزائر والتي كانت كتاباتها التاريخية تعمل على تكريس فكرة تبرير الاستعمار الفرنسي وإضفاء الشرعية التاريخية على وجوده بالجزائر واعتبار الأرض الجزائرية قطعة من فرنسا وسكنيها من أصول قولية، ومع ظهور الحركة الوطنية برز تأريخ وطني يُقارع ويُناهض السردية الكولونيالية، التي تمثلها مدرسة الجزائر التي لم تذخر أي جهد في سبيل طمس الهوية الوطنية وكتابة توافق أهواء مغتصب الأرض والعرض، في هذا الوضع الاقصائي وفي ظروف البؤس الاجتماعي انبرى ثلة من المؤرخين والمنضوون تحت راية الحركة الوطنية لتلك الكتابات التاريخية المكرسة للنظرة الاستعمارية الفرنسية وذلك ابتداء من عشرينيات القرن المنصرم، فانطلقوا في كتابة وتقييد تأريخ وطني يستغرقه مفهوم الجزائرية ويدل عليه، تأريخ أراه معركة كبرى من أجل استرجاع مقومات الشخصية الوطنية، سيكون لها الأثر العظيم في شحذ الهمم وإيقاظ العقول والنفوس ليوم مشهود تصطدم فيه الأبدان وتتقاتل حيث تكون فيه الغلبة والانتصار لأقوى سردية ومن ثمة السردية الأحق والأجدر في أن تنتشر وتستمر في الفعل فالتأثير.

امتازت كتابات مؤرخو الحركة الوطنية بطبيعة الحال بالخاصية النضالية باعتبارها – في ظروف الاستعمار غير الطبيعية- محركا للتأريخ الوطني، ثم إنها أيضا ردة فعل لتلك الكتابات ذات الحساسية الكولونيالية أو القريبة منها، والتي تسعى أن تُجلي عن الاستيطان الكتامة الشنيعة التي تلفها لفا وتبقيه منبوذا وصلفا في مطلق الأحوال.

كتابات تستجيب للتحولات الكبرى التي شاهدتها الجزائر بعد افتكاكها لاستقلالها السياسي العام 1962 وما نجم عنه بعد ذلك من أحداث مست المجتمع الجزائري برمته. إن التأريخ الوطني قد اكتسب منذ انطلاقته الأولى جملة من الخصائص، أولا يمكن أن نميز كتابات قد كتبت إبان الفترة الاستعمارية وأخرى كتبت أثناء الاستقلال وهي السائدة حاليا، المشترك بين الكتابتين يتمثل في إبراز الشخصية الوطنية وعمل على إظهار الإنسان الجزائري إنسانا داخل التاريخ يؤدي وظائف تاريخية مشهودة منذ فجر التاريخ الإنساني، فالتاريخ الوطني الجزائري له من العمق ما يؤهله أن يوصف بالتاريخ الإنساني الحي الفاعل في مجريات التاريخية، فالحادثة التاريخية الجزائرية بصفة عامة وعبر الصيرورة التاريخية والتي تمتد لألفي سنة تمتلك جميع الخصائص التي تجعل من حادثة ما حادثة تاريخية بالفعل، فهي حادثة فريدة من نوعها، والانفرادية تفيد وعي الجماعة وتماسكها الاجتماعي، وهي حادثة إنسانية، الإنسان الجزائري شعر ومارس المقاومة باعتبارها الوسيلة المثلى على تثبيت وتأكيد التميّز الشخصاني عبر محطات تاريخية – الرومان، الوندال، البيزنطيين، ومستهل الفتوحات الإسلامية، الفرنسيين-، وهي حادثة لها زمان ومكان وهذا بين واضح لا يحتاج إلى إفصاح، فالمكان يحتفل بالآثار والأزمنة تستقر في الذاكرة وتسكن، وهي أخيرا حادثة تُعرف بطريقة غير مباشرة وهذا التوصيف ملحق بالحادثة التاريخية متعلق بحيثيات المعيش الاجتماعي في لحظة معينة فالوضع الاجتماعي إجمالا يلعب الدور المحوري في تحديد الأولويات وترتيبها وعليه قد يفهم المهتم بعملية كتابة التاريخ الأسباب التي كانت وراء بزوغ التأريخ الوطني بالجزائري في العشرينيات من القرن الماضي، بزوغ رافق ظهور الحركة الوطنية. إن السياسي بصفته مسارا أو حركة مجتمع، فإن هذا المسار ينجز وفق تصور للتاريخ وهو بحاجة في كل مرحلة من مراحل وجوده إلى عناصر سردية هي بمثابة الوقود الذي يعطي قوة وزخما له، والكثير من هذه العناصر السردية يجدها مبثوثة في صفحات التاريخ. أما الاختلاف في ظني أراه

في التموقع الذي يكون عليه المؤرخ، فالمؤرخ المنضوي تحت راية الحركة الوطنية قبل الاستقلال يقع على هامش السلطة السياسية غير معترف بها بشكل من الأشكال وبقدر من التصريح أو التضمين ولأجل هذا فإنه يتبنى إستراتيجية في الكتابة تناسب الظرف الذي هو فيه.غير أن المؤرخ المنضوي تحت الحركة الوطنية بعد الاستقلال فتموقعه يكون ضمن أو داخل السلطة السياسية المعبرة بطريقة ما عن الحركة الوطنية أو التي تمثلها في لحظة تاريخية ولأجل هذا فإنه يتبنى إستراتيجية في الكتابة تتماهي بدرجة من الدرجات – بحسب التكوين العام للمؤرخ وقناعاته الشخصية من مسار الحركة الوطنية– مع السلطة السياسية.

و في المقام نذكر أسماء لمؤرخين أسهموا في التأريخ الوطني، نبدأ بذكر الذين أسهموا إبان الفترة الاستعمارية، ثم الذين جاءوا بعد ذلك ممثلين لعهد الاستقلال والانعتاق:

-1 الشيخ مبارك الميلي (1897-1945): كتب تاريخا جزائريا يضرب في عمق التاريخ إلى غاية الحقبة المعاصرة. صدر الكتاب سنة 1928.

-2 توفيق المدني (1899-1983): أسهم في إظهار "تاريخ قرطاج" وذلك سنة 1927 وكتب كتابا آخر موسوم ب:" الجزائر" سنة 1932.

-3 عبدالرحمان الجيلالي (1908- 2010): نشر ابتداء من سنة 1952 مؤلفه " تاريخ عام للجزائر" في أربعة أجزاء.

-4 مصطفى الأشرف(1917-2000): نشر له أول كتاب في مجال الفكر الجماعي سنة 1954 تطرق فيه إلى موضوع الاستعمار والإقطاع وقانون الأهالي في الجزائر، جمعت مقالات ظهرت في مستهل الخمسينيات وتمتد إلى غاية الستينيات في مؤلف اكتسب رواجا موسوم ب:" الجزائر أمة ومجتمع" صدر سنة 1965. ملاحظة: كتب مصطفى الأشرف باللغة الفرنسية.

-5 محند شريف سهلي(1906-1989): كتب سنة 1947 "رسالة يوغرطة" وفي سنة 1953 "عبدالقادر فارس العقيدة". ملاحظة: كتب محند شريف سهلي باللغة الفرنسية.

مؤرخون آخرون قد استعملوا اللغة الفرنسية وسيلة لكتاباتهم التاريخية من دون أن يتنكروا لانتماءاتهم الوطنية قد نذكر مولود قايد(1916-2000) اشتهر بمؤلفه من سبعة أجزاء موسوم ب:" تاريخ البربر" ومحفوظ قداش (1921-2006) من بين كتبه كتابه جزائر الجزائريون صدر سنة 1954.

يذهب البعض إلى الاعتقاد التأريخ الوطني المكتوب باللغة الفرنسية يحضى بقدر معتبر من التحرر ويفتح آفاقا عديدة في مجال التأريخ الوطني وذلك بطرح أسئلة جديدة وإقحام مقاربات منهجية مبتكرة على عكس التأريخ الوطني الذي يتخذ اللغة العربية وسيلة للكتابة والتعبير عن القضايا التاريخية ذات الصبغة الوطنية.

و في مستوى من المستويات يعد الباحث في التاريخ الجزائري عمار بلخوجة استمرارية لكتابة التاريخ الوطني انطلاقا من طرح أسئلة جديدة وإقحام مقاربات مبتكرة القصد من هذه أو تلك تقديم للقارئ مادة تاريخية ذات مصداقية تظهر التاريخ الوطني وتحديدا التاريخ الوطني إبان فترة الاستعمار، فترة أقل ما يقال أنها غير معروفة بالكيفية الصحيحة، فترة لازلت لحد الساعة حاضرة على الساحة العمومية وفاعلة،فترة مشحونة بعواطف متعارضة، تستدعي من الباحث التاريخي توخي الحذر وعدم الإسراع في تقديم أحكام القيمة التي تعمل على تشويه البحث التاريخي وتحويله إلى جملة من العضات.

علي الحمامي واحد من بين رجالات الحركة الوطنية الذي وهب عمره للقضية الوطنية وللقضية المغاربية بصفة عامة إلا أنه غير معروف بالقدر الذي يستحقه من قبل الكثير من الجزائريين اليوم وتحديدا أجيال الاستقلال. وكتاب عمار بلخوجة إسهام من قبل الباحث لإماطة اللثام عن الرجل وعن دوره الرائد في الحركة الوطنية والتعريف بالقضية الوطنية للعالم كافة.

علي الحمامي الإنسان المقدام :

كتب الباحث عمار بلخوجة في مستهل مؤلفه:" علي الحمامي 1902-1949 من الريف إلى كراتشي، السيف والقلم" وبإشارة التنبيه أن علي الحمامي مناضل جزائري كبير،

ومغاربي أفنى حياته كلها لأجل حرية شعبه، وكان همه أن يضع حدا للهيمنة الأجنبية والتأكيد بقوة أن الإنسانية تعاني بشكل فضيع من الاستعمار وما يترتب من عذابات وولايات لا توصف.

إعادة تشكيل ما أنجز من قبل علي الحمامي يقتضي حتما البحث في عواصم أوروبية وعربية، حيث قضى سنوات عدة متنقلا بينها يكتب ويُناضل بحماس منقطع النظير، جلب له الاحترام والإعجاب من كل أولئك الذين خالطهم.

يذكر الباحث عمار بلخوجة أن علي الحمامي كتب الكثير من المقالات في مجلات وجرائد، التي كانت بطبيعة الحال تقبل نشر تأملاته الثاقبة والعالمة. فمنذ مرحلة الشباب الأولى أبان علي الحمام على وعي وطني نادر من جهة ومن جهة أخرى على رهافة فكرية..

تبدو مهمة الإحاطة بما تركه المناضل علي الحمامي في نظر عمار بلخوجة مهمة خيالية؛ لدى ينبغي الاستسلام للأمر الواقع وتقبل " القدر العاثر" ومن ثمة اقتصار البحث في حدود الزمن والمكان المتاحين. وذلك نظرا لعدم امتلاك الباحث على المؤشرات الكافية والدالة على أعمال الكاتب علي الحمامي، فالمراجع قد انتشرت وتوزعت في أمكنة عدة عاش فيها الكاتب المنفي، فالغاية 1988 لم تكن متوفرة سيرة ذاتية أو ترجمة ذاتية لهذا الثائر الفذ، فالدراسات الوحيدة التي اهتمت بإسهامات المفكر والأديب علي الحمامي تعود إلى الدكتور شيخ بوعمران[1] ، وعبدالقادر جغلول[2] وأمين الزاوي[3]، فالشيخ بوعمران قدّم لمؤلف علي الحمامي الوحيد الموسوم ب:"إدريس" صادر سنة 1948 بالقاهرة والذي أعيد نشره بالجزائر سنة 1976. خصص عبد القادر جغلول للحمامي دراسة نشرت بجريدة L'Algérie-Actualité العدد رقم 749 ، شهر فبراير من سنة 1980. أما بالنسبة لأمين الزاوي قدّم نقدا أدبيا باللغة العربية لمؤلف الحمامي الوحيد "إدريس".

بخصوص كتاب الباحث عمار بلخوجة والمتعلق بالثائر علي الحمامي، فقد قسّمه إلى فصلين، الفصل الأول عنونه ب: المسار يبدأ من الصفحة 13 إلى غاية الصفحة 55 ، الفصل الثاني

عنونه ب: فكر الإنسان يبدأ من الصفحة 59 إلى الصفحة 103، في الفصل الأول يُقدم عمار بلخوجة لمحة عن حياة علي الحمامي ابن مدينة تيارت حيث رأى النور والقرن العشرين عمره عامين، لم يتم ابن تيارت العشرين من العمر ليجد نفسه بالريف المغرب في خضم معارك بطولية كان يقوده الأمير محمد بن عبدالكريم الخطابي ضد التواجد الاستعماري الاسباني فالتواجد الفرنسي وبعد ذلك التواجد الاستعماري الأوروبي المتحالف مع العرش الاسباني المتهالك، فقد لقن الريفيون في مواقع دروسا في الشجاعة والإباء للغزاة الإسبان وخاصة في موقعة أنوال بتاريخ 17-08-1921 والتي تركت صدمة كبيرة في نفوس الفئة الظالمة توازي في القوة صدمة معركة المقطع الذي سُحق فيه الجيش الفرنسي بقيادة تريزال في سنة 1835 من قبل أبطال الأمير عبدالقادر الجزائري، معركة أيضا تتقدم معركة ستنشب في أقصى الشرق بين الجيش الاستعماري والقوات الشعبية الفيتنامية تهزم فيها القوات الغازية وتستسلم في أقصى الأرض من قبل فئة قليلة العدّة والعدد يوم 17-05-1954. وبخصوص حيثيات معركة أنوال، وصل عدد المجاهدين إلى ثلاثين ألف، بينما وصل عدد القوات الغازية الإسبانية إلى ستين ألف، أسر المجاهدون ألف ومئة عسكري إسباني واضطر الجنرال سيلفستر إلى أن يضع حدا لحياته، نتيجة للهزيمة المدوية التي ابتلي بها أحد الجيوش الأوروبية المهمة. بعد إقامة علي الحمامي بالريف المغربي ومرافقته للقائد البطل الأمير محمد بن عبدالكريم الخطابي ومعايشته لأحداث تاريخية حاسمة، من مؤكد أنها ستترك أثرا في نفس الأديب المتعطش للحرية، يُرى علي الحمامي بمدينة باريس وقد تعبأ جوها بأخبار ثورة 1917 الندية وبنشاط الحركة النقابية والحزب الشيوعي الفرنسيين، المؤيدين للمطالب العمالية والمناصرين لحقوق الكادحين والمستضعفين عبر العالم من حيث المبدأ، مما جعل بعض الجزائريين المقيمين بفرنسا الالتحاق بهاتين الهيئتين ظنا منهم أن الهيئتين كفيلتان بتحقيق المطالبة المشروعة للشعب الجزائري. في هذه الظروف والتي تبعث على الأمل يلتقي ولأول مرة علي الحمامي مع الرئيس المؤسس لحزب نجم شمال إفريقيا السيد عبدالقادر حاج علي[4]. في سنة 1923 وتحضيرا للأممية الشيوعية الخامسة من قبل الكومنترن[5] ، عيّن الأمير خالد[6] علي الحمامي على رأس الوفد الجزائري المدعو لحضور مؤتمر الأممية الشيوعية الذي كان مزمع انعقاده في شهر جوان من سنة 1924، إلا أن قيادة الشيوعي الفرنسي بزعامة الأمين

العام للحزب آنذاك موريس توراز لم تشاطر الأمير الرأي، معتبرة أن وفد الحزب هو المكلف رسميا بتمثيل الجزائر وشمال إفريقيا لهذا المؤتمر، رفض علي الحمامي رفضا قاطعا هذه الوصاية المفروضة قهرا على الجزائريين، وعبّر الحمامي رفضه لهذا التعنت بشكل مثير حيث رمى بمحبرة في اتجاه شخص موريس توراز فتلطخت بذلة الأمين العام للحزب بالحبر ، مما انجر عنه امتعاض الشيوعيين الفرنسيين. وفي الأخير تحقق مراد علي الحمامي واتجه بعد ذلك، أي في سنة 1924 إلى موسكو على رأس وفد يمثل تطلعات الجزائريين والمغاربة في الانعتاق والحرية. في موسكو تنسج وشائج صداقة جديدة تربط الحمامي مع مناضل قادم من بلاد الهند الصينية هوشي منه. يُفتقد أثر علي الحمامي بعد انتهاء المؤتمر، ليظهر ست سنوات بعد ذلك ومجددا في مدينة باريس أي في سنة 1930، لكن لا يطول مقامه بمدينة الأنوار، لينتقل متنقلا بين عواصم أروبية، مواجها المآسي والاضطهاد، ومرتبطا بصداقات مع شخصيات أمثال محمد باشا حامبا التونسي وشكيب أرسلان اللبناني..

صفوة القول: أن حياة علي الحمامي من سنة 1920 إلى سنة 1935 ليست بالحياة الساكنة أو الراكدة، بل هي حياة مغامر ومخاطر بدأت بأزيز الرصاص في الريف المغربي مع الأمير الخطابي لتستمر متخذة شكل النضالي السياسي بالكلمة والقلم، في مناطق واسعة من المعمورة. في الشرق الأوسط وتحديدا في عاصمة العباسيين يفتك علي الحمامي لنفسه تأشيرة راحة المقاتل، ليسكن حينا ويكتب مؤلفه "إدريس"، وفي سنة 1949 وبمدينة كراتشي يتوقف الجسد عن الحركة ليسمح للفكر من الخروج نحو آفاق تعد بما هو أفضل وأرحب.

في الفصل الثاني والذي جاء بعنوان فكر الإنسان، يعرض عمار بلخوجة أولا إلى الظروف والملابسات التي أحيطت بكتابة المؤلف "إدريس" وصدوره الأول بالقاهرة أيام الملكية،ثم يخصص عنصرا لقراء "إدريس" وهم كما ذكر أعلاه الدكتور شيخ بوعمران، الدكتور عبد القادر جغلول وأخيرا الدكتور أمين الزاوي. وأهم ما جاء في هذه القراءات، نذكره اختصارا:

1- الدكتور شيخ بوعمران: لاحظ الدكتور أن علي الحمامي امتلك ثقافة واسعة، قد اطلع على التاريخ الإسلامي وأيضا على التاريخ الأوروبي. يستشهد في أحيان كثيرة وينتقد ساسة

وفلاسفة أمثال ابن تومرت[7] وابن رشد وابن خلدون والأفغاني[8] ومحمد عبده[9]. المؤلف "إدريس" يرتكز على توثيق ثري، أما بالنسبة لخصائص الأسلوب المعتمد من قبل الحمامي فمميز، مع ميل أحيانا إلى البحث عن الكلمات النادرة الاستخدام. يقوم الحمامي برسم الشخوص والمشاهد والمواقف بشكل تفصيلي أخاذ أو تهكمي.و يشد اهتمام القارئ باستمرار من خلال تنوع تيمي ..

2- الدكتور عبد القادر جغلول: يستهل الدكتور عبد القادر جغلول قراءته لكتاب الحمامي "إدريس" بأن يضع الإطار التاريخي للكتاب مصرحا بأنه إرث لنا، كتبه في مدينة بغداد بين العامين 1941 و1942 وباللغة الفرنسية وبمقدمة باللغة العربية كتبها الأمير عبد الكريم سنة 1948. ثم يمضي في قراءته موضحا أن "إدريس" هي رواية تمثل بزوغ الوطنية المغاربية المعاصرة. إن رواية "إدريس" ترمز إلى الانتقال من مرحلة معينة عاشتها الحركة المغربية المناهضة للاستعمار إلى مرحلة أخرى من مسار هذه الحركة، من المقاومة في الريف إلى الإضراب بمدينة فاس. إن الرواية هاته هي ليست رمزا للحظة تاريخية جديدة وحسب إنما هي أيضا إعادة استنطاق لتاريخ المغرب الكبير. تعد رواية علي الحمامي " إدريس" في نظر الدكتور عبد القادر جغلول من حيث البناء مركبة تركيب ثلاثي تستخدم كدعامة لأجل إبراز خطابين: الخطاب الأول مفاده إجمالا شجب الجور الاستعماري وتعسفه. الخطاب الثاني يكمن في النقد الحاد للمجتمعات المغاربية.
3- الدكتور أمين الزاوي: لم ينشر الباحث عمار بلخوجة قراءة الدكتور أمين الزاوي، قد يعود السبب في ذلك أنها كتبت باللغة العربية..

بعد هذا، يقوم الباحث عمار بلخوجة ببسط الخطب التأبينية والتي ألقيت بمناسبة دفن الشهيد من قبل عدد من الشخصيات نقتصر في هذه السانحة بذكر أسماءهم: البشير الإبراهيمي، فرحات عباس، محمد القليبي، أحمد باي، محمد القاهري،مصطفى بشير، مالك بن نبي.

و مع تمام الكتاب يقترح الباحث عمار بلخوجة على القارئ، ما كتبه المفكر علي الحمامي من كتابات تنبأ وتطلعنا على إبداعات وأفكار للشخصيات مغاربية في مجال الفكر والسياسة،

خصّ بالذكر العلامة المبدع عبد الرحمن بن خلدون، والمصلح السياسي المهدي بن تومرت، والمصلح الاجتماعي عبد الحميد بن باديس.

يضعنا المفكر علي الحمامي في مقدمته التعريفية للعلامة عبد الرحمن بن خلدون في أجواء مركبة مشحونة، قد اكتنفت حياة ابن خلدون الإنسان وساهمت بكيفية من الكيفيات في صقل وبلورة فكره الثاقب، عرف الرجل مباهج ومسرات البلاط وغياهب السجن، سار علية القوم، ودنى من المجرمين العتاة.. بايع عشرات الأمراء ونكث، وبهذا الفعل تقدّم رجل السياسة الفرنسي تاليران[10] Talleyrand . يرى علي الحمامي مهما قيل عن عبد الرحمن بن خلدون ونُسب إليه من صفات أخلاقية سلبية إلا أنه لم يكن قط بالرويبضة، أي نعم احتقر رجال زمانه لافتقارهم الصفات التي تؤهلهم ليكونوا في المستوى مع المواعيد التاريخية الحاسمة، بعد هذا الاستهلال والذي من خلاله تعرّفنا على العلامة ابن خلدون الإنسان في يوم جديد بفضل بطبيعة الحال علي الحمامي،يجمل هذا الأخير الإسهامات الفكرية الخلدونية والتي بمقتضاها تنهض الأمم والتي تتماشى في تصور علي الحمامي مع الفكر الوطني المتعالي الذي حرّك الجزائر وشمال إفريقيه عامة؛ ندرجها اختصار كما يلي:

أ- يعد ابن خلدون أول من وضع أسس فلسفة التاريخ والتي قطعت الصلة مع الكتابات التاريخية السابقة المبنية على الروية المعنعنة.. يرى علي الحمامي أن ابن خلدون تمكّن من تخليص السياسي من تضخمات أثقلته أمدا ألحقت به، رابطا إياه بمعايير اقتصادية، اجتماعية، وثقافية، أي إلى شكل من أشكال التقييم العلمي، حيث تُرى الأشياء بنظرة وضعية، وقد أزاحت عن نفسها غبار الغيبي والوهمي.

ب- لاحظ المفكر علي الحمامي أن النقد الخلدوني نقد ذكي، من طبيعة استقرائية، لاذع، يكتنفه بعض الغموض، منصبا على فكرة التمييز، وعلى فكرة الغلط (في التاريخ) والدقة (مثلا في الرواية) من المعلومات المتحصل عليها، مُدققا في هذه المعطيات من خلال إدراجها في سياق نظام فكري يقوم على منطق استقرائي. إن الغاية من دراسة التاريخ هو الوصول إلى معرفة متى يكون تاريخ ما حقيقي أي واقعي ومتى يكون تاريخ ما مزيف قد استبدت به الأهواء، لدى فقد

اهتم العلامة ابن خلدون بقانون السببية وتحديدا في مسألة تشابه الأحداث التاريخية وعدم تشابهها.

ج- يجد المرء نفسه مضطرا إلى إبداء الإعجاب أمام قدرة ابن خلدون العقلية في مجال علم الاجتماع، والتي مكنته من فهم مجريات الأحداث في العصر الوسيط المتأخر من تفسخات أو تحلل على مستوى جميع الميادين؛ لاحظ المفكر علي الحمامي أن هناك بالفعل الكثير من مواطن الشبه بين مسعى مكيافيللي[11] ومسعى ابن خلدون، إلا أن هذا لا ينبغي أن يجعلنا نتغافل الفارق البيّن بين الرجلين: فابن العلامة متعلق بسياق ثقافي وإثني، يُعلي من شأن الصراحة أو الصدق. بينما السياق الثقافي والإثني الذي مكيافيللي منخرط فيه يسود فيه المكر والإخفاء، وإن كان لابد من مقارنة فإن شخصية الفرنسي مونتسكيو[12] أقرب إلى شخصية عبد الرحمن ابن خلدون.

تتسع نظرة ابن خلدون الإنسانية، لتفتح مجالا لميل مادي قد اكتمل، بغية وضع حد لتعليم غائي محض وإلى لعب اجتراري (استطرادي) متمكن من المنطق الصوري؛ والميل الخلدوني ذاك مؤسس يحتكم إلى مبدإ استقرائي ووفق قانون التطور البشري الأبدي — دورة الحضارات من طور النشوء إلى طور القوة فالانحطاط ثم الاضمحلال- يفتح المفكر في هذا السياق عارضة ليدعو الشعوب المغاربية لتأخذ العبر مما ذكره العلامة بخصوص طبيعة الحياة البشرية والمبنية بمقتضى تطوري، فالأيام دول كما يقال، والقصد من كل هذا هو انقشاع الغشاوة الكاتمة التي تُحيط بالشعوب المغاربية..

د- ما يميّز النظرية الخلدونية في اعتقاد المفكر علي الحمامي هو تصديها للعنصرية البغيضة في هذه المسألة الحساسة تبرز عبقرية ابن خلدون للعيان وتصل نظريته إلى قمتها، والتي تتجلى من خلال تحليل ذي شكل، وقدرة عميقة في التركيب مستوحاة من أسمى التقاليد الأخلاقية للإسلام تضاهي ما أتى به الأديب المبدع غوته[13]-Goethe – فالمجتمع المغاربي كان على الدوام بمنأى عن التصورات العنصرية، بل يمكن الجزم في القول بأن ما يردده البعض من أفكار تميزية بشأن الفوارق العرقية والتي قد يُضمره المجتمع المغاربي، ترديد صادر عن عقول غير راشدة لا زلت في

طور الطفولة. لأن المجتمع المغاربي إطار تاريخي جغرافي امتزجت فيه أعراق ولهذا، لا يمكن لهذا المجتمع وبهذه التركيبة البشرية الغنية إلا أن يكون إنسانيا بالماهية، وإن حدث خلاف ذلك فمرده إلى الاستعمار والذي يتحرك وفق مبدأ فرّق تسود.

من هذه العناصر الأربعة — وإن ذكر في مؤلف الباحث عمار بلخوجة العدد خمسة" المؤلفة للعقيدة الخلدونية"– قد يتساءل القارئ عن جدارة استخدام مصطلح عقيدة من عدمه في سياق علمي– والمرتبطة بتعلّق العلامة بوطنه المغرب الكبير بالرغم من المحن وخيبات الأمل، يمكن اعتبار ابن خلدون هو رائد للحركات الوطنية في شمال إفريقيه..

–ماذا قاله المفكر علي الحمامي بخصوص المصلح السياسي المهدي بن تومرت: يبدأ الحمامي حديثه عن المهدي بن تومرت بقول أنه إنْ كان العلامة عبد الرحمن بن خلدون المنظر الأول للفكرة الوطنية، فإن المهدي بن تومرت يعتبر حواري هذه الفكرة. تقوم العقيدة الموحدة والتي أرساها ابن تومرت، على فكرة التوحيد المنزه للذات الإلهية، وعلى التجديد المجتمعي للشعب وذلك بمحاربة المظالم والتجاوزات والتي توافق التأويل الصحيح للنصوص المقدسة، العمل على إنهاض الأمة وذلك بتنشيط العامل الأخلاقي، التصدي للأعداء الصليبيين، تحقيق الوحدة الوطنية والمتمحورة حول الحدود الجغرافية للأطلس. يتساءل علي الحمامي عن السبب أو الأسباب التي كانت وراء نجاح الحركة الموحدية والتي يصفها في مقال آخر له بالمعجزة الموحدية، فيرد ذلك إلى قدرة هذه الحركة السياسية على نشر وتعميم عقيدتها بالاعتماد على طرق تتماشى وتوافق الطبيعة البشرية لأبناء المغرب الكبير والموسومة بالغلظة والجفاء، والتي غابت عن ذهن المحلل ابن خلدون والذي رغب كثيرا أنْ تجد أفكاره موطأ قدم في الأرض المغاربية.. تسجل ملحمة الموحدين في صفحات التاريخ باعتبارها إنجاز تحرري، سيجبر الأطماع الإسبانية أن تُرواح منطقة كاستيا حيناً وتؤجل محاكم التفتيش لوقت لاحق، كل هذا تمّ بفضل رؤية مستقبلية للقائد ابن تومرت والذي عُرف عنه الزهد وعدم الاكتراث لمباهج الحياة الحسية ورفضه الانتماء العشائري كمعيار لاختيار رجال الدولة الملقاة على عاتقهم المهام التاريخية الجسيمة، فلقد اختار خليفة لا ينتمي إلى قبيلته مصمودة حاضنة الفكرة الموحدة، هو عبد المؤمن بن علي القادم من

الجزائر وتحديدا من منطقة ندرومة، والمنحدر من عائلة متواضعة، لم يتسنى للقائد المهدي بن تومرت من مشاهدة أفكاره السياسية الثورية تتحقق على أرض الواقع، فقد وفته المنية قبل الحدوث المرجو. وربما كان على يقين بأنه سيأتي اليوم وذاك اليوم يراه قريبا، فقد هيأ الظروف المواتية والتي تجعل من ذاك اليوم الموعود ممكن الحدوث، وأهم هذه الظروف أن مكّن لعبد المؤمن من أن يصير خليفة بعده على الرغم من وجود بعض الموانع أو العوائق والتي تمنع من السريان الفعلي لهذا التولي.

– ما قاله المفكر علي الحمامي بخصوص المصلح الاجتماعي عبد الحميد بن باديس[14]: استهل علي الحمامي تعريفه بالشيخ عبد الحميد بن باديس بإبراز أهمية وقيمة التعليم لدى الشعوب والأمم المتحضرة أو تلك التي تطمح إلى التقدم،إن التعليم هو كل شيء خاصة في زمننا زمن التحكم في الطاقة النووية. فمنذ حقبة الفرعون خوفو[15]، كان التعليم محرّكا لعملية التطوير والتقدم. إن التعليم هو وحده الذي يجعل من الإنسان بالفعل، ويخرجه من دائرة البهيمية إلى دائرة الإنسانية، يخرجه من مملكة الضرورة إلى مملكة الحرية.. إذا تأتي أهمية الإنجاز الباديسي من خلال الموضوع المحوري الذي أخذه هذا المصلح على عاتقه والمتمثل كما ذكرنا في التعليم، فابتداء من سنة 1931 سعى ابن باديس ومن خلفه جمعيته على نشر التعليم "التنويري" في أوساط الشعب الجزائري والذي يعاني من أعظم أفاتين آفة الاستعمار الاستيطاني والذي طوال القرن عمل على تدمير الشخصية الجزائرية من خلال سياسة التجهيل والسماح للتصورات الخرافية اللامعقولة من تجد لها موطأ قدم؛ الآفة الثانية هو إلحاق بالدين الإسلامي كل ما هو رجعي خوارقي، وعليه فإن المهمة التي كانت على الجمعية تأديتها مركبة تقوم على مقاومة المرض على جبهتين، الجبهة الاستعمارية والتي تستدعي إيقاظ الوعي الوطني الجزائري، ويكون ذلك ببث تعليم يسمح مجددا من إظهار مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية، تعليم يستفيد منه الشاب الجزائري والشابة الجزائرية أيضا، الجبهة الداخلية وتتمثل في مجابهة وبشدة كل ما علق بالدين الإسلامي من أشياء معطّلة التي تُصيّر الدّين إلى جُملة من الخوارق والخزعبلات تُسيء للدين وإلى رسالته الإنسانية، رسالة عنوانها الحرية والكرامة للجميع.

و في الختام لا يسع المرء إلا بالاعتراف بضخامة ونبل العمل الملقى على عاتق الباحث في ميدان التاريخ وتحديدا في التأريخ للحركة الوطنية الجزائرية والتي تبدأ في تصور المفكر علي الحمامي منذ الأيام الأولى لبداية الحركة الموحدة بقيادة المهدي بن تومرت، بصفته حواري هذه الحركة المباركة في شقها السياسي ثم بعده يأتي باعث هذه الحركة ورائدها المفكر عبد الرحمن بن خلدون. يبدو لي وفي مستوى من المستويات فإن ما يقوم به الباحث عمار بلخوجة هو استمرارية لهذا الجهد الإنساني والذي يخترق الحقب التاريخية ويرتفع عاليا فوق الأجيال المتتالية، كل لأجل تكريس الفكرة الوطنية والذود عنها، بأساليب مختلفة يقتضيه الظرف ومؤهلات الشخص الذائد واستعداداته.

الهوامش:

1- شيخ بوعمران من مواليد مدينة البيض سنة 1924 حاز على دكتوراه دولة في الفلسفة من جامعة باريس سنة 1974، توفي سنة 2016 عن عمر ناهز 92 سنة.

2- عبدالقادر جغلول من مواليد 1946 توفي سنة 2010 انشغل بالدراسات الاجتماعية ويعتبر واحد من الذين أسهموا في التعريف بعلم الاجتماع بالجزائر ولم يقتصر انشغاله بالقضايا الاجتماعية بل اهتم كذلك بالأنثروبولوجيا وعلم النفس.

3- أمين الزاوي من مواليد 1956 بتلمسان روائي جزائري مارس التدريس في جامعة باريس 8 يكتب باللغتين العربية والفرنسية.

4- عبد القادر حاج علي ولد بدوار سيدي سعادة بغليزان سنة 1883 انضم سنة 1920 إلى اتحاد المستعمرات برفقة الزعيم الفيتنامي هوشي منه. كان لحاج علي دور كبير في انضمام مصالي الحاج إلى صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي وساهم رفقته في تأسيس نجم إفريقيا سنة 1926 للدفاع عن مطالب العمال المغاربة في فرنسا قبل أن يتحول إلى حزب يُطالب باستقلال الجزائر. توفي عبد القادر حاج علي سنة 1957.(المرجع عن تاريخ الجزائر، وزارة المجاهدين، بتصرف)

5- الكومنترن لفظ مختصر لعبارة الأممية الشيوعية وهي منظمة شيوعية أممية ترفع شعار الشيوعية العالمية المناهضة للبورجوازية العالمية أسست سنة 1919 لتحلّ من قبل ستالين سنة 1943.

6- ولد خالد الهاشمي بن عبد القادر سنة 1875 بدمشق وتوفي بالمدينة نفسها سنة 1936. يرى الدكتور أبو القاسم سعدالله أن الأمير خالد هو من أسس الحركة الإصلاحية، فقد استغل الرصيد النضالي لجده الأمير عبد القادر ومعرفته للحضارة العربية الإسلامية للوقوف في وجه السياسة الاستعمارية بعد الحرب العالمية الأولى. أسس الأمير خالد جريدة الإقدام سنة 1920 للتعبير عن أفكاره والدفاع عن فكرة المساواة بين الجزائريين والفرنسيين في الحقوق السياسية.

7- ابن تومرت: هو محمد بن عبد الله بن وجليد بن يامصال من مواليد سنة 1077 توفي سنة 1130 أقرّ الموحدين بإمامته والتي تُشكل ركنا من أركان الدعوة الموحدية، بدأ دعوته سنة 1121 دعا قبائل مصمودة إلى مبايعته وكوّن منهم جيشا قويا جعل على رأسه عبد المؤمن بن علي للقضاء على المرابطين.

8- هو جمال الدين ولد سنة 1839 وتوفي سنة 1897 يعد من رواد الإصلاح في العالم الإسلامي اشتهر بكتابه " الرد على الدهريين".

9- محمد عبده (1849-1905) عالم دين وفقيه ومجدد إسلامي مصري، يعد أحد رموز التجديد في الفقه الإسلامي ومن دعاة النهضة والإصلاح في العالم العربي والإسلامي.

10- هو شارل موريس تاليران، سياسي ودبلوماسي وقائد عسكري فرنسي ولد سنة 1754 وتوفي سنة 1838، شغل مناصب عليا في العهد الملكي وبعد ذلك في فترة الثورة الفرنسية، ساهم في مؤتمر فيينا سنة 1815 رجل أنوار وليبرالي مقتنع، كني بالشيطان الأعرج ، شخصية مثيرة للجدل فمن جهة هناك من يصفه بالخائن غير المكترث المثقل بالخطايا والارتشاء ومن جهة هناك من يصفه بالقائد البراغماتي ذي الرؤية الثاقبة.

11- مكيافيللي مفكر إيطالي من مواليد 1469- توفي سنة 1527 منظر سياسي.

12- شارل لوي دي سيكوفلد مونتسكيو ولد سنة 1689- توفي سنة 1755 فيلسوف فرنسي صاحب نظرية الفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وإن كان لا يعد الأول من تحدث في هذه المسألة فالفيلسوف البريطاني أيضا تحدث عن الفصل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، أما السلطة القضائية فهو الجديد الذي جاء به مونتسكيو.

13- جاء في موقع ويكبيديا يوهان فولفغنايغ غوته 28 أغسطس 1749 - 22 مارس 1832 هو أحد أشهر أدباء ألمانيا المتميزين ترك إرثا أدبيا وثقافيا ضخما للمكتبة الألمانية والعالمية، وكان له بالغ الأثر في الحياة والأدبية والفلسفية..

14- عبد الحميد بن باديس مصلح اجتماعي جزائري ولد أواخر سنة 1889 توفي سنة 1940 أسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931، اقترن اسمه بالعبارة الشعرية: شعب الجزائري مسلم - وإلى العروبة ينتسب.

15- هو الفرعون الثاني من الأسرة الرابعة، خلف والده الفرعون سنفرو، باني الهرم الأكبر على هضبة الجيزة، والذي يعتبر من عجائب الدنيا السبع، شيّده سنة 2650 ق،م، أشرف على بنائه وزيره حم إيونو (هامون) .

الثقافة في نصوص الثورة

عيون أبي القاسم سعد الله

الدكتور عسال نور الدين، جامعة بلعباس

تمهيد:

لا شك أن الدارس لتاريخ الثورة الجزائرية يلاحظ أنها استقطبت الكثير الدراسات من قبل المؤرخين الجزائريين والأجانب الذين حاولوا تسليط الضوء على أعظم ثورات العالم خلال القرن العشرين مركزين على عدة الجوانب السياسية والعسكرية التي استوفت الكثير من الدراسات التي وإن كانت ذات أهمية،إلا أنها ظلت بعيدة عن تغطية الكثير من النقاط التي لم تسلط عليها الأضواء،غير أن بعض المؤرخين الجزائريين وعلى رأسهم أبو القاسم سعد الله الذي قام بدراسة هامة من خلال كتابه تاريخ الجزائر الثقافي،مركزا على أحد الجزئيات المتمثلة في مكانة الثقافة في نصوص الثورة التحريرية .

يعد أبو القاسم سعد الله من أبرز المؤرخين الجزائريين الذين كانت لهم إسهامات كثيرة في كتابة تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر والتي حاول من خلالها تقديم دارسات وطنية جزائرية محضة للرد على الكتابات الأجنبية خاصة الفرنسية، مما دفعنا إلى كتابة هذا المقال عن الثقافة في نصوص الثورة الجزائرية بعيون أبي القاسم سعد الله.

تعتبر مواثيق الثورة الجزائرية من بين أهم الوثائق التاريخية التي لازالت تثير الكثير من النقاشات الأكاديمية والسياسية والإيديولوجية لأنه لم تكشف حتى يومنا هذا عن العديد من الحقائق والمحتويات التاريخية من بينها قضايا الهوية التي تعتبر من أهم القضايا التي تطرقت إليها الحركة الوطنية الجزائرية، فقد كان الجزائريون منذ بداية الاحتلال إلى غاية الاستقلال متمسكين بتراثهم ومكوناتهم الفكرية واللغوية والدينية.

قام العديد من المؤرخين والمفكرين الجزائريين بدراسة مستفيضة عن مواثيق الثورة التحريرية من بينها وثيقة بيان أول نوفمبر فقد اختلفت آراؤهم حولها ولعل من أبرز هؤلاء أبا القاسم سعد الله الذي ركز على مسألة هامة ويتعلق الأمر بالثقافة ومكانتها في البيان، طارحا سؤالا جوهريا: هل تعرض البيان إلى المسألة الثقافية؟ وإلى أي حد كان معبرا عن الهوية الثقافية للجزائر؟ .

أكد الكاتب على أن البيان قد أشار إلى اللغة والدين الإسلامي والتاريخ الجزائري غير انه لم يشر صراحة إلى هذه النقاط[1]،مرجعا سبب ذلك إلى التكوين السياسي والثقافي لمحرري البيان الذين لم يكونوا من الدارسين للحضارة العربية الإسلامية وكانوا اشتراكيين في توجهاتهم[2]،كما يذهب مذهبا مغايرا للعديد من المؤرخين في مسألة حضور القيم الإسلامية بالحضور الباهت والضعيف حيث قال :"**يلاحظ بدون شك أن هناك غيابا لمبادئ جمعية العلماء المسلمين التي رسمتها للجزائر ماضيا ومستقبلا كما يلاحظ أن البيان لا يجيب على بعض النقاط بوضوح كالهوية والإسلام والعروبة وأنه ليس ميثاقا أو عريضة مرجعية ذات فلسفة وتصورات حضارية وإنما هو وثيقة سياسية صحفية كتبت فيما يبدو علة عجل ،وصيغت في عبارات بسيطة** " [3].

أشار البيان في هدفه الأول هو إقامة دولة جزائرية ديمقراطية اجتماعية، الأمر الذي أثار حفيظته فقد اعتبره هدفا غامضا، وأن النظام الذي ستتبناه الجزائر مستقبلا هو النظام الاشتراكي ،حيث كتب قائلا: "**إن تعبير دولة ديمقراطية اجتماعية يعني تقليد النظم التي تدور في فلك المعسكر الاشتراكي وبعض الجمهوريات الشيوعية** [4] ،كما اعتبر أن محرري البيان أبقوا الغموض سائدا فيما يتعلق بالمبادئ الإسلامية وإطارها التي صيغت بطريقة مقصودة حتى تبقى محل احتمالات، أما المبادئ العلمانية، فقد كانت واضحة وضوح الشمس مثل مسألة الأقليات وإعادة توحيد الحركة الوطنية، ووحدة المغرب العربي ،بينما كلمة طبيعي لم ترد في المبادئ الإسلامية، ولا في تحديد مفهوم القومية [5].

تعتبر المسألة اللغوية أمر جوهري وحساس في نفس الوقت، فاللغة ليست رموزا ومواصفات فنية، لكنها إلى جانب ذلك منهج وفكر وتصور لواقع الأمة، ورؤية شاملة لقضاياها ومشاكلها، واللغة هي التي تعطي الإنسان حق الانتماء وجنسية الفكر والهوية، ووسيلة من وسائل التعبير عن الفكر، ووعاء لثقافة وحضارة شعب من الشعوب، وبالتالي هناك ارتباط بين اللغة والفكر. وبناء على ذلك أكد سعد الله على هذه النقطة من خلال لغة البيان، فقد أوضح أن اللغة التي كتب بها هي اللغة الفرنسية وليست العربية لأن الذين كتبوه ليست لهم أي صلة بلغة الأم و الثقافة الإسلامية [6]،و طرح في نفس الوقت تساؤلا: في حالة ما إذا كتب هذا البيان من قبل الأمير عبد القادر أو جمعية العلماء المسلمين ،هل سيكون بهذه الصيغة ؟،هذا التساؤل هو في الحقيقة عبارة عن سؤال يحمل في طياته إجابة واضحة أراد سعد الله الوصول إليها .

يقدم سعد الله أسباب هذا التوجه البعيد عن واقع الجزائر كون أن الذين صاغوا البيان هم من ذوي الثقافة الماركسية العلمانية، والتي لا تمت بصلة إلى التراث الثقافي لبلدهم، وتشبعهم بالثقافة الاستعمارية التي تعلموها في مدارسه [7] .

يبدو من خلال هذا الموقف لسعد الله من بيان نوفمبر أنه اعتمد على النسخة المترجمة من الفرنسية إلى اللغة العربية، فالمقارنة بين النسختين نلاحظ تحريف مقصود، وبالتالي نجد أن كثير من السياسيين والمؤرخين ذهبوا إلى رأي مغاير تماما في تحليلهم ،فقد أكد **محمد بوضياف** أن البيان لم يكن عميقا في أفكاره ولا في مضمونه السياسي فقد صرح قائلا :"**لم يقع أي تعمق جاد في الحركة ولم يستطع المنظمون أن يتوسعوا في المضمون السياسي أكثر مما تناوله البيان لان إعداد محتوى واسع ومفصل تقتضي وقتا وتكوينا معينا إلى الإيديولوجية والأبعاد والتنظيم**" [8] ،مما يؤكد أن جماعة الست تجنبت الدخول في التفاصيل الإيديولوجية .

ذكرنا سابقا أنه وقع تحريف في الترجمة بين كلمة الديمقراطية الاجتماعية والديمقراطية و الاجتماعية [9] فالمعنى الأول ذات الصبغة الاشتراكية اليسارية، فيما المعنى الثاني هي ترك مساحة للاجتهاد في نوع الديمقراطية التي تتطلبها المرحلة والظروف والتي لا تتعارض مع القيم

الإسلامية ،وقد أقر بيان نوفمبر أن تكون الثورة والدولة الجزائرية قائمة على مبادئ إسلامية، وبالتالي فقد فصل بشكل واضح في المرجعية العقائدية والفكرية ،وهذا ما أكده "**عميراوي حميدة** " قائلا :**ما نلمسه في هذه الثورة التحريرية التي بدأ مشروعها الحضاري ببيان نوفمبر الذي كان من أولوياته تحرير المجتمع الجزائري من الاستعمار الأوربي، وفرز هويته عن بقية الهويات الاستيطانية، وتأسيس دولة جزائرية حرة ديمقراطية قائمة على الإسلام دينا ،والعربية لغة ،وعلى الثقافة العربية ممارسة** " [(10)].

ذهب "**جغابة محمد**" في نفس السياق حيث أكد على أن البيان لم يقر بالعلمانية منهاجا للثورة الجزائرية ولم يكن الذين صاغوه علمانيين: "**إن الوثيقة لم تنتهج السبيل العلماني، بل أن الطرح العلماني على غرار مجمل الأطروحات، هو الذي تكيف مع الخطة الوطنية و مطالبها** "[(11)] ، كما قدم مفهوما للدولة الديمقراطية والاجتماعية بأنها لم تكن اختيارا إيديولوجيا، بل التأكيد على المبدأ الديمقراطي، حيث ذكر قائلا :"**إن وصف الدولة الديمقراطية لم يكن مجرد إعلان برمجي حزبي إنما يتصل بمسار الحركة الوطنية ببعدها الشعبي، ولعل أحسن دليل على ذلك هو توجه البيان بالدرجة الأولى إلى الشعب الجزائري بصفته المعني الأول والأخير بالثورة ،ولم تكن الديمقراطية في البيان اختبارا إيديولوجيا** "[(12)].

لقد كانت العقيدة الإسلامية أكثر حضورا وتأثيرا و فعالية في مناهضة الاستعمار، فقد كان الإسلام القاعدة الثقافية والاجتماعية للجماهير الشعبية التي سعت إلى إنجاح الحركة الثورية في الجزائر وبناء علة ذلك فقد حدد "**رابح لونيسي** " دوائر الانتماء الثلاث للجزائر وهي الدائرة المغاربية والعربية والإسلامية، وبذلك حسم في أبعاد الهوية الجزائرية، و التأكيد علة الثقافة البربرية المشتركة للدول المغاربية وتأثيرها على الشخصية الثقافية والاجتماعية للمنطقة، وإن لم يطرحها البيان بشكل مباشر لأسباب موضوعية [(13)].

بعدما تحدث أبو القاسم سعد الله عن البيان، انتقل إلى الحديث عن الوثيقة الثانية المتمثلة في وثيقة الصومام، طارحا نفس الإشكالية حول مكانة الثقافة، وهل اختلفت نظرة المؤتمر

للمرجعية الثقافية عن البيان؟ لقد انضم إلى الثورة بعد سنة 1955 العديد من الأطياف السياسية والدينية والثقافية مما أعطاها دفعا قويا في مسيرتها النضالية ضد الاستعمار الفرنسي، وكان لهذه الحركية انعكاسات خطيرة على الإيديولوجية الثورية، فقد أكد أن وثائق المؤتمر المعلنة لا تشير إلى أية إيديولوجية خاصة بالثورة، كما لا تشير إلى الانتماء الإسلامي أو الارتباط بالتراث أو مرجعية التاريخ الجزائري [14].

إلى جانب ذلك فقد وجه نقدا إلى أهداف المؤتمر التي تشير إلى الهدف الثقافي أو على الهوية الجزائرية، وتركيزها على الأقلية الفرنسية واليهودية معتبرا ذلك تزلفا، بينما لم يوجه المؤتمر خطابه إلى البلاد العربية التي تعتبر السند الطبيعي الوحيد للثورة الجزائرية خلال تلك الفترة، بينما وجه المؤتمر خطابه إلى الدول الأفروآسيوية التي طلب منها الدعم للثورة الجزائرية[15] .

ركز سعد الله من خلال قراءته للوثيقة على الذاتية اللغوية التي تعتبر عنصرا جوهريا في تكوين الشخصية الوطنية التي حققت الاستمرارية التاريخية للشعب الجزائري، وهنا اعتبر أن عبارة المواطنين الوردة في الوثيقة غير واضحة وتحتمل عدة أوجه، منها السكان بما فيهم الأوربيين، مما يشكل خطرا على الهوية الثقافية الجزائرية، لأن هناك أقلية لا تستخدم اللغة العربية[16]، التي ستهدد الوحدة الوطنية مستقبلا وتصبح لها نفس الحقوق والواجبات في القانون الخاص بالأحوال الشخصية.

كما أن الوثيقة استخدمت عبارات ليست لها أي صلة بواقع المجتمع الجزائري، بل كانت عبارات يسارية منها محاربة الإدارة للحركة التقدمية التي تمثلها جمعية العلماء المسلمين ،ووصفوا حركة المرابطين بالرجعية، وأن الثورة الجزائرية ليس لها علاقة بالحركة الإسلامية الوحدوية [17]، ولا شك أن الذين وضعوا هذه الوثيقة هم من الفئة التي تشبعت بالأفكار الشيوعية، فنجد من بينهم رضا مالك ومصطفى الأشرف و محمد حربي و عمار أوزغان وعبد المالك تمام [18] الذين ينتمون كلهم إلى التيار الفرانكفوني، وبالتالي كانت أفكارهم غير منسجمة مع أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية .

لقد أقر المؤتمر الصبغة العلمانية للكفاح الوطني و معركة التحرير، نافيا الصفة الدينية باعتبارها شكلا من أشكال الحروب الثيوقراطية ،حيث ورد فيه :" **إنه كفاح في سبيل نهضة دولة جزائرية في شكل جمهورية ديمقراطية اجتماعية، وليست في سبيل إعادة حكم ملكي أو حكم قائم على ما يعبر عنه باللاهوتية، وتلك نظم قد اضمحلت ودانت دولتها** "[19]، وهذا ما يتفق مع وجهة نظر سعد الله،خلافا لبعض المؤرخين الجزائريين الذين رأوا عكس ذلك من بينهم "**ابراهيم لونيسي**" الذي أعتبر أن الوثيقة موجهة للرأي العام الغربي حتى تفوت الفرصة على عدم اعتبار الثورة حربا دينية عنصرية [20] وذهب "**يوسف بن خدة**" في نفس الاتجاه بانتقاده لهذه النقطة ،حيث كتب قائلا :"...**مما يعني عدم الالتزام بالاستمرارية مع بيان أول نوفمبر**"[21]،كذلك نجد المؤرخ الجزائري "**ناصر الدين سعيدوني**" الذي كانت له نفس الرؤية حول هذه الجزئية فقد ذكر أن وثيقة الصومام لم تركز على البعد العربي الإسلامي مع التسليم به ضمنيا [22].

لقد جرد محرروا الوثيقة من كل الأبعاد و القيم الإسلامية و أصبغوها بنظرة يسارية علمانية التي تتوافق مع ثقافتهم البعيدة عن أصالة الشعب الجزائري وهويته الوطنية القائمة على التاريخ واللغة و الإسلام، وعبارة الحرب الدينية المذكورة لا وجود لها في العقيدة الإسلامية ولا في التاريخ الإسلامي الطويل الممتد عبر فترات طويلة، وإنما استمدت من الثقافة الغربية الأوربية، وبالتالي وصل سعد الله إلى أن برنامج الصومام لم يخرج بخطة ثقافية للمستقبل، وأن الهوية الثقافية تكاد تكون غائبة [23] .

أما الوثيقة الثالثة المتمثلة في برنامج طرابلس الذي أعدته لجنة التي اقتسمت العمل، فمنهم من كتب الديباجة و منهم من كتب عن المشروع الاقتصادي والاجتماعي و الثقافي، وبناء على ذلك تحدث سعد الله عن الجوانب الثقافية ومكانتها في محتوى هذه الوثيقة بحكم أنها هي التي رسمت الأفاق المستقبلية للدولة الجزائرية الحديثة .

ذكر سعدالله أن جل الأعضاء الذين شاركوا في الاجتماعات لم يكونوا على قدر من المستوى الثقافي الذي يسمح لهم بمناقشة أو فهم الوثيقة، ولم يكن اهتمامهم بالمستقبل بقدر

اهتمامهم بمستقبلهم السياسي، و كان من المفروض أن تناقش بتريث وعميق ودون تسرع ،لأنها القاعدة والأساس الذي ستقوم عليه الدولة الجزائرية، غير أن البرنامج كان طرحه في المجال الثقافي أوربيا لا إسلاميا ،بإدخال عبارات جديدة كالوطنية والعلمية والثورية [24]،وفي كلها عبارات نادت بها النظرية الماركسية المادية ،كما اعتبر أن أصحاب البرنامج لم يفرقوا بين الإسلام كعقيدة و بين الحضارة الإسلامية كإنتاج و ابداع فكري مشترك[25].

و على الرغم من إقرار سعد الله بتطرق الوثيقة إلى العقيدة الإسلامية، لكن وفق مفهوم جديد باستعمال عبارة تطور الإسلام ضرورة إخراجه من المفاهيم البالية، وعدم العودة إلى الماضي، ويعتقد سعد الله أن المقصود بذلك هم دعاة التمسك بالتراث والمحافظة عليه، ومن خلال هذا الطرح قدم محرروا الوثيقة تفسيرا للهدف الأول الوارد في بيان أول نوفمبر[26] .

لم تكن وثيقة طرابلس ملائمة لا فكريا ولا سياسيا مع الثقافة الجزائرية، وبعيدة عن روح المجتمع وفلسفته، ومتناقضة مع أدبيات الحركة الوطنية، وقد عبر الكثير من المفكرين والمؤرخين والسياسيين الجزائريين عن موقفهم المعارض لمضمون الوثيقة، واعتبروها انحرافا حقيقيا عن الخط الذي رسمه نضال الشعب الجزائري منذ بداية الاحتلال، فحسب " محمد العربي الزبيري "فإن الأعضاء الذين أوكلت لهم مهمة صياغة المشروع كانوا جميعهم متشبعين بالثقافة الغربية، يجهلون الحضارة العربية الإسلامية التي ينتمي إليها الشعب الجزائري [27].

إن اعتماد النظرية الماركسية في تقييم مسار الثورة وعلى ضوئها تم إعداد البرنامج الجديد للبلاد الذي اعتبر قفزا على الحقائق التاريخية، لأن الثورة عند اندلاعها اتخذت من مبادئ الإسلام مرجعا أساسيا وكان القلب النابض للثورة و عنوانها الأساسي، وبالتالي كان من الخطأ إعداد برنامج بعيد عن المبادئ التاريخية الإسلامية، ولم يعتمد هؤلاء على النصوص الأساسية للثورة الجزائرية، وفسروا التاريخ وفق المنظور الاستعماري الغربي، كما استعملوا مصطلحات كالثورة الديمقراطية الشعبية التي هي غريبة عن أدبيات الحركة الوطنية .

واعتبر سعد الله أن ما ورد في برنامج طرابلس فيما يخص المسألة اللغوية هو ابتعاد حقيقي عن الهوية الجزائرية:" **يجب إحداث تصور جديد للثقافة، وتكون الثقافة الجزائرية ثقافة وطنية وثورية وعلمية** "[28] بتأسيس هذه الثقافة على مبدأ إعطاء اللغة العربية موقعها وطابعها العقلاني، وترقيتها مستقبلا بأساليب علمية، وما هو إلا أحد الأساليب التي ستستخدم ضد استعمال اللغة العربية من قبل الفئة المعادية لهذه اللغة، لان من شروط ترقيتها علميا هو استعمالها في الميدان[29].

يظهر أن برنامج طرابلس من خلال قراءته للمشكلة الثقافية الوطنية بتحديد مفهوم جديد فحسب "عبد الله شريط" فإن المسألة الثقافية التي اعتبرت من الموضوعات الأساسية التي تمثل أرضية ومنطلق نظري وقيمي لصناعة فكر إيديولوجي وطني تم ربطه بالعمل السياسي كإطار منشط له، بل يعترف البرنامج بضرورة خلق فكر سياسي واجتماعي مدعم بفكر علمي يضع أيدينا على مفهوم جديد للثقافة[30] .

وفق هذا السياق فإن البرنامج لم يحدد الصلة بين المفهوم الوطني للثورة للثقافة ولسانها العربي، وبين باقي مكونات الثقافة الجزائرية، مع العلم أن الثورة التي أعلن عنها برنامج طرابلس التي جعلت الثقافة أخد دعائمها وواحدة من مهامها الأساسية في سبيل تحقيقها، لا يمكن بأي حال من الأحوال إسقاطها واقعا ملموسا بمعزل عن التركيبة الفكرية والثقافية والسياسية للشعب الجزائري كما أشار سعد الله إلى أن البرنامج قد دعا إلى ضرورة المحافظة على التراث الوطني لكن وفق مفهوم محدود وضيق للتراث المتمثل في الثروة الفلكلورية والتقاليد الشعبية[31]

خاتمة:

لقد حاول أبو القاسم سعد الله على غرار الكثير من المؤرخين الجزائريين تقديم دراسة تحليلية لنصوص الثورة الجزائرية ومكانة الجانب الثقافي فيها، وقد توصل أن هذا العنصر كان مغيبا وبعيدا كل البعد عن مكونات الهوية الوطنية الجزائرية العربية الإسلامية ودون الإشارة إلى الشخصية التاريخية للأمة، والاكتفاء الفخري للحضارة الإسلامية.

الهوامش:

1- سعد الله (أبو القاسم) ،**تاريخ الجزائر الثقافي ،الجزء العاشر 1954-1962** ،دار الغرب الإسلامي ،2007 ص 77.

2- المرجع نفسه ،ص 78.

3- الإبراهيمي (محمد البشير) ،**في قلب المعركة** ، الطبعة الأولى ،دار الأمة ،الجزائر ، 1997، ص07.

4- أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ،ص 79.

5- المرجع نفسه ،ص 80.

6- المرجع نفسه ،ص 81.

7- نفسه.

8- المعمري (مومن) ،**الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني 1926-1954** ، ط 1 ،دار الطبع و النشر ، قسنطينة ، الجزائر ،2003 ،ص 308.

9- Harbi (Mohamed) , **les Archives de la révolution Algérienne** , Editions jeunes Afrique , 1981, p101.

10- عميراوي (حميدة) ، "فاتح الثورة الجزائرية مقارنة بالثورات العالمية " **مجلة المصادر** ،عدد 9، المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية ،2004 ،ص 18.

11- جغابة (محمد) ، **بيان أول نوفمبر دعوة إلى الحرب رسالة للسلام** ، دار هومة ، الجزائر ، ب ت ، ص 35.

12- المرجع نفسه ، ص ص 58-59.

13- لونيسي (رابح) ، "بيان أول نوفمبر و أسس الدولة الوطنية ،الجذور الفكرية و المضمون" ، **مجلة المصادر** ،عدد 7 المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية ، نوفمبر 2002 ، ص 36.

14- أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ،ص 85.

15- أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ،ص 87.

16- نفسه ،ص 87.

17- نفسه ،ص 88.

18- هشماوي (مصطفى) ، **جذور نوفمبر 1954 في الجزائر** ،منشورات المركز الوطني للحركة الوطنية و الثورة الجزائرية ، الجزائر ، 2001 ،ص 205.

19- النصوص الاساسية لجبهة التحرير الوطني 1954-1962 ،نشر و توزيع قطاع الإعلام و التكوين ،حزب جبهة التحرير الوطني ، الجزائر 1987،ص 226.

20- مجاود (محمد) ، "**الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية بين النظرية و التطبيق** " ،كتاب الأبعاد الحضارية للقورة الجزائرية ط1 ،دار الغرب للنشر ،وهران ،2005،ص 101.

21-Ben youcef (Ben khadda), **Abban .Ben'mhidi leur apport a la revolution algerienne** , editions , dahleb , Algerie ,2000,p 163.

22- سعيدوني (نصر الدين) ، **ثوابت الامة الجزائرية بين الشعارات و الواقع المعيشي** ،كتاب جمعية أول نوفمبر الثورة الجزائرية أحداث ة تأملات ،ط1 مطبعة عمار قرني ، باتنة ، الجزائر ،1994 نص 266.

23- أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ،ص90.

24- نفسه ،ص 115.

25- نفسه،ص 117.

26- نفسه ، ص 118.

27- الزبيري (محمد العربي) ، **تاريخ الجزائر المعاصرة ،الطبعة الأولى** ، الجزء الأول ، دار هومة ، الجزائر ، ص 243.

28- النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني ن المصدر السابق ، ص 73.

29- أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ،ص116 .

30- شرسط (عبد الله) ، **مع الفكر السياسي الحديث ة الجهود الايديولوجي في الجزائر** ،ط1 ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1986 ،ص 180.

31-- أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ،ص 119.

الاستعدادات العسكرية العربية قبيل حرب 1948

(الحقيقة والوهم)

الدكتور بلعالية ميلود، جامعة الشلف

الملخص:

كان قرار تقسيم فلسطين الصادر عن مجلس الأمن في 29 نوفمبر 1947، يوم حزن عام بالنسبة للأمة العربية وتجسدت مخاوف ثلاثين عاما من صدور وعد بلفور، وقد أصبحت مخاوف الفلسطينيين الماضية خطرا ماثلا أمام وجوههم يهددهم بالاقتلاع من وطنهم. وتعالت صيحات الغضب العربي على الحكومات العربية تطالبها بتنفيذ قرارات بلودان السرية، وهي قرارات تدعو صراحة إلى شن الحرب واستخدام سلاح البترول ضد الولايات المتحدة وبريطانيا باعتبارهما مسؤولتين عن كارثة التقسيم. جاء انعقاد اجتماع الجامعة العربية في هذا الجو، فالأردن والعراق متحفزة للحرب، وسوريا مستعدة أن تضع إمكانياتها لإنقاذ فلسطين، ومصر قالها صراحة رئيس حكومتها النقراشي باشا في عهد الملك فاروق: (**لا نستطيع أن نحارب ومشاكلنا مع بريطانيا كثيرة**).

وكان السؤال الكبير الذي شاع في الجامعة العربية، هو ماذا سيحل بعرب فلسطين غداة جلاء القوات البريطانية من فلسطين؟ فالوكالة اليهودية لها كامل الصلاحيات داخل سلطة الانتداب. في حين نشطت الأعمال الفدائية للمجاهدين في المدن والقرى الفلسطينية، إلى أن وقعت مذبحة دير ياسين عام 1948، لأن العصابات اليهودية كانت ماضية في سياسة البطش، فأخذت قوافل اللاجئين تتدفق على البلاد العربية المجاورة. وبهذا بدأت طلائع التشريد والتهجير من فلسطين لتتكون فيما بعد قضية اللاجئين الفلسطينيين.

مقدمة

كان لبريطانيا قبيل حرب 1948 نفوذ كبير على الدول العربية التي كان لها دور في حرب 1948، فإمارة شرقي الأردن والمملكة العراقية والمملكة المصرية كانت ترتبط مع بريطانيا بمعاهدات ثنائية غير متكافئة، وتشترك معها في اتفاقيات عسكرية. ففي الأردن كان لبريطانيا قاعدتان جويتان، كما أن الجنرال الانجليزي غلوب باشا كان هو القائد العام للجيش الأردني.

أما في العراق، فكان لبريطانيا قاعدتان عسكريتان هما الحبانية والشعيبية، وكان بين العراق وبريطانيا ميثاق عسكري مشترك منذ عام 1930.

أما مصر فكانت ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة عام 1936، كما كان لبريطانيا قاعدة عسكرية في فايد.

أما المملكة العربية السعودية فكانت تربطها ببريطانيا صداقة تقليدية.

أما مملكة اليمن وجمهورية سوريا وجمهورية لبنان التي كانت متحررة من ارتباطات عسكرية مع بريطانيا. فلم يكن بإمكان هذه الدول المشاركة فعيا في العمليات العسكرية، لأسباب منها أن سوريا كانت حديثة العهد بالاستقلال وبناء الجيش، وضعف الإمكانات العسكرية في لبنان وتخلف اليمن.

يضاف إلى ذلك طبيعة العلاقات السياسية بين الدول العربية في المشرق التي اشتركت في الحرب، كالتحالف السياسي غير المعلن بين مصر والسعودية من ناحية، وبين العراق والأردن من ناحية ثانية. وعدم اطمئنان شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية إلى مشاريع الوصي الأمير عبد الإله على ملك العراق فيصل الثاني فضلا عن التحالف القائم بين العراق والأردن.

وهكذا كانت الدول العربية السبعة التي اشتركت في حرب فلسطين عام 1948 ليست خاضعة للنفوذ البريطاني، بل أيضا تربطها علاقات سياسية بينية متنافرة[1]. والإشكالية التي يمكن طرحها: ما هي حقيقة الاستعدادات العسكرية العربية لحرب تحرير فلسطين عام 1948، وكيف

تحول العجز العربي بفعل هدنة عام 1948 إلى وهم النضال لتسوية القضية الفلسطينية عن طريق الأمم المتحدة؟

1. موقف الدول العربية تجاه المشاركة في الحرب:

عندما أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة توصيتها رقم 181 القاضية بتقسيم فلسطين في 29 نوفمبر 1947. أذاعت الحكومات العربية في 17 ديسمبر بيانا يستنكر هذا التقسيم، وقد تضمن هذا البيان عبارة تعني أن تلك الحكومات قد عقدت العزم على خوض المعركة التي حملوا عليها[2]. ويعني ذلك أن الحكومات العربية تعرف منذ بيانها هذا أن هناك معركة قادمة عندما ينتهي الاحتلال البريطاني لفلسطين، وهو ما حدث فعلا في 15 ماي 1948. أي أنه كان أمام الحكومات العربية حوالي خمسة أشهر للاستعدادات العسكرية. فهل كانت الحكومات العربية عند موقفها بالأخذ بأسباب الانتصار في تلك الحرب؟

رغم هذا البيان، فإن الدول العربية لم تكن ترى مصلحة بعد قرار التقسيم في استخدام قواتها العسكرية، حيث يؤكد محمد حسين هيكل في مذكراته، وهو الذي كان رئيسا لمجلس الشيوخ المصري عند حدوث الحرب، (**إن الدول العربية رغم قناعتها بأن القوة وحدها هي السبيل لمنع قيام دولة صهيونية في فلسطين، لكنها لم تكن ترى مصلحة بعد مشروع التقسيم في استخدام القوة بقواتها العسكرية، بل عن طريق تأليف قوات غير رسمية من الفلسطينيين ومن المتطوعين العرب، وأن تمدهم هذه الدول بالسلاح، وتسمح لضباط من جيوشها أن يستقيلوا لقيادة هؤلاء المتطوعين، وهو الاتجاه الذي اتجهت إليه اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية حتى يوم 11 ماي 1948، وكانت الدول العربية تعتقد أن قوات المتطوعين كافية لمنع قرار التقسيم، وخلال الأشهر السابقة للحرب كانت مجموعات من المتطوعين قد توجهت إلى فلسطين من الوطن العربي**)[3].

يلاحظ من خلال مناقشات الجامعة العربية بعد توصية الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين أن العراق والأردن كانا أكثر الدول العربية مناداة بالتدخل العسكري، بينما كان يعارض هذا الاتجاه مصر وسوريا والسعودية لشكها في نوايا الملك عبد الله، واعتقادها أنه يهدف إلى ضم الجزء

العربي في مشروع التقسيم إلى الأردن. لكن مصر كانت منذ البداية أقل الدول العربية حماسا للتدخل العسكري في فلسطين[4].

تعزى أسباب عدم تدخل مصر العسكري في فلسطين إلى عدم الاطمئنان إلى موقف الانجليز الذين يحتلون البلاد، وإدراك الحكومة المصرية أن الجيش غير مستعد للقتال، وأن اليهود أكثر تنظيما وتسليحا من العرب. ولعل تلك الأسباب هي التي جعلت الحكومة تساند الإخوان المسلمين الذين تطوعوا لنصرة فلسطين عام 1948.

أما عن سبب تحمس الملك عبد الله للتدخل العسكري في فلسطين فيرجع ذلك إلى أسباب عديدة أهمها حرصه على ضم الجزء العربي في مشروع التقسيم، باعتبار أن الحرب هي التي تضفي الشرعية على هذا الضم، الذي يمكن أن يعوض الهاشميين عن فقد نفوذهم مكة والمدينة في الحجاز أمام تفوق خصومهم آل سعود[5].

لعل مما يوضح أن الدول العربية التي اشتركت في الحرب كانت خاضعة فعليا لإرادة الانجليز أن بعض الدول العربية استأذنت بريطانيا في دخول قواتها حرب فلسطين. فيذكر غلوب باشا في مذكراته أن توفيق باشا أبو الهدى رئيس مجلس الوزراء الأردني سافر إلى لندن قبل نهاية الانتداب البريطاني، واستأذن أرنست بيفن وزير الخارجة البريطانية في أن يعبر الفيلق العربي إلى المناطق التي خصصت للعرب في مشروع التقسيم بهدف مساعدة الفلسطينيين، فوافق الوزير بيفن على ذلك بشرط ألا يدخل الفيلق العربي أية منطقة خصصت للدولة اليهودية في التقسيم. ولم يكن من المتوقع حصول أي صدام بين الفيلق العربي واليهود[6].

2. طبيعة القيادة المشتركة للجيوش العربية:

كان من الطبيعي وقد اقترب موعد جلاء بريطانيا من فلسطين في 15 ماي 1948 أن تتفق الدول العربية على تعيين قيادة مشتركة للجيوش العربية في فلسطين، تتولى التنسيق وإعداد الخطط المشتركة لتحرك الجيوش العربية. لكن الذي حدث أن الدول العربية لم تتفق على قرار في هذا الشأن حتى 30 افريل 1948 بسبب وجود خلاف بينها حول من يتولى قيادة القوات المشتركة للجيوش العربية.

فقد كان الملك عبد الله مصرا على تولي القيادة المشتركة. وعندما أعلمه عبد الرحمن عزام الأمين العام للجامعة العربية إلى أنه مطمئن إلى مشاركة مصر في القتال، بل ومن الممكن أن توحد قيادتها معه[7]، أرسل الملك عبد الله رسالة إلى الملك فاروق يطلب فيها إسناد القيادة العامة للجيوش العربية التي ستدخل فلسطين إلى أحد الضباط المصريين[8].

في 11 ماي 1948 اختارت اللجنة السياسة للجامعة العربية اللواء العراقي نور الدين محمود لتولي القيادة العامة للجيوش العربية لتحرير فلسطين، حيث وافقت على القرار كل من سوريا ولبنان والعراق والسعودية، أما مندوبا اليمن والأردن فقد وافقا في 13 ماي، أما المندوب المصري فكان ما يزال ينتظر موقف حكومته[9].

3. المعلومات الاسختبارية لدى الدول العربية:

كانت المعلومات الاسختبارية المتوفرة لدى الدول العربية عن اليهود وأسلحتهم متضاربة. فبينما تؤكد رسالة من المفوضية المصرية بعمان(الأردن) مؤرخة في 28 افريل 1948 حقيقة الاستعداد العسكري لليهود[10]، يؤكد الأمين العام للجامعة العربية في رسالته المؤرخة في 30 افريل 1948 أن المعلومات التي حصل عليها عن قوات اليهود أقل مما كان يعتقد[11].

يؤكد المؤرخ أحمد عبد الرحيم مصطفى في دراسة تاريخية موثقة أن الجيوش العربية دخلت فلسطين في 15 ماي 1948، وهي تجهل حالة اليهود ومدى قوتهم وتسلحهم ومناعة تحصيناتهم، في الوقت الذي كان فيه اليهود يعرفون كل شيء تقريبا عن هذه الجيوش[12].

تبين في ما بعد أن المعلومات الاسختبارية لدى الدول العربية عن بعضها البعض لم تكن كافية، فقد ورد في بعض الرسائل معلومات متضاربة عن قوات الدول العربية وأسلحتها[13].

مما يدل على عدم توفر المعلومات الكافية لدى الجامعة العربية عن القوات العربية أو اليهودية أن امينها العام عبد الرحمن عزام كان في زيارة للأردن قبل بدء الحرب بيومين وسأل غلوب باشا عن عدد قوات الفيلق العربي فأخبره أنها حوالي 4500 فعلق قائلا: (**كنت اعتقد بأن لديكم أكثر من هذا العدد بكثير**). وعندما علم من غلوب أن عدد القوات اليهودية ستين آلفا قال: (**لم أكن اعرف بأن اليهود لديهم مثل هذا العدد الكبير**)[14].

4. حالة الجيوش العربية المشاركة في حرب تحرير فلسطين عام 1948:

أولا: الجيش المصري:

لخص الرئيس جمال عبد الناصر الموقف في مذكراته التي نشرها عام 1955 عن تلك الحرب، وهو الذي كان رئيسا لأركان حرب الكتيبة السادسة من الجيش المصري، التي كانت على الحدود عشية الحرب، فكتب: (**ونتيجة لقلة القوات المحتشدة على الحدود، وبسبب عدم الاستعدادات والنقص في الأسلحة والذخائر، وعدم وجود خطط واضحة للعمليات الحربية المزمع القيام بها، كنا نشعر بالعجز، وتأكد لنا بأن هذه ليست سوى حرب سياسية**)[15].

رغم أن الجيش المصري كان مدربا تدريبا جيدا وحسن التنظيم، ودرجته المعنوية مرتفعة، لكن المشكلة كانت في قلة الإمدادات والتموين[16]. كانت كميات الذخيرة المتوفرة لدى الجيش المصري قبل الحرب قليلة، وتكفي للاستمرار في القتال مدة أسبوعين بالنسبة للمدفعية، وأربعة أسابيع بالنسبة للأسلحة الخفيفة كالبنادق والرشاشات. أما حالة العربات في الجيش فقد كانت سيئة جدا حيث أن 60 % منها لم يكن صالحا للاستعمال. كما أن الصالح منها لا يصلح للقتال في الصحراء. أما فيما يخص الشؤون الإدارية والطبية فقد كان النقص ملحوظا، حيث لم يكن لدى القوات الأدوات الجراحية أو معدات المستشفيات الميدانية[17]. أما عن القوات البحرية فكانت تتألف من كاسحتين للألغام، وقطعة بحرية مجهزة بزوارق إنزال[18].

ثانيا: الجيش العراقي:

أرسلت الحكومة العراقية في 29 أفريل 1948 إلى داخل الأراضي الأردنية قوة قوامها ثلاثة آلاف جندي للمشاركة في حرب تحرير فلسطين، وقد ابتعدت هذه القوة عن بغداد مسافة طويلة، ودون تهيئة قوات احتياطية قريبة منها. يفسر محمود شيت خطاب قائد معركة جنين أسباب إرسال قوات عسكرية صغيرة من العراق في بداية الحرب بأن عبد الإله الوصي على عرش العراق أرسل هذه القوات، لا لتحارب اليهود في فلسطين، بل للتغطية على تعاونه مع عمه عبد الله، ولإسكات الشعب العراقي الذي كان يطالب بوقوف الجيش إلى جانب الفلسطينيين، ولذلك فعندما وصل الجيش إلى فلسطين عطلوه[19].

دخل العراق الحرب دون استعداد كاف، فقد أرسل جيش لم يكن لديه ذخيرة كافية للحرب، ولم يكن لديه خرائط عن طبوغرافية فلسطين، وتم تزويده بالخرائط بعد وصوله إلى الأردن في طريقه إلى فلسطين. وعسكر الجيش العراقي في نابلس وطولكرم وجنين، وهي أرض فلسطينية لا يوجد فيها اليهود[20]. وكان الطيران العراقي يتكون من سرب قاصف يتكون من طائرات قديمة تحتاج إلى كثير من الإصلاحات[21].

يذكر المؤرخ فاضل الجمالي وهو الوزير المفوض بوزارة الخارجية العراقية عام 1948: (**أنه كلف بمهمة بشأن الحرب يسافر من أجلها إلى القاهرة ثم عمان فزار مقر القيادة العراقية في الزرقاء الأردنية، حيث علم أن العتاد لدى الجيش العراقي قليل للغاية**)[22].

ثالثا: الجيش الأردني:

أما الجيش الأردني فإنه رغم حسن تدريبه وتسليحه لم يكن كفئا لمواجهة العصابات اليهودية بمفرده، خاصة وأنه كان يفتقر إلى سلاح الطيران. كما أنه في حالة تخلي الضباط الانجليز عن مناصبهم في الجيش الأردني، فإن مستوى الكفاءة الفنية للضباط العرب لن يكون عاليا[23].

ولقد تخلى الضباط الانجليز في الفيلق العربي عن مسؤولياتهم قبل بدء الحرب، حيث يذكر غلوب في مذكراته: (**أنه تلقى في 30 ماي 1948 أمرا باستدعاء كل الضباط البريطانيين النظاميين العاملين في الفيلق العربي**)[24].

رابعا: الجيش السوري:

كان تكوين الجيش السوري حديث عهد[25]، ولم يكن لديه يومئذ سوى خمسة عشر ألف رجل، قليل منهم مدربون على القتال، ومعظمهم ممن لديه خبرة في أعمال الأمن والدرك فقط[26]. وكانت القوة الجوية للجيش السوري تقدر بعشر طائرات ينقصها التسليح، كما أن طياريها كانوا حديثي عهد بالطيران[27].

يذكر اللواء الركن عبد الله عطفة الذي كان رئيسا لأركان الجيش السوري عند بدء القتال أنه لم يكن لدى الجيش عندما تلقى الأمر باجتياز الحدود ما يكفي من العتاد والذخيرة لأكثر من أسبوع، وهذا ما دعاه إلى أن يقترح على القيادة السياسية السورية ألا يزجوا بالجيش في القتال كجيش نظامي، بل يأمروا بدخول أفراده المعركة كمتطوعين على أن تزودهم الحكومة بالأسلحة والمعدات، لكن اقتراحه لم يجد قبولا لدى المسؤولين[28].

خامسا: الجيش اللبناني:

لم يكن لدى لبنان جيش بالمعنى العسكري[29]. لذلك لم يكن بإمكانه أن يفعل شيئا، إذ أن الجيش اللبناني لم يكن قادرا على حفظ الأمن داخل البلاد، فهل يستطيع العمل خارجها[30].

سادسا: الجيش السعودي واليمني:

كان الجيش السعودي واليمني، من الضعف وضآلة العدد وقلة العتاد في فترة ما قبل الحرب، مما جعل حالة الجيشين أسوا من الجيوش العربية الأخرى[31]. ولم يكن الملك عبد العزيز آل سعود شديد الرغبة في دخول الحرب نظرا لارتباط بلاده منذ عام 1933 بمعاهدة امتيازات بترولية وعسكرية مع الولايات المتحدة الأمريكية[32].

5. حرب 1948 وحقيقة العجز العسكري العربي في تحرير فلسطين:

الواقع أن مذبحة دير ياسين عام 1948، قد وقعت في غمار معارك دامية بين قوات المجاهدين المقدسيين والعصابات الصهيونية في القدس وما حولها، كان النصر فيها في معظم الأحوال للمجاهدين بقيادة عبد القادر الحسيني[33]، وبدأت بريطانيا تنسحب من فلسطين[34]. وقررت الأمين العام للجامعة العربية إعلان الحرب، وأرسلت مذكرة إلى الأمين العام للأمم المتحدة يشرح فيها أسباب التدخل العسكري لحماية الأرواح والممتلكات وتوقيف المذابح التي تقترفها العصابات الصهيونية. ودخلت الجيوش العربية إلى فلسطين في 15 ماي 1948 ووقعت معارك عنيفة أنزلت باليهود خسائر جسيمة. لكن الجبهة الأردنية كانت نقطة الضعف في الجبهة

العربية، فهي الجبهة التي تتحكم في قلب فلسطين والجيش الأردني مدرب تدريبا عاليا وضباطه وجنوده في غاية ما يكون من الشجاعة، لولا ابتلاء الأمة العربية بقائده الانجليزي غلوب باشا• وهيئة أركانه من الضباط الانجليز. وحين كان قصف المستوطنات اليهودية بالمدافع العربية في جميع أنحاء فلسطين، وعندما أصبح الجيش المصري في الخليل على مقربة من القدس، والجيش السوري يتقدم في الجليل شمال فلسطين المحتلة بدأ الجيش الأردني والجيش العراقي يتباطئان[35].

اجتمعت الجامعة العربية على عجل في القاهرة، ودار البحث في قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار، وكان أظلم يوم مر على الأمة العربية في تاريخها عندما صدر هذا القرار وقبول العرب فكانت الهدنة الأولى[36]. وهكذا لم تكن حرب فلسطين عام 1948 للتحرير ولكنها كانت لملء الفراغ بعد الجلاء البريطاني[37].

6. هدنة عام 1948 ووهم النضال العربي من أجل تسوية القضية الفلسطينية:

تحولت الاستعدادات العسكرية العربية من تحرير فلسطين عام 1948 إلى النضال السياسي من أجل تسوية القضية الفلسطينية عن طريق الأمم المتحدة، وهكذا عين الكونت برنادوت[38] (Comte Bernadotte) ليكون ممثلا شخصيا للأمين العام ووسيطا دوليا، يدرس القضية الفلسطينية في ظروف الهدنة ويقدم توصياته بشأنها[39]. وكان اليهود من طرفهم قد أعلنوا في منتصف شهر ماي قيام إسرائيل، فبادر الرئيس الأمريكي هاري ترومان الى الاعتراف بها بعد احدى عشر دقيقة، ثم توالت الاعترافات من الاتحاد السوفيتي وعدد من الدول [40].

وقام الوسيط الدولي باتصالات سريعة مع الدول العربية، ثم مع الكيان الصهيوني.
وأعرب خلالها عن رغبته في أن يوفد الطرفان وفدا ليشرح وجهة نظر بلاده في القضية، وأن يكون اللقاء في جزيرة رودس اليونانية[41]. وانعقدت دورة الأمم المتحدة في باريس في خريف عام 1948 في ظرف تميز بإقدام العصابات الصهيونية على اغتيال الوسيط الأممي ومساعده الفرنسي سيرو (Serot) في 17 سبتمبر 1948 في شوارع القدس، وكان الدافع إلى اقتراف الصهاينة هذه الجريمة السياسية في حق وسيط الأمم المتحدة، أن الموساد الصهيوني قد علم أن تقرير برنادوت ليس في صالح الصهاينة في بعض جوانبه. وكانت حملة من الضغوط الغربية تطلب من الوفود

العربية أن تمتنع عن التصويت أو تنسحب من القاعة عند عرض مشروع الوسيط الدولي حتى يفوز بأغلبية الثلثين[42].

وبدأت التقارير تصل إلى الأمم المتحدة عن زحف العصابات الصهيونية صوب الجنوب لأنها تريد أن تضع الأمم المتحدة تحت الأمر الواقع، ولم يكف إسرائيل أن اغتالت الوسيط برنادوت، بل أرادت أن تغتال تقريره فأخذت تشن على الجبهة المصرية الغارات الجوية، ومجلس الأمن يصدر القرار بوقف القتال والدعوة بالرجوع إلى ما كانت عليه الحال قبل أكتوبر 1948، وتوالت قرارات مجلس الأمن في 4 و5 نوفمبر، و29 نوفمبر 1948 وكلها كانت تدعو إسرائيل إلى الإذعان لقرار وقف إطلاق النار، فلم تذعن ولم تتوقف عن العدوان، إلا بعد أن اجتاحت منطقة النقب، وأصبح تقرير برنادوت كلاما. وفرغت الأمم المتحدة من المناقشة العامة بصدد تقرير وسيطها، وتولى جون فوستر دالاس[43] (John Foster Dulles) مع حلفائه البريطانيين والفرنسيين لوضع صياغة مشروع القرار، وكان الاتحاد السوفيتي يراقب التحركات الغربية دون أن يشترك فيها[44]، لأن الكتلة الغربية كانت تحول دون مشاركته، ولأنه بالذات كان حريصا أن تقع بريطانيا والولايات المتحدة في وحل هذه القضية. واتجهت النوايا إلى تغيير الوسيط الدولي بتعيين لجنة توفيق دولية.

وهكذا تألفت لجنة التوفيق الدولية من الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا[45]. وصلت اللجنة إلى فلسطين المحتلة في نهاية شهر ديسمبر 1948. وكانت الاجتماعات في بادئ الأمر، عرضا عاما للقضية الفلسطينية ركز فيها الوفد العربي على وجوب حل قضية اللاجئين أولا[46]، وفي 11 ماي 1949، قبلت إسرائيل عضوا في الأمم المتحدة، يوما واحدا قبل أن يوقع الطرف العربي على بروتوكول لوزان في 12 ماي 1949 ونص على ما يلي:

أولا: تسويات النزاعات العالقة بين الوفدين.

ثانيا: وضع نظام دولي لمنطقة القدس وحماية الأماكن المقدسة.

ثالثا: عودة اللاجئين وتعويضهم[47].

وأخيرا خابت آمال الدول العربية في الأمم المتحدة حين قامت فرنسا بدعم إسرائيل في مجلس الأمن عن طريق مساهمتها مع بريطانيا والولايات المتحدة في 25 ماي 1950 بصياغة البيان الثلاثي[48]، جاء فيه: (**لن تتأخر الحكومات الثلاث عن اتخاذ الإجراءات سواء في نطاق الأمم المتحدة أو خارجها طبقا لالتزاماتها لتمنع هذا الاعتداء**)[49].

استنتاجات:

بعد دراسة الاستعدادات العسكرية العربية لحرب 1948 بين الحقيقة والوهم، يمكن استنتاج ما يلي:

- أنه لم يكن هناك أي استعداد عسكري جاد لخوض حرب عربية فعلية ضد العصابات الصهيونية، وأن الدول العربية لم تتحمل مسؤولياتها التي أعلنت عنها بعد توصية الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين والتي تمثلت في خوض المعركة حتى تحرير فلسطين.
- إن المعلومات الاستخبارية لدى العرب عن العصابات الصهيونية كانت محدودة وغير دقيقة، بل إن المعلومات لدى العرب عن قدراتهم العسكرية كانت أمرا مبالغا فيه. كما أن معلوماتهم عن بعضهم البعض كانت غير دقيقة.
- إن هدف الجيوش العربية لم يكن واحدا من دخولها الحرب، كما أن بعض القيادات العربية لم تكن صادقة في الهدف الذي من أجله خاضت الحرب، ولم تكن ترمي جميعها إلى تحرير فلسطين، فبعضها كان ينوي الوقوف عند الحدود التي حددتها الأمم المتحدة في مشروع التقسيم. بل إن الملك عبد الله كان ينوي منذ أواخر عام 1947 إقامة كونفدرالية بين الأردن وفلسطين. كما أن القيادة السياسية في العراق كانت تنسق خطتها مع القوات الأردنية، حيث لم تقم القوات العراقية إلا بالتحرك في حدود مشروع التقسيم.
- لا شك أن حماس الشعوب العربية والفاعلين السياسيين كان عامل ضغط في دفع بعض قادة الدول العربية إلى المشاركة في الحرب إرضاء لمشاعر الشعوب وتجنبا لانتفاضة محتملة على الأنظمة القائمة. فلقد ذكر عبد الرحمن عزام للسفير البريطاني في القاهرة في أواخر افريل 1948 أن

الاستعدادات العسكرية التي تقوم بها الدول العربية كانت تستهدف إنقاذ الملوك والرؤساء العرب من شعوبهم.

- إن العلاقات بين الدول العربية المشاركة في الحرب لعبت دورها في تحرك القوات المشتركة في الحرب، فالأردن والعراق حريصان على عدم تجاوز المنطقة العربية المخصصة للعرب في مشروع التقسيم، ومصر تخشى أن يترك الملك عبد الله وحده يشارك في حرب فلسطين، وسوريا ولبنان لم تكن تطمئن إلى تولي الملك عبد الله القيادة العربية المشتركة في حرب تحرير فلسطين. وهكذا أثرت السياسة العربية القائمة وقتذاك في تحرك الجيوش العربية، وفي عدم تهيئة المناخ المناسب لانتصار عربي على العصابات الصهيونية.
- إن الدول الكبرى خاصة بريطانيا كانت تمارس نفوذا كبيرا على العديد من دول المشرق العربي، فحكومة الأردن مثلا كانت قد حرصت على استئذان بريطانيا قبل دخول قواتها أرض فلسطين.
- ولعل هذه الاستنتاجات لحقيقة الاستعدادات العربية قبيل المشاركة في حرب 1948 يؤكد أن هذه الأوضاع كانت مقدمة طبيعية لتلك الهزيمة التي حلت بالأمة العربية عام 1948 والتي أطلقت عليها الأنظمة العربية القائمة وقتذاك نكبة فلسطين.
- وهكذا أصبحت المنطقة العربية منذ قيام الكيان الصهيوني عام 1948 بوابة مفتوحة لتنافس القوى الغربية التي أصدرت البيان الثلاثي عام 1950 للدفاع عن إسرائيل والمحافظة على أمنها عند خطوط الهدنة مع دول الطوق العربية.

الهوامش:

1- فلاح خالد علي، الحرب العربية الاسرائيلية 1948-1949 وتأسيس إسرائيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1982، ص. ص 57-60.

2- جامعة الدول العربية، الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين: المجموعة الثانية 1947-1950، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة 1974، ص 129-130.

3- محمد حسين هيكل، مذكرات في السياسة المصرية، الجزء الثالث، دار المعارف، القاهرة 1977، ص41.

4- مصطفى أحمد عبد الرحيم، بريطانيا وفلسطين 1945-1949، دراسة وثائقية، ط1، دار الشروق، القاهرة 1986، ص 141.

5- مصطفى أحمد عبد الرحيم، المرجع السابق، ص 142.

6- غلوب باشا، مذكرات، تر/سليم طه التكريتي، منشورات الفجر، بغداد 1988، ص 208.

7- جامعة الدول العربية، المصدر السابق.

8- نفسه.

9- نفسه.

10- نفسه.

11- نفسه.

12- مصطفى أحمد عبد الرحيم، مرجع سابق، ص 144.

13- جامعة الدول العربية، المصدر السابق.

14- غلوب باشا، مذكرات، مرجع سابق، ص 210.

15- فلاح خالد علي، مرجع سابق، ص 111.

16- عادل ثابت، فاروق الأول الملك الذي غدر به الجميع، تر/ محمد مصطفى غنيم، ط2، القاهرة 1989، ص 177.

17- فلاح خالد علي، مرجع سابق، ص 109.

18- إبراهيم سالم شكيب، الجيش المصري وحرب فلسطين عام 1948، الكلية الحربية، القاهرة 1987، ص 9.

19- فلاح خالد علي، مرجع سابق، ص 105.

20- أحمد فراج طايع، صفحات مطوية عن فلسطين، القاهرة، د.ت، ص 128.

21- إبراهيم سالم شكيب، مرجع سابق، ص 9.

22- فاضل الجمالي، ذكريات وعبر، كارثة فلسطين وأثرها في الواقع العربي، ط3، دار الكتاب الجديد، بيروت 1968، ص 48.

23- جامعة الدول العربية، المصدر السابق.

24- غلوب باشا، مذكرات، مرجع سابق، ص 220.

25- أحمد فراج طايع، مرجع سابق، ص 130.

26- عارف العارف، مرجع سابق، ص 339.

27- إبراهيم سالم شكيب، مرجع سابق، ص 9.

28- عارف العارف، مرجع سابق، ص 353.

29- أحمد فراج طايع، مرجع سابق، ص 130.

30- محمد فيصل عبد المنعم، أسرار 1948، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة 1978، ص 59.

33- فلاح خالد علي، مرجع سابق، ص 94.

32- عارف العارف، مرجع سابق، ص 340.

33- عبد القادر الحسيني(1910-1948)، مناضل فلسطيني، ولد في القدس، نشأ في بيئة وطنية متمرسة بالنضال ضد الانجليز والصهاينة، استشهد في قرية القسطل القريبة من القدس الشريف بعد معركة العصابات الصهيونية لمدة ثمانية أيام، ينظر: نقولا الدر، هكذا ضاعت وهكذا تعود، دور النفط والمدفع في تحرير فلسطين، بيروت 1963، ص 96.

34- ناجي علوش، المقاومة العربية في فلسطينن دار الطليعة، بيروت 1969، ص 185.

• غلوب باشا(1897-1986) Sir John Glubb ، هو ضابط بريطاني تولى قيادة الأركان العامة للجيش الأردني من عام 1939حتى عام 1956، وكان له الدور الخطير في هزيمة الجيوش العربية في حرب تحرير فلسطين عام 1948، والتوقيع على الهدنة مع الكيان الصهيوني.

35- أنيس صايغ، الهاشميون وقضية فلسطين، منشورات جريدة المحرر والمكتبة العصرية، ط2، بيروت 1975، ص 244.

36- جورج طعمة، قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي الاسرائيلي 1947-1974، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت 1975، ص 36.

37- لم يستطع الملوك والرؤساء العرب أن يهربوا من الشعب، ولا من التاريخ فقد اغتيل الملك عبد الله على عتبات المسجد الأقصى عام 1951، وانتحر رئيس وزرائه توفيق أبو الهدى في غرفته، وخر الأمير عبد الإله صريعا إلى جانب الملك فيصل الثاني عام 1958، وهوى رئيس حكومته نوري السعيد في شوارع بغداد، وأطيح بالملك فاروق عام 1952، وذهب الانقلاب بالرئيس السوري عام 1949، وبالرئيس اللبناني عام 1958. ينظر: محمد فيصل عبد المنعم، مرجع سابق، ص 200.

38- الكونت برنادوت(1895-1948) Comte Bernadotte ، دبلوماسي سويدي، رئيس الصليب الاحمر في بلاده، حمل لقب الكونت من العائلة المالكية السويدية فهو حفيد الملك أوسكار الثاني، عينه الأمين العام الامم المتحدة النرويجي تريف لي وسيطا دوليا في المشرق العربي، لكن العصابات الصهيونية اغتالته عند مدخل فندق داود بالقدس في 17 سبتمبر 1948. ينظر: عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة العربية، مرجع السابق، ص 158.

39- مهدي عبد الهادي، المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السلمية 1934-1974، ط1، منشورات المكتبة العصرية، بيروت 1975، ص 217.

40- نفس المرجع، ص 220.

41- محمد عزة دروزة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، ج1، ط1،منشورات المكتبة العصرية، بيروت 1951، ص 398.

42- الموسوعة الفلسطينية، المجلد الأول، ط1، مركز الدراسات الفلسطينية، دمشق 1984، ص 379.

43- جون فوستر دالاس(1888-1959) John Foster Dulles وزير الخراجية الامريكي في حكومة الرئيس الجمهوري أيزناهور من عام 1953- حتى 1959، برزت شخصيته السياسية في السنوات الأولى من الحرب الباردة، فاتخذ موقفا عدائيا ضد الشيوعية العالمية، ودعم فرنسا الاستعمارية في حرب الهند الصينية، وكان له الدور البارز في الاطاحة بحكومة الدكتور محمد مصدق عام 1951، بسبب قرارات تأميم الشركات البترولية الاحتكارية في إيران. ينظر: الموسوعة الفلسطينية، المجلد الأول، المرجع السابق، ص 178.

44- الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثالث، المرجع السابق، ص 548.

45- مهدي عبد الهادي، مرجع سابق، ص 135.

46- جورج طعمة، مرجع سابق، ص 45.

47- نفس المرجع، ص 66.

48- الموسوعة الفلسطينية، القسم الأول، الجزء الثالث، المرجع السابق، ص 449.

49- وزارة الإرشاد القومي، ملف وثائق فلسطينية، ج2، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة 1969، ص 1077.

اسهامات الكراغلة

في بناء الجزائر العثمانية

الدكتورة دوبالي خديجة، جامعة تيارت

ملخص:

بعد سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين بالأندلس سنة 1492 شهدت السواحل المغاربية عموما والجزائرية على وجه الخصوص حملات صليبية شرسة من طرف الاسبان؛ وأمام الضعف السياسي والعسكري لم يجد الجزائريون من حل سوى الاستنجاد بالعثمانين المتواجدين آنذاك في تونس.

نجم على التدخل العثماني العسكري في الجزائر الحاق هذه الأخيرة بالخلافة العثمانية سنة 1520م وتعيين خير الدين بربروس حاكما عاما عليها. وقد ساهم هذا الأخير في بناء مؤسسات الايالة.

ولقد عرفت الجزائر خلال تلك الحقبة توافد عناصر تركية سواء كانت مدنية أو عسكرية، التي انصهرت في المجتمع الجزائري عن طريق الزواج، والذي نجم عنه فئة جديدة أطلق عليها الكراغلة؛ هؤلاء ساهموا في بناء الايالة، فشاركوا في الحياة العسكرية، والاقتصادية خاصة في مجال الحرف والتجارة، كما تقلدوا مناصب مهمة في المؤسسات المالية للايالة.

وبهذا اكتسى موضوع الكراغلة أهمية كبيرة لدى المؤرخين ذلك أنه سمح لهم بفهم طبيعة العلاقة بين الطرفين _الكرغلي والعثماني_، وكيف تفاعلت وأثرت على بعضها البعض وفقا لقانون المدافعة، كما ساهم أيضا في معرفة مختلف التغيرات التي طرأت على الساحة السياسية والاقتصادية في الجزائر خلال العهد العثماني.

الكلمات المفتاحية: الاحتلال الاسباني_ الجزائر_ الجزائريون_ الاخوة بربروس_ القوة العثمانية_الكراغلة_ الاحصاء_ الجيش الانكشاري_ المساهمة في بناء الايالة الجزائرية.

بعد سقوط غرناطة "GRENADA"[1] آخر معقل للمسلمين بالأندلس[2] سنة 1492م[3] شهدت السواحل المغاربية توافد مسلمي اسبانيا[4] الذين أطلقت عليهم معظم الدراسات التاريخية مصطلح الموريسكيين[5] هؤلاء فروا بدينهم وأرواحهم وأعراضهم من بشط وتنكيل محاكم التحقيق[6]، التي مارست عليهم أبشع أنواع التعذيب والتنكيل[7]؛ ليبدأ بذلك عهد جديد من المواجهات بين القوى الإسلامية والنصرانية.

فقد وجهت اسبانيا النصرانية بقيادة الملكين ايزابيلا "Isabella"[8] وفرناندو "Fernando"[9] الكاثوليكيين[10] نيران مدافعها نحو بلدان المغرب عموما، والجزائر على وجه الخصوص، حيث كانت هذه الأخيرة محل أطماع اسبانيا التي اتخذت من استقبال هؤلاء الوافدين[11] حجة لمهاجمة السواحل الجزائرية[12] بداية من سنة 1505م[13] تاريخ احتلال المرسى الكبير[14]، مرورا باحتلال وهران سنة 1509م[15]، فبجاية عام 1510م[16]، ثم تتالي سقوط المدن الواحدة تلوى الأخرى سواء طواعية أو كرها إلى غاية سنة الطرد النهائي للاسبان من وهران والمرسى الكبير سنة 1792م[17].

وعقب هذه الأحداث، ونظرا لأن الجزائر كانت في تلك المرحلة الحرجة من تاريخها تفتقر لوحدة سياسية واجتماعية، وقوة عسكرية، اضطرت للبحث عن منقذ لها يدفع عنها هذا الخطر الصليبي؛ فلم تجد أمامها سوى الخلافة العثمانية[18] التي كانت تمثل آنذاك قوة عسكرية وسياسية، خاصة وأنها حملت على عاتقها مهمة الدفاع على الآراضي الإسلامية من التحرشات الصليبية[19].

على هذا الأساس استنجد الجزائريون بالاخوة بربروس[20] عروج[21] وخير الدين[22] المتواجدين في جزيرة جربة[23] سنة 1504م[24]، هؤلاء مثلوا الخلافة العثمانية على مستوى حوض البحر الأبيض المتوسط[25]؛ فبعد أن وصلت أخبار جهادهم البحري وانتصاراتهم إلى مسامع أعيان مدينة الجزائر[26]، لم يترددوا في طلب العون منهم[27]، لكن سرعان ما تحول هذا الدعم العسكري إلى الحاق الجزائر بالخلافة العثمانية سنة 1520م[28] وتعيين خير الدين باي لارباي[29] عليها ليدير شؤونها نيابة على الخلافة العثمانية[30].

وابتداء من سنة 1520م أصبحت الجزائر ايالة عثمانية، ولقد نتج عن هذه التبعية العديد من التغيرات مست كل الجوانب السياسية والعسكرية، الاقتصادية والاجتماعية؛ ومن بين المستجدات الذي عرفه الجانب الاجتماعي بروز فئة جديدة كانت نتاج مصاهرة الأتراك للأسر الجزائرية أطلقت عليها الدراسات التاريخية مصطلح الكراغلة، هؤلاء لعبوا دورا بارزا في النهوض بالبلاد؛ على أنه يجب الأخذ بعين الاعتبار أنهم أيضا مثلوا خطرا حقيقيا للسلطة في محطات عديدة من تاريخ الجزائر العثماني. من هذا المنطلق سوف نحاول الاجابة على بعض التساؤلات لعل من أهمها: ماذا يعني مصطلح الكراغلة؟ وما هي البدايات الأولى لظهورهم وفيما تمثلت مواطن استقرارها؟ وكيف ساهمت هذه الفئة في بناء الجزائر العثمانية؟ وهل استاطت أن تفرض وجودها بالرغم من ازدواجيتها؟

1)_**التعريف بالمصطلح**:" كراغلة" مفردها "كرغلي"، وهي عبارة تركية متكونة من شقين "قول" و "أوغلي" وتعني "إبن العبد"[31]، ولقد اجتمعت معظم الدراسات التاريخية التي اهتمت بدراسة تاريخ الجزائر الحديث إذا لم نقل جلها على تعريف موحد للمصطلح الذي يفيد في مفهومه العام «الأبناء الناتجين عن زواج الأتراك من نساء الأهالي»[32]

ومع اجماعهم في تعريف موحد للمصطلح إلا أنهم اختلفوا في تحديد الانتماء، فهناك فريق من الباحثين أكد على أنهم «أبناء الأتراك من أمهات جزائريات»[33]، فيما يؤكد فريق آخر على أن هذه الفئة نتجت عن مصاهرة الجند الانكشارية[34] لبعض العائلات الجزائرية[35].

فالاختلاف بين الفريقين يكمن في التعميم والتخصيص، فالفريق الأول أكد على أن ظهور هذه الفئة كان نتاجا عن زواج الأتراك المدنيين والعسكريين على حد سواء من نساء جزائريات، فيما خص الفريق الثاني العناصر العسكرية فقط بهذه المصاهرة. ولعل هذا الفريق استند في توجهه هذا على أن الجند الانكشاري منعوا من الزواج قبل مجيئهم إلى الجزائر ولكن بمجرد استقرارهم بهذه الأخيرة ولطول فترة تواجدهم كان لزاما عليهم الزواج بالجزائريات عكس العنصر المدني الذي سمحت له السلطات العثمانية باصطحاب عائلته معه إلى الولايات العثمانية عموما والجزائر على وجه الخصوص.

2) _**البدايات الأولى لظهور الكراغلة**: يصعب على أي باحث مختص في تاريخ الجزائر الحديث تحديد سنة ظهور العنصر الكرغلي في الجزائر، ولعل السبب في ذلك يكمن في تلك الظروف التي كانت تمر بها البلاد، فكل متتبع للأحداث يعلم أن الجزائر كانت تعاني في تلك الحقبة من تاريخها من احتلال الاسبان لكثير من مدنها، وغياب كلي للسيادة الزيانية بعد ضعفها وانحطاطها، وتفكك النسيج الاجتماعي، كل هذه المعطيات ساهمت في غياب النشاط العلمي الذي بدوره كان ساهم في ركود حركة التأليف التي كانت ستزيل الغموض على الكثير من القضايا من بينها التاريخ الحقيقي لأولى المصاهرات الأولى التي تمت بين الأتراك وبعض الأسر الجزائرية.

ولعل من بين الباحثين الذين خاضوا في هذا الموضوع "عائشة غطاس" التي ذكرت أن البدايات الأولى لظهور الكرغلة كفئة مستقلة ومتميزة كان متأخرا إذ تعود إلى سنة 1596م[36].

من خلال هذا الطرح التاريخي للباحثة عائشة غطاس نستنتج بأن تاريخ ظهور هذه الفئة يعود إلى عهد الباشوات (1588_1659م، وهذا أمر مستبعد نظرا لعدة معطيات فرضت نفسها على أرض الواقع، ولكننا عند وقوفنا على عبارة "**مستقلة ومتميزة**" تأكد لنا على أن التاريخ الذي اقترحته ليس هو البداية الفعلية وإنما سبقتها سنوات سابقة ولكن ظهور هذه الفئة كفاعل اجتماعي مهم لم يظهر بعد.

والمتتبع للأحداث التاريخية يمكنه اعتبار بدايات ظهور الكراغلة في الجزائر مرتبط ببدايات التواجد العثماني في البلاد؛ فالمصاهرة الأولى التي أنجبت أول كرغلي في الجزائر كانت بين خير الدين واحدى العائلات الجزائرية، فقد أكد خير الدين هذا الأمر إذ ذكر في مذكراته أنه تزوج من امرأة عربية من بنات أحد أعيان الجزائر[37].

وبعد البحث والتقصي توصلنا إلى فرضية يمكننا من خلالها التأسيس لتاريخ محدد لظهور هذه الفئة، فكلنا يعلم بأن بدايات الوجود العثماني في الجزائر كان في بجاية سنة 1512م[38]، ثم كان في جيجل سنة 1514م[39]، فبعدها مدينة الجزائر سنة 1516م[40].

ومن بين الذين قدموا الدعم المعنوي والمادي لعروج ثم من بعده خير الدين أحمد ابن القاضي[41]، زعيم امارة[42] كوكو[43] الذي كان خير معين ومؤيد لهم. فهو من ساند العثماني

عسكريا عندما حاول الاخوة بربروس تحرير مدينة بجاية سنة 1514م[44]، وهو من أجبر سالم التومي[45] زعيم امارة الثعالبة[46] على الاستنجاد بالاخوة لتحريرهم من قيود الاسبان[47] المتواجدين في قلعة البنيون[48] مند سنة 1511م، وهو أيضا من أوكلت له مهمة رئاسة السفارة التي حملت الرسالة إلى السلطان العثماني سليمان قصد الحاق الجزائر بالخلافة العثمانية وتعيين خير الدين حاكما عليها بالنيابة عنه. فكل هذه المعطيات تؤكد على أن المقصود من ابنة أحد الأسر الجزائرية العريقة هي ابنة ابن القاضي.

فنظرا لمكانة ابن القاضي الاجتماعية والسياسية رأى خير الدين أن الارتباط به بالمصاهرة سوف يمكنه من تثبيت وجوده في الجزائر وتكوين عصبية تسانده وتقف إلى جانبه خاصة وأن طبيعة المجتمع الجزائري القبلية اقتضت ذلك.

وقد أكدت بعض الدراسات التاريخية أن حسن أغا هو أول كرغلي نتج عن زواج خير الدين بابنة ابن القاضي، مع العلم أن هناك بعض الدراسات أشارت إلى أن حسن أغا كان ابن خير الدين بالتبني، ولكن ما سوف نقدمه من حجج سيفند هذه الرواية لعل من أبرزها وأهمها:

_ استخلاف حسن أغا لخير الدين بعد مغادرته للجزائر سنة 1535م والتحاقه باسطنبول يؤكد لنا على أنه كرغلي، إذ كيف يمكن لخير الدين أن يعين حاكما على الجزائريين وهو مجهول النسب، فكيف سيتقبله الجزائريون خاصة وأنه ثاني باي لارباي ؟

_ كون حسن أغا يحمل الدمين في عروقه، الدم التركي والدم الجزائري سيضمن اخلاصه للطرفين هذا من جهة، كما سيضمن ولاء الجزائريين له من جهة أخرى.

_ كيف يسمح لشخص مجهول النسب بأن يحكم الجزائر ثلاث مرات.

هذه بعض الحجج التي يمكنها أن تؤكد بأن حسن أغا هو ابن خير الدين من ابنة ابن القاضي. وبهذا فمصاهرة خير الدين لابن القاضي فتحت الأبواب على مصرعيها لتتوالى المصاهرات ويزداد عدد الكراغلة، وتزداد معهم اسهاماتهم في بناء الجزائر العثمانية.

ومن بين أهم هذه المصاهرات نذكر مصاهرة الشريف محمد لعائلة بن غانة[49]، إذ تزوج الشريف محمد بن أحمد باي[50] القلي[51] من الحاجة رقية بنت بن قانة[52] وأنجبت له ولدا

اسماه أحمد الذي أصبح فيما بعد بايا على بايلك[53] الشرق[54] ما بين سنتي 1826-1837م[55].

أيضا الباي الحاج عثمان الذي عرف بعثمان بن إبراهيم الكردي، عاش في مدينة مليانة[56] وتولى بها منصب القيادة عندما كانت تابعة لدار السلطان، ثم عين بايا على بايلك التيطري[57] بالمدية[58] سنة 1736م. تزوج بالسيدة فاطمة أصغر بنات السيد جان أحمد، كما تزوج من امرأة ثانية أنجب منها ولدين هما محمد الكبير[59] ومحمد الصغير[60] اللذين كانا لهما شأن كبير[61] خاصة في إدارة بايلك الغرب[62].

3)_بعض الاحصائيات حول تعداد الكراغلة وأماكن استقرارهم: بلغ عدد الكراغلة خلال القرن السابع عشر في مدينة الجزائر وحدها حوالي ألفين كرغلي[63] ليتكاثر عددهم على مر السنين بالمدن الكبرى، حتى بلغ في نهاية القرن الثامن عشر في مدينة الجزائر وتلمسان حوالي ستة آلاف نسمة[64]. أما سيمون بيفايفر فقد قدر تعدادهم بحوالي بضعة آلاف كرغلي[65]. وللاطلاع على نسب تعداد الكراغلة ما بين أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع عشر ميلادي ينظر الملحق رقم: (1) و(2).

ولقد استقر الكراغلة في كبريات المدن الجزائرية مثل مدينة الجزائر وتلمسان ومعسكر ومستغانم وقلعة بني راشد ومازونة والمدية والقليعة وبسكرة وقسنطينة وعنابة[66] وجيجل والمسيلة ومليانة ووهران حيث كانت لهم مكانتهم الاجتماعية والسياسية[67].

4)_الكراغلة وعلاقتهم بالمؤسسة العسكرية: يطلق مصطلح الجيش الانكشاري على المشاة في الجيش العثماني، الذين استطاعوا أن يشكلوا ما يشبه الفرقة الخاصة أو التنظيم الخاص، فكانت لهم شاراتهم وترتيباتهم وكافة امتيازاتهم المختلفة التي تميزوا بها عن غيرهم، مما جعلهم أقوى فرقة من فرق الجيش العثماني.

والجزائر مثلها مثل باقي الايالات العثمانية قدمت إليها أولى دفعات الجيش الانكشاري خلال سنة 1520م، ثم أخذ عددهم يزداد سنة بعد سنة. ولقد استقطبت هذه المؤسسة العسكرية اهتمام الكراغلة، حيث كونوا مع العناصر التركية جيشا تعداده مائة ألف رجل، و هذا الجيش يعرف بالحامية، كانت تقسمه السلطة العثمانية خلال كل سنة إلى ثلاثة أقسام ليكون

الآداة الفعالة للسلطة، خاصة في إرغام القبائل الممتنعة على دفع المطالب المخزنية[68]. كما اشتغلوا في النوبة وشاركوا في محلة الدنوش[69]، وللاطلاع على أهم النوبات التي جندوا للخدمة بها ينظر الجدول المعروض في الملحق رقم:(3)

ومع بداية القرن الثامن عشر ميلادي تحسنت وضعبيتهم، فوصلوا إلى أعلى الرتب العسكرية من بينها وكيل الخرج وبلكباشي وأودباش وآغا، وللاطلاع على أهم الرتب التي تقلدها الكراغلة في مؤسسة الجيش الانكشاري ينظر الملحق رقم: (4)

4)_اسهامات الكراغلة في بناء اقتصاد الايالة: تناولت الكثير من الدراسات الأكاديمية الحياة الاقتصادية للجزائر العثمانية، محاولة تسليط الضوء على أهم مقوماتها ومعوقاتها؛ وكيف ساهمت في بناء البلاد وازدهار المجتمع بكل شرائحه، ومن بين الذين ساهموا في دفع عجلة التنمية الاقتصادية فئة الكراغلة، هؤلاء لعبوا دورا بارزا في الكثير من المجالات منها التجارة.

فإذا أخذنا على سبيل المثال مدينة الجزائر فقد كانت للكراغلة فيها دكاكينهم التي كانت متواجدة في شارع الديوان، تميزت بتنوع بضائعها ودقة صناعتها، نذكر منها المحافظ وأدوات الزينة الخاصة بالأسلحة وغيرها وهي مصنوعة في الغالب من القطيفة الخضراء والحمراء، ويغطيها طلاء ذهبي كثيف تبهر العين بفخامته، إضافة إلى الروائح والعطور المستخرجة من الورد والياسمين[70].

ومن بين المهن التي مارستها الكراغلة أيضا حرفة القاوقجية[71]، وهي صناعة الشاشية. كما تقلدوا عدة مناصب في القطاع المالي وذلك بعد صدور فرمان شاهاني[72] سنة1580م من السلطان العثماني مراد الثالث[73] ومما جاء في هذا الفرمان ما نصه: **«أنه يجب تعيين شخص من طائفة قول أوغلو ذي كفاءة في النظام المالي وتنظيم الشؤون الإدارية وحذر الباي لارباي من اختيار شخص يميل إلى إثارة القلق والشغب»**[74].

من خلال ما تم عرضه من معطيات تاريخية تبين لنا مجموعة من المعطيات لعل من أهمها:

_ أكسب الالتحاق الجزائر بالخلافة العثمانية قوة عسكرية وسياسية، مكنتها من فرض وجودها في حوض البحر الأبيض المتوسط بعدما كانت فريسة سهلة للعدو الخارجي.

_ تميز المجتمع الجزائري بنسيج اجتماعي أكسبه الكثير من الخصائص من أهمها قابلية الاندماج مع الآخر بالرغم من الاختلاف الموجود سواء في اللغة أو الثقافة وحتى في العادات والتقاليد.

_ أنتج الوجود العثماني في الجزائر فئة جديدة هي الكراغلة التي كانت نتاج مصاهرة الأتراك مع بعض العائلات الجزائريات، التي جمعت بينهم رابطة الدين الإسلامي.

_ لعبت هذه الفئة دورا بارزا في مختلف المجالات سواء العسكرية منها أو الاقتصادية.

الملاحق:

الملحق رقم:1

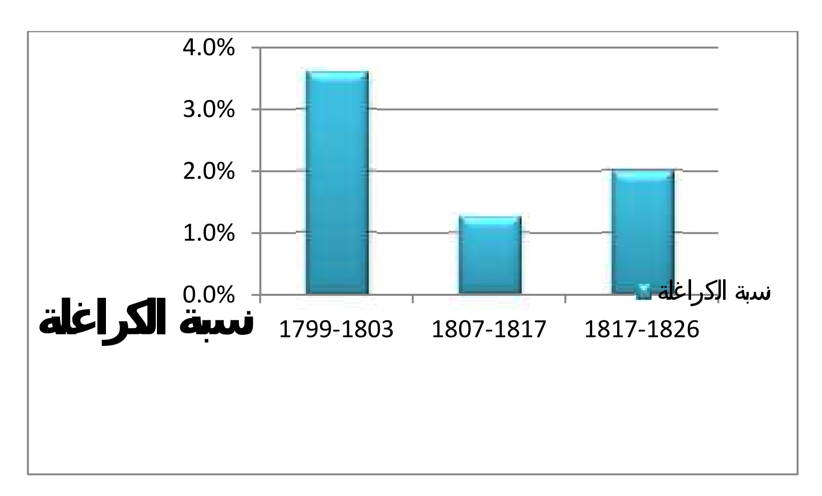
جدول يوضح نسب تعداد الكراغلة ما بين أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ميلاديين

الفترة الزمنية	العدد	النسبة
ما بين سنة 1799 وسنة 1803م	23	3.6
ما بين سنة 1807وسنة 1817م ما بين سنة1817و1826م	20 30	1.26 2

ينظر: عائشة غطاس، من أجل إعادة النظر في البنية الديمغرافية لمجتمع مدينة الجزائر (معطيات مستقاة من الوثائق المحلية)، الجزائر: مجلة انسانيات، ع:19–20، مج7، 2003م . ص:36.

الملحق رقم :2

رسم بياني يوضح نسب تعداد الكراغلة



الملحق رقم:3

جدول يوضح أهم النوبات التي جندوا الكراغلة للخدمة فيها

النوبات	نوبة قسنطينة	نوبة عنابة	نوبة بسكرة	نوبة جاية	نوبة تبسة	نوبة يجل	برج حمزة (البويرة)
عدد الكراغلة	73 جندي	71 جندي	72 جندي	44 جندي	29 جندي	29 جندي	15 جندي

ينظر: محمد صالح العنتري، المصدر السابق. ص: 37.

الملحق رقم: 4

جدول يوضح أهم الرتب التي تقلدها الكراغلة في مؤسسة الجيش الانكشاري

السنوات / الرتبة	1111-1142هـ/1699-1730م		1145-1213هـ / 1733 -1801 م	
	الكراغلة	النسبة	الكراغلة	النسبة
يلداش	11	57,8٪	14	61,86٪
وكيل الحرج	02	33,33٪	01	11,11٪
أودباشي	07	58,33٪	06	75٪
بلكباشي	35	44,80٪	30	43,47٪
أياباشي	01	25٪	02	28,57٪
آغا	14	66,66٪	05	50٪
المجموع	70	49,64٪	18	46,03٪

ينظر: عمريوي فهيمة، المرجع السابق. ص: 53.

الهوامش:

1- **غرناطة**: معناها بالإسبانية "الرمانة" وهي شعارها التاريخي، الذي ما زال مائلا على باب قصبة الحمراء، في **شكل ثلاث** رمانات صخرية كبيرة. كانت آخر القواعد الأندلسية التي سقطت في يد النصارى الإسبان. ينظر: محمد عبد الله عنان، الآثار الباقية في اسبانيا والبرتغال (دراسة تاريخية أثرية)، د ب ن: مطبعة التأليف والترجمة والنشر، ط: 2، 1311هـ/1921م. ص: 160.

2-**الأندلس**: **عبارة** عن جزيرة متصلة ببحر أقياسي اسمها في القديم ابارية، ثم سميت باطقة، وعرفت بعدها باشابانيا، ثم سميت بالأندلس. ينظر: محمد بن علي بن الشباط التوزري، وصف الأندلس (قطعة من كتاب صلة الصمط وسمة المرط)، در وتح: أحمد مختار العبادي، مدريد: المعهد المصري للدراسات الإ**سلامية، ط:1، 1971م. ص:100.**

3_ **منذ خريف سنة 894هـ/1489م** أضحت غرناطة كالمصباح المرتجف تنطفئ أضواؤه تباعا، ورب قائل أن تناحر الأندلسيين ونزعة حكامهم للاحتفاظ بملكهم، بغض النظر عن السبل، هو السبب في سقوط الأندلس وتبدد شعبها، ورب قائل أن الأندلس قامت كيانا غريبا عن محيطه فكانت جزيرة وسط بحر لم يكن ليحتمل دينا غير النصرانية أو شعبا غير الأوروبيين، ورب قائل أيضا أن انفصال الأندلس عن بقية العالم الإسلامي حمل إليها بذور الفناء، وأن تلك المملكة ما كانت لتستمر قوية بعد أن ضعف العالم الإسلامي وتنهاشته الشعوبية والمؤامرات وتكالب أعداؤه عليه من كل جانب؛ وأن الوجود الإسلامي في **إسبانيا** كان تجربة تمت وتقوت واستمرت وأنجزت، ثم هبطت وخارت قواها عندما تخلت عن الأسس التي قامت عليها كما صورتها نظرية الهرم الخلدوني. **ينظر**: مؤلف مجهول، نبذة العصر في أخبار انقضاء دولة بني نصر، تح: مؤنس حسين، القاهرة: **مطابع الزهراء للإعلام العربي**، ط:1، 1991م.

4_ساهمت مجموعة من العوامل في **جعل** دول المغرب العربي وطن بديل لمسلمي إسبانيا، من بين هذه العوامل نذكر العامل الجغرافي، فبغض النظر على قرب المسافة بين المنطقتين فالمتنقل من أرض الأندلس نحو المغرب يشعر بأنه في المكان نفسه، فالأودية والضياع المعلقة في أعالي السفوح والجو ومشهد الشوارع في المدن الصغرى، حتى أوضاع الناس، كل ذلك يتشابه تشابها عجيبا. في حين تمثل العامل التاريخي في أن بلاد المغرب وجدت نفسها مدعوة منذ أن فتح المسلمون الأندلس، تلعب دورا هاما في عملية استقرار المغاربة في هذه البلاد، إذ أن العلاقات التاريخية بين البلدين في العهد الإسلامي تعود إلى نهاية القرن الأول الهجري. فاستقبلت الأندلس الكثير من سكان المغرب الذين ما لبثوا أن تمازجوا مع سكان المنطقة. وقد ظلت الهجرات الأندلسية منذ الفتح الإسلامي، محافظة على توازنها بين العدوتين لارتباطها بما يعرف في الاصطلاح الجغرافي بعملية الجذب **والطرد. للاطلاع على تفاصيل طرد مسلمي اسبانيا ينظر: براتشينا دون باسكوال بورونا، الموريسكيون الإسبان ووقائع طردهم، ج: 1، تر: كنزة** الغالي، د ب ن: مركز العمودي للترجمة ونشر التراث المخطوط، ط: 1، 1433هـ/2012م

5_**الموريسكيون: طرحت بعض الإشكاليات المرتبطة بمفهوم "الموريسكي، من حيث** كونه شخصية ثقافية وتاريخية، فقد عبرت عما يمكن أن نسميه بـ "الظاهرة الموريسكية" التي **رمزت** في مرحلة من مراحل تاريخ إسبانيا عن مجموعة بشرية عاشت تحت وطأة اضطهاد السلطات الإسبانية، فالمصطلح يفيد بذلك حسب حمولته في اللغة **والوجدان الإسباني: "النصارى من**

أصـل إسلامي"، و"النصارى الجدد" أو النصارى الصغار". كما يفيد كذلك معنى الإسبانيين، الذين رجعـوا إلى نصرانيتهم بعدما تخلوا عن الإسلام قهرا. ظاهريا فقط. ولا يخفى ما في هذا المعنى الأخير من تهافت على الواقع التاريخي لإسبانيا، ومن تحامل على الإسلام والمسلمين في الوقت نفسه. للاطلاع على تفاصيل حول هذا الموضوع ينظر: محمد عبد الله عنان، عنان محمد عبد الله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط : 4، 1987م.

6_محاكم التحقيق: أما اختيارنا لعبـارة "محاكم التحقيـق" بـدلا عـن الـتسمية التقليدية "محـاكم التفتيش"، فـالسبب يعـود إلى أن الأصـل في الـتسمية هـو "Inquisitio"، من كلمة "Inquiry" التي تعني: تحقيق واستفسار وبحث. إذن، "لجان التحقيق" هي أقرب للمعنى الحقيقي منها "لجان التفتيش" ذلك أن الهدف من هذه اللجان كان التحقيق مع النصارى المتهمين لاستبيان حقيقة موقفهم مـن الديانة النصرانية. لذلك ينبغي أن نوضح حقيقة تاريخية وهي أنه بما أن المقصود إذن من خلال هذه العملية هم النصارى الخارجين عن العقيدة الصحيحة في منظور الكنيسة، وعليه فالنصارى فقط هم موضوع لجان التحقيق، أما المسلمون أو اليهود فلا سلطة لهذه اللجان عليهم لأنهم لا يدينون بالنصرانية.وعندما نتحدث عن "محـاكم تحقيق"، أول مـا يتبـادر لذينا هـو "محـاكم التفتيش الإسبانيـة" وسمعتها القبيحة. لكن في الواقع، هناك "لجان تحقيق "سبقت تلك التي أنشئت في إسبانيا وذلك بنحو ثلاثة قرون. للاطلاع أكثر حول هذا الموضوع ينظر: رمرثيدس غارثيا أرينال، محاكم التفتيش والموريسكيون، تر: خالد عباس، تق: جمال عبد الرحمان، د ب ن: المجلس الأعلى الثقافي، د ط، 2004م.

7_ إن النهاية المأسوية للأمة الإسلامية في الأندلس قلما نجد لها نظير في التاريخ رغم أن أمما عديدة عرفت نفس النهاية التراجيدية، فالدارس يجد نفسه وهو يتصفح يوميات المسلمين المتبقين بعد السقوط أمام مشهد مروع يصور معاناتهم اليومية رغبة في البقاء على دينهم وفي أرض أجدادهم على يد عمال محاكم التحقيق، فثنائية التحدي قائمة بين الطرفين الإسباني والمسلم، فالإسبان ممثلة في هذه المحاكم سعت جاهدة إلى تنصير ما تبقى من المسلمين بشتى الوسائل والأساليب ضاربة عرض الحائط بكل القيم والمبادئ الإنسانية، والمسلمين من جهتهم يدافعون باستماتة لا نظير لها من أجل المحافظة على دينهم وأرواحهم وسط بيئة معادية.

8- الملكة ايزبيلا: ولدت إيزابيلا سنة 1451م، وتوفيت سنة 1504م. ينظر:

Louis Cardaillac, L'Espagne des rois catholiques (Le prince don Juan Symbol de l'apofée D'un règne, 1474_1497 Edition Aurement _ collection Mémoires P: 23.

وهي ابنة الملك خوان الثاني ملك قشتالة، وحفيدة أنريكي الرابع. ينظر: الزويعي محمود محمود، محاكم التفتيش الاسبانية (922هـ/1516م)، الأردن : دار زهران للنشر والتوزيع، د ط، د س ط. ص : 42.

9- الملك فرناندو: في بعض المراجع نجده باسم فرديناند، وفي مراجع أخرى فرناندو. ولد عام 1421م. وأصبح ملكا على صقلية سنة 1468م، ثم ملكا على أراغون سنة 1479م، ينظر:

Rodrigo De Zayas, Les moresques et le racisme d'état et la différence, Paris, 1992. P: 82.

بعدها أصبح ملكا على نابلي عام 1504م؛ ثم ملكا على قشتالة منذ سنة 1484م. ينظر: : عادل سعيد بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة (تاريخ 100 عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط: 1، 2000م. ص :123. توفي فرناندو في 23 يناير 1516م، وأوصى حفيده كالوس الخامس بحماية الكاثوليكية

والكنيسة، واختار لذلك محققين لكي يعملوا في عدل وحزم –دمة –- على حد زعمه- وتوطيد الكاثوليكية. ينظر: عنان محمد عبد الله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط : 4، 1987م. ص: 142.

10– الكاثوليكية: تعني هذه التسمية العام أو العالمي، وسميت الكنيسة الكاثوليكية بذلك ؛ لأنها تدعي أنها أم الكنائس، وتسمى باللاتينية أو الغربية، لأن أكثر أتباعها في الغرب، والبطرسية أو الرسولية؛ لأن أصحابها يزعمون أن مؤسسها هو بطرس، وهو كبير الحواريين – على حد زعمهم - . بولوس وهبة، المرجع السابق. ص: 213.

11_نتج عن استقرار مسلمي اسبانيا بالمدن الجزائرية الساحلية واندماجهم في المجتمع الجزائري وانصهارهم تخوف السلطات الاسبانية ، لذلك قررت أن تشن حملة انتقامية ضد سكان هاته المدن لاعتقادها بأنه سوف يكون هناك تعاون وتحالف بين الطرفين من أجل استرداد الأندلس الضائعة أو لضرب اسبانيا في عقر دارها على أقل تقدير؛ ولقد كانت السلطات الاسبانية محقة في تخوفها من تحالف جزائري أندلسي، فقد شن بحارة المرسى الكبير بمساعدة الأندلسيين خلال سنة 1505م حملة عسكرية على مدينة بلنسية إلش وأليكانت تمكنوا خلالها من أسر عدد من الاسبان تحصيل الكثير من الغنائم، والأهم من ذلك بث الرعب في نفوس الاسبان. ينظر:

Diogo Suarez De Montanes, Mers El_ Kebir, Traduction : A. Berbrugger, R. A, T : 9, 1865. P : 337.

12_تميزت الحملات الاسبانية على الجزائر بتركيوها على المدن الساحلية، إذ لم تتوغل في الداخل وإن دل هذا الأمر على شيئ فإنه يدل على أن الهدف من هذه التحرشات كان اقتصادي ودفاعي بالدرجة الأولى.

13_بقيت المنطقة الغربية من الجزائر في مأمن من العدوان الخاريجي طيلة ثلاث سنوات، لكن في سنة911هـ/1505م قررت السلطات الاسبانية شن حملة عسكرية لاحتلالها؛ فجهزت لذلك أسطولا يقوده دون رايموندي "Don Roymondi"مكونا من ستة سفن من نوع حراقة وعدة مراكب من نوع مرافيل تحمل على متنها خمسة آلاف جندي ودخيرة حربية ومؤونة. ينظر: يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر العام، ج:2، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 2007م. ص: 25.

14_ المرسى الكبير: مدينة صغيرة أسسها ملوك تلمسان على ساحل البحر الأبيض المتوسط. ينظر: الوزان بن محمد الحسن، وصف افريقيا، ج:2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، د ط، 1983م. ص:31.

15_بعد سقوط المرسى الكبير في أيدي الاسبان سنة911هـ/1505م واتخاذه قاعدة عسكرية لتحركاتهم المستقبلية قررت السلطات الاسبانية أن المحطة القادمة في مشروع الغزو ستكون مدينة وهران نظرا لقربها من المرسى الكبير أولا ولاجتماع مجموعة من العوامل ساهمت بشكل مباشر في تسيير الحملة عليها؛ لذلك أصدر الملك الاسباني فرناندو مرسوما ملكيا في شهر ديسمبر من سنة 910هـ/1508م يعلن من خلاله تجهيز حملة عسكرية على مدينة وهران قصد احتلالها؛ على هذا الأساس جهز الكاردينال خمينيس حملة ضخمة تكونت من خمسة عشر ألفا جندي. ينظر: مرمول كربخال، افريقيا، ج:2، تر: محمد حجي وآخرون، الرباط: دار المعرفة، د ط، 1989. ص: 271. تحملهم ثلاث وثلاثون باخرة حربية وواحد وخمسون زورقا. ينظر: محمد مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ج:3 الجزائر : مكتبة النهضة الجزائرية، د ط، 1964م. ص، 23. يقودها بيدرو نافارو. ينظر: عبد القادر فكاير، العلاقات الجزائرية البرتغالية خلال الفترة العثمانية، دورية كان التاريخية، الكويت: دار الناشرين للنشر الالكتروني، ع: 18 ديسمبر 2012. ص: 53.

_16بعد سقوط الحماديين تعرضت بجاية لتحرشات عسكرية من طرف الحفصيين، هؤلاء تمكنوا من السيطرة عليها والحاقها اداريا بحكمهم، مستفيذين من الضعف السياسي والعسكري الذي آلت إليه المملكة الزيانية. ينظر: مرمول كربخال، المصدر

السابق. ص: 271. أمام هذا التمزق السياسي قررت السلطات الاسبانية شن حملة عسكرية لاحتلال المدينة، خاصة وأنه وصلتها تقارير أكدت على ثراء سكانها والبالغ عددهم حوالي ثمانية آلاف أسرة. ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج:2. ص: 50. غادر الأسطول الاسباني المرسى الكبير في 30 نوفمبر من سنة 1510م متجها نحو جزر البليار، قدرت الروايات التاريخية تعدداه بعشرين وحدة عسكرية تحمل عشرة آلاف جندي مدعمين بمدفعية ودخيرة حربية يقودهم بيدرو نافارو؛ وبمجرد وصوله إلى جزر البليار التحق بهم الدعم البشري والمادي القادم من اسبانيا. قاوم سكان المدينة الاسبان ببسالة ولكن نظرا لعدم تكافؤ القوتين سقطت المدينة في يد الاسبان. ينظر: مرمول كربخال، المصدر السابق. ص: 273.

17_ لم يتقبل الاسبان خسارتهم لمدينة وهران والمرسى الكبير سنة 1708م فسعوا جاهدين لاعادة احتلاهما فتحقق لهم ذلك خلال سنة 1732م؛ وبالمقابل لم تهدأ السلطات الجزائرية إلى أن تمكنت من استرجاعهما نهائيا سنة 1792م وتحرير المنطقة من الاسبان بعد مواجهات عسكرية عنيفة بين الطرفين. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول مجريات الحرب بين الجيش القوات البجاوية والاسبانية، ينظر: أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر و إسبانيا (1492-1797)، الجزائر : المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د ط 1985م.

18- شكلت الخلافة العثمانية شوكة في خاصرة الإمبراطورية بنواياها التوسعية نحو وسط أوروبا. وخاض الاسبان في الواقع عدة نزاعات ضد العثمانيين؛ فوجدوا أنفسهم غالبا ما يحاربون على جبهتين في ذات الوقت: شرقا ضد العثمانيين وغربا ضد الفرنسيين. فالقوة العسكرية التي كانت تتمتع بها الخلافة العثمانية مكنتها من خوض معارك عدة على عدة جبهات، حققت خلالها انتصارات أبهرت أباطرة وملوك أوروبا. وبما أن اسبانيا كانت حامية الكاثوليكية، وسيدة على مناطق كثيرة ومتفرقة من قارة أوروبا وأمريكا وافريقيا، فقد واجهتها مهمة الدفاع على ممتلكاتها من التوسع العثماني، الذي أخذ يشكل خطرا مؤكدا على سلطانها.

19_في رأينا لم يكن للتواجد العثماني في منطقة غربي البحر الأبيض المتوسط هذف وحيد هو انقاذ مسلمي اسبانيا والتصدي للقرصنة الأوروبية، وإنما كانت هناك أهذاف أخرى حاولت السلطة العثمانية اخفائها قدر المستطاع إلى أن تتمكن من تجسيدها على أرض الواقع. فقد رأت السلطة العثمانية أنه من المنطقي بعد الحاق المشرق الإسلامي بالخلافة العثمانية لا بد من اتمام هذا المشروع بالحاق دول المغرب لها، ولكن لجهلها بعقلية المجتمع المغاربي ولتخوفها من الدخول في غمار مجازفة قد لا تحمد عواقبها قررت السلطة العثمانية التريث إلى حين ظهور مستجدات قد تسمح لتدخل شرعي ودون مخاطر.

20–بربروس: هم أبناء الفخارجي يعقوب بن يوسف الثلاثة: عروج وخير الدين وإسحاق، الذين التحقوا بالقوات العثمانية مند حوالي 909هـ/1504م، واستحدثوا لأنفسهم أسطولا بحريا قويا، وشرعوا في مواجهة القراصنة الأوروبيين انطلاقا من جزيرة جربة، وحلق الوادي، وجيجل. وأثمرت جهودهم بالسيطرة الكاملة على غربي البحر الأبيض المتوسط.

21-عروج: يعرف في الكتب التركية بـ"أروج" وتعني الصيام. أصله من جزيرة ميدلي التي أصبحت تابعة للعثمانيين منذ سنة 1457م. أسره العثمانيون ولكنه تمكن من الفرار ليستقر به المطاف في نهاية الأمر في بلاد المغرب وبالضبط في جربة. استشهد سنة 1518م. ينظر:

Moulay Belhamissi, Marine et Marins d'Alger (1518-1830), T : 1, Alger : Bibliothèque nationale d'Algérie, 1996. P : 140.

22– خير الدين: انقسم المؤرخون إلى فريقين في أصل هذا القائد المجاهد فذهب المؤرخون الأوروبيون إلى أن أصله يوناني ثم اعتنق الإسلام. ينظر: كورين شوفالي، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1540م، تر: جمال حمادنة، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 1991م. ص:24. في حين ذكر الفريق الثاني أن أصله يرجع إلى الأتراك المسلمين.

ينظر: محمد يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في اختيار مدينة وهران، تق وتع: المهدي بوعبد الله، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ط، 1979م. ص:183. ولد سنة 1474م. ينظر: أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تح وتق: ناصر الدين سعيدوني، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط:1، 1991م. ص: 32.

23-جزيرة جربة: هي عبارة عن جزيرة منبسطة رملية غزاها الاسبان بعدما بسطوا نفوذهم على طرابلس سنة 1510م. ينظر: الوزان بن محمد الحسن، وصف افريقيا، ج:2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، د ط، 1983م. ص ص: 93، 95.ولكن سرعان ما استبدل الاخوة بربروس هذا المقر بحلق الوادي تجنبا للغارات الاسبانية المتكررة على الجزيرة.

24_اتفق عروج مع الملك الحفصي أبي عبد الله محمد على السماح لهم بجعل جزيرة جربة مركزا لأسطوله وفتح كل الموانئ التونسية لهم عند الضرورة.

ينظر: بن بلة خيرة، المنشآت الدينية بالجزائر العثمانية، رسالة مقدة لنيل شهادة الدكتوراه، الجزائر: جامعة الجزائر، 2008م. ص:6.

25_ التحق الاخوة بربروس بالقوات العثمانية سنة 1504 طلبا للحماية والدعم والسند القانوني واضفاء الشرعية على عملهم البحري.

26_مدينة الجزائر: ورد تسميتها في الوثائق العثمانية بـ " محروسة الجزائر" أو "باب الجهاد". ينظر: ملف الوثائق العثمانية، رقم : 3205. الجزائر: المكتبة الوطنية بالحامة، قسم المخطوطات.

27_استغل سكان مدينة الجزائر وفاة الملك فرديناند وبعثوا بوفد يمثلهم يترأسه أحمد ابن القاضي إلى مدينة جيجل أين اجتمعوا بعروج، وقدموا له تقريرا مفصلا على معاناتهم اليومية، وأنه يمثل القوة العسكرية الوحيدة التي يمكن أن تحمل على عاتقها مهمة تخليصهم من بطش وظلم الاسبان، وناشدوه باسم رابطة الدين تلبية ندائهم. أمام إصرار والحاح الوفد قرر عروج تلبية النداء فتوجه إلى مدينة الجزائر مرفقا بقوة عسكرية قدر تعدادها بثمانمئة جندي تركي مدعمة بثلاث آلاف متطوع من المجاهدين الجزائريين برا ودخلها دخول الأبطال أواخر سنة 1516م. ينظر: كليل صالح، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني في احتلال المغرب الأوسط، مذكرة انيل شهادة الماجستير، باتنة: جامعة العقيد الحاج لخضر، 2007م. ص:91.

28_بعد الانكسار المعنوي والعسكري الذي تلقاه خير الدين بعد استشهاد أخويه عروج واسحاق في موقعة بني راشد قرر الرحيل ومغادرة البلاد ولكنه أمام إصرار الجزائريين على بقائه وصرفه على الرحيل، اقترح عليهم البقاء ولكن شرط الحاق الجزائر بالخلافة العثمانية حتى تكون هذه الأخيرة السند المعنوي والدعم العسكري له وللبلاد. وبالفعل كان لخير الدين ما أراد، فقد اجتمع أعيان ووجهاء مدينة الجزائر وأحوازها سنة 1519م وقرروا ارسال وفد يتزعمه أبو العباس أحمد ابن القاضي ليحمل رسالة إلى السلطان العثماني سليمان القانوني، يعرضون من خلالها قبول الحاق الجزائر كولاية عثمانية، وتعيين خير الدين حاكما عاما عليها نيابة عنه، ولاقناعه عرضوا أمامه تفاصيل مأساتهم بداية بضياع الأندلس، مرورا بسقوط كل من وهران والمرسى الكبير وطرابلس، واستسلام بقية المدن، وصولا إلى عرض انتصارات الاخوة بربروس على الأعداء، وختموها بالتحسر على استشهاد عروج وقرار رحيل خير الدين، ليعرضوا في نهاية المطاف قرار التبعية.

29_باي لارباي: كلمة تركية تعني أمير الأمراء.

30_أرسى خير الدين معالم الجزائر الحديثة، بحيث حاول منذ تعيينه باي لارياي على الجزائر أن ينظم أمورها ويحقق الأمن في أرجائها فحارب الاسبان وعملائهم، كما ركز جهوده على بناء مؤسسة عسكرية قوية سواء كانت بحرية أو برية.

31_جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع بايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، قسنطينة: جامعة منتوري، 2007-2008م، ص360.

32-Esterhazy Walsin, Domination turque dans l'ancienne régence d'Alger, Paris : Librairie de Charles Gosselin, 1840. P : 234.

33- ينظر كل من: صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م ،دار هومة، ط:2: 2007م. ص:357. و: عبد الحميد بن آشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، الجزائر، دط، د س ن. ص:88.

34-**الإنكشارية**:كلمة عربية حرفت عن الكلمة التركية عند ترجمتها" **يني تشاري**"وتكتب بالتركية "**يكيجري**"**وهي مكونة من مقطعين "يكي** yeni" بمعنى "**جديد" و"جري**cery" بمعنى "**العسكر**". ينظر:أماني بنت جعفر بن صالح المغازي، دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية، القاهرة: دار القاهرة، ط:1، 2007م. ص ص: 21،22.

35_أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج:1، در-تح: بوركبة محمد، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط:1، 2011م، ص36.

36_عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 (مقاربة اجتماعية – اقتصادية)، منشورات ANEP ، د ط،د س ط.ص:26.

37_مجهول، مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تص تع: نور الدين عبد القادر، الجزائر: المطبعة الثعالبية، د ط، 1934م. ص:156.

38_بعدما ايقن سكان بجاية أن الاسبان تمكنوا من المنطقة، وأصبحت قوتهم تزداد يوما بعد يوم في ظل غياب أية قوة ترد الخطر الصليبي؛ وجدوا في العثمانيين المنقذ الوحيد من بطش وظلم الاسبان، لذلك قرروا ربط اتصالات بهم بغية تحصيل تدخل عسكري في بجاية. لهذا تم تعيين وفد يمثل سكان المدينة متكون من أعيانها وعلمائها ليقصد حلق الوادي اين كان يتواجد عروج وقواته حاملين معهم رسالة باسم سكان بجاية

39_ بعدما علم سكان جيجل بالتدخل العثماني في بجاية ومحاولة الاخوة بربروس تحرير المدينة من الاحتلال الاسباني تشجعوا على طلب الدعم منهم. على هذا الأساس تحرك وفد قاصدا عروج وعند التقاء الطرفين تدراسا القضية وقرر في نهاية المطاف عروج تلبية نداء الجيجلين لتخليصهم نهائيا من استغلال الجنويين لهم. على اثر ذلك جهز عروج حملة عسكرية قادها إلى جيجل وبعد مناوشات لم تكن بالصعبة تمكن عروج من تحرير المدينة. استبشر سكان المدينة بهذا النصر ولم يجدوا بالمقابل ما يقدموه كرمز للعرفان على هذا الجميل سوى تسليم عروج منطقة يختارها هو ليبني عليها قاعدته العسكرية دون مقابل، لهذا قرر عروج ودون تردد نقل قاعدته العسكرية المتواجدة في حلق الوادي إلى الجزائر وبالضبط في مدينة جيجل. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق.

40_أمام إصرار والحاح من سكان مدينة الجزائر بضرورة تدخل عسكري عثماني قرر عروج تلبية النداء فتوجه إلى مدينة الجزائر مرفقا بقوة عسكرية قدر تعدادها بثمانمئة جندي تركي مدعمة بثلاث آلاف متطوع من المجاهدين الجزائريين برا ودخلها دخول الأبطال أواخر سنة 922هـ/1516م. ينظر: كليل صالح، المرجع السابق. ص:91.

41_ **أحمد بن القاضي**:من بين أهم الزعامات المحلية التي لعبت دورا بارزا في الحاق الجزائر بالخلافة العثمانية، ينحدر من أسرة أبو العباس الغبريني، عالم بعلوم الشريعةوالفقه، عمل قاضيا لدى آخر حكام بجاية، ثم تمت ترقيته إلى خليفة في المنطقة الممتدة من الصحراء حتى جيجل بجبال كوكو. ينظر: كورين شفالييه، المرجع السابق. ص: 25.

42_ **الامارة**: الإمارة لغة: هي كلمة مشتقة من الفعل أمر، يأمر، أمرا، وهي تعني صار أميرا. ينظر: وجدي محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، بيروت: دار المعرفة، ط: 3، د س ط. ص:570. وتتفرع إمارة إلى أنواع من أهمها إمارة الاستيلاء، هذه الأخيرة تقع نتيجة انشقاق بعض الولايات، فيستأثر أمراء هذه الولايات بالسلطة ولكنهم يعترفون في الوقت نفسه بالخليفة خوفا من سخط العامة التي ترى فيها رمزا لوحدة الأمة الإسلامية ومجدها. ينظر: القاسمي ظافر، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، لبنان: دار النقاش، ط: 5، 1405هـ/ 1985م. ص:526.

43_**قرية كوكو**: تتمركز عند حدود سهول الجزائر؛ يحدها من جهة الجنوب والشرق سلسلة جبال يسكنها أقوام من البربر وزواوة، ومن هذه الجبال المتصلة كلها بالأطلس الكبير جبل يدعى جبل كوكو يبعد عن مدينة الجزائر حوالي ثمانية عشر فرسخا بين الشرق والجنوب، وعن بجاية بخمسة عشر فرسخا من جهة الشرق. ينظر: مارمول كربخال، المصدر السابق. ص: 134.

44_فشلت المحاولة الأولى لتحرير مدينة بجاية سنة 1512م، لذلك حاول الاخوة بربروس الكرة في سنة 1514م قصد تحريرها من الاسبان ولكن المحاولة باءت بالفشل فانسحت القوات العثمانية نحو مدينة بجاية. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: أحمد توفيق المدني، المرجع السابق.

45_ **سالم التومي**: من بين أهم الزعامات المحلية التي حكمت مدينة الجزائر، هذه الأخيرة امتدت على عهده من دلس شرقا إلى شرشال غربا. تعاون مع الاسبان خوفا من بطشهم وتجنبا لانتقامهم؛ اتهم بالخيانة وأعدم سنة 1516م. ينظر: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج:3، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، د س ط. ص:15.

46_ من بين أشهر الزعامات التي انتمت إلى هذه القبيلة عبد الرحمان الثغالبي، هذا الأخير مثل رمزا من أهم رموز مدينة الجزائر خصوصا والجزائر عموما. فقد ساهم في تحفيز الجزائريين على الجهاد ضد الهجمات الصليبية . ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج:2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط:3، 1983م. ص: 460. وقد ظل عبد الرحمان الثعالبي ظل يمثل رمز السلطة الروحية في مدينة الجزائر وأحواض متيجة.

47_بعد استسلام مدينة الجزائر سنة 1511م توصل الطرفين _ الوفد الجزائري والاسباني_ إلى عقد اتفاقية حددت مدتها الزمنية بعشر سنوات، أهم ما ورد فيها تسليم صخرة الجزائر أو ما عرف في تلك الفترة بـ "اصطفلة" إلى القائد الاسباني ليتخذ منها قاعدة عسكرية تراقب عن قرب تحركات الملاحة الجزائرية وحتى الأجنبية. ينظر:

_ Haedo Diego, Topographie et histoire générale d’Alger, Tra : A. Berbugger et D’ Monnereau, R.A, 1870, T : 14. P : 415.

48_ **قلعة البنيون**: تبعد حوالي 300 متر عن مدينة الجزائر.

49_**عائلة ابن غانة**: من بين أقدم العائلات على مستوى الشرق الجزائري؛ عرفت بنفوذها على الكثير من القبائل، كما بسطت سلطتها على كامل منطقة الزيبان، حاول بايات قسنطينة استمالتها باعطائها الكثير من الامتيازات خاصة على عهد أحمد باي الذي يعود في أصله إلى هذه العائلة وذلك من طرف الأم. ينظر: أحمد باي، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، تق: العربي الزبيري، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط:2، 1981م. ص: 115.

50_**الشريف محمد**: أصله من قولة في الأناضول. عينه حسين باي بوحنك خليفة له سنة 1792م. ومات مخنوقا بأمر من داي الجزائر. ينظر: دوبالي خديجة، رسائل أحمد باي إلى حسين باشا"1826-1830"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2005-2006م. ص:18.

51_ **الباي**: يعني الأمير أو الزعيم. ينظر:

A.Bellegrin,Essai sur les nems et les les lieus d'Algérie et de Tunisie, Tunis : Etymologie édition, S. A. P. I, 1949. P : 206.

وهو لقب وظيفي محرف عن الأصل بك استحدث أيام سنان باشا في القرن السادس عشر ميلادي في إطار الترتيب العسكري إلى جانب لقب داي. ينظر: عبد اللطيف بوجلخة، الدولة العثمانية، الجزائر: دار المعرفة، د ط، د.س ط. ص:69. وكذلك ورد ذكره في ملفات الوثائق العثمانية رقم 1642، الجزائر: المكتبة الوطنية بالحامة، قسم المخطوطات.

52- **أحمد القلي**: أصله تركي من مدينة كولو في الأناضول الغربي. وتولى بايا على الشرق سنة 1756م حارب عدة قبائل عاصية حتى خارج حدود البايلك. توفي عام 1771م. ينظر: صالح العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة و استيلاءهم على أوطانها، مر،تع:يحي بوعزيز، الجزائر: دار هومة، د ط، 2005.ص:77.

53_**بايلك**: مصطلح تركي أطلقته الإدارة العثمانية على الاطار الجغرافي التابع لسلطتها. ينظر: مصطفى أحمد بن حموش، فقه العمران الإسلامي للأرشيف العثماني الجزائري 1549_ 1830م، دبي: دار البحوث والدراسات الإسلامية للنشر، د ط .ص: 268.

54_ **بايلك الشرق**: تضاربت الروايات التاريخية حول التاريخ الحقيقي لالتحاقها بالسلطة العثمانية. فهناك من المؤرخين من ربطه بسنة التي اخضع خلالها خير الدين مدينة القل لسلطته وكان ذلك سنة .1519م. ينظر:

M. Léon Galibert, L'Algérie ancienne et moderne, Parie: Furne et C libraire- éditeur. P : 7.

أما البعض الآخر فأرجعه إلى الحملة التي شنها قارة حسن على قسنطينة، إذ فرض خلالها على السكان الاعتراف بتبعيتهم لخير الدين الممثل الشرعي للسلطة العثمانية في الجزائر؛ وقد تم له ذلك خلال الفترة الممتدة ما بين سنة 1519م وسنة 1522م. بينما اتفق كل من ابن ابي دينار وأحمد النبيري على أن التحاق المنطقة يعود إلى عهد أبي حسن الحفصي عام 1525م. في حين رجح ناصر الدين سعيدوني تاريخ التحاقها الرسمي واكتساب الشرعية إلى سنة 1528م اعتمادا على عقد شرعي حمل التاريخ نفسه. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العثماني)، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط:1، 1999م. ص: 11.

55- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق "مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية"، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م، ص46.

56-**مليانة**:مدينة كبيرة بناها الرومان فوق جبل مرتفع على بعد أربعة عشر فرسخا (42 ميل) من شرشال في داخل البلاد وعلى بعد خمسة عشر فرسخا (45 ميل) غربي مدينة الجزائر. ينظر: مارمول كربخال، المصدر السابق. ص:359.

57_**بايلك تيطري**: أسس سنة 1540م. كانت عاصمته المدية. وهو أول بايلك بعد دار السلطان. اتصف بضيق مساحته مقارنة ببايلك الشرق والغرب، كما عرف بضعف اقتصاده نتيجة افتقاره لموارد وثروات طبيعية، ذلك أن جل مساحته هي مناطق داخلية. ينظر: محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية محمد بن عبد الكريم، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط:2، 1985م. ص: 36.

58-**المدية**: مدينة كبيرة عتيقة جداً بناها السكان الأصليون في سهل خصيب على بعد ست وخمسين ميلاً من مدينة الجزائر، كانت تابعة لأمير تنس ثم خضعت للإخوة بربروس. ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق. ص:41.

59-**محمد الكبير**: هو أبو عثمان محمد بن عثمان الباي الكبير باي الايالة الغربية وتلمسان؛ تولى الحكم سنة 1192هـ/1778م ومن أعظم مآثره تحرير وهران سنة 1206هـ/1792م التي نقل إليها مركز حكم البايلك. توفي عام 1213هـ/1798م. ينظر: مسلم بن عبد

القادر، أنيس الغريب والمسافر (أو تاريخ بايات وهران المتأخر)، تح-تق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ط،1974م. ص ص:23-25.

60-**محمد الصغير**: هو الباي أبو كابوس محمد بن عثمان ويلقب أيضاً بالرقيق والمسلوخ؛ تولى حكم بايلك الغرب آخر سنة 1223هـ/1808م وبقي فيه نحو خمسة أعوام حارب الدرقاويين، قتل على يد عمر آغا وذلك سنة 1228هـ/1813م. ينظر: بن عودة المزاري، المصدر السابق. ص: 328.

61-ودان بوغفالة، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينتي المدية ومليانة في العهد العثماني، الجزائر: مكتبة الرشاد، ط:1، 2009م. ص:271.

62_**بايلك الغرب**: أسس سنة968 هـ/1563م، وترجح بعض الروايات التاريخية أن حسن بن خير الدين باشا كان أول من وضع الأسس الأولى للإدارة العثمانية ببايلك الغرب، وتم له ذلك قبل عودته من حصار وهران متجها إلى مدينة الجزائر سنة 968 هـ/1563م. ينظر:

- Esterhazy Walisn. Domination Turque dans l'ancienne régence d'Alger. Paris.1840 .P:165

63_ودان بوغفالة، المرجع السابق. ص ص:271،272.

64-ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية1800-1830، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ط، 1979م. ص:43.

65- سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، تر-تق-تع: أبو العيد دودو، الجزائر، دار هومة، د ط،2009م. ص:185.

66- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون(المرجع السابق). ص:26.

67- صالح عباد، المرجع السابق. ص: 358.

68–**المطالب المخزنية**: كذلك وردت تسميتها في ملفات الوثائق العثمانية على سبيل المثال ينظر الملف رقم 3205، الجزائر: المكتبة الوطنية بالحامة قسم المخطوطات. وهي مختلف الضرائب التي فرضتها السلطة العثمانية على سكان الأوطان. ينظر. المصدر نفسه.

69- **الدنوش**: : كذلك وردت تسميتها في ملفات الوثائق العثمانية على سبيل المثال ينظر الملف رقم 1642، المصدر السابق. وهو لفظ معناه المحاسبة. شاع استعماله في نوع من الالتزامات المالية. ينظر: ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق. ص: 100.

70- الشويهد متولي السوق عبد الله بن محمد، قانون أسواق مدينة الجزائر 1107-1117هـ/1695-1705م، البصائر للنشر والتوزيع، دط، د س ط. ص: 182.

71- **القاوقجي**: هو صانع الشاشية من القماش والصوف وتكون في شكل مخروط، وتلبسها أيضاً النساء في قسنطينة وتلمسان، وهذه الكلمة مركبة من شقين "**قاوق**"و"**جي**" وتعني "**القبعة الكبيرة المحشوة بالصوف**" وهي مأخوذة عن كلمة "**كاواك**" التي تعني "**التجويف**". ينظر: عائشة غطاس، المرجع السابق. ص:417.

72- **فرمان شاهاني**: لفظ فارسي مناه أمر أو حكم أو دستور موقع من الملك استعمله الأتراك في العصر العثماني بمعنى الأوامر السلطانية.ينظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، بيروت:مؤسسة الرسالة، ط:1،1996م. ص: 338.

73- **مراد الثالث**: ولد سنة1546م وتولى الملك عام1574م؛ توفي بمرض سنة 1594م ودفن بجوار جامع آيا صوفيا. ينظر: يوسف بك آصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان(من أول نشأتهم حتى الآن)، تق: محمد زينهم محمد عزب، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط:1، 1995م. ص ص: 69،70.

74_ الشويهد متولي، المصدر السابق. ص:189.

بين الإمام الرازي (ت 606هـ) والعلامة الآلوسي (ت 1270هـ)

.دراسة في مناهج الفكر والتأليف.

الدكتور بن نعمية عبد الغفار. جامعة وهران 1 .

ملخص البحث:

لا تزال المكتبات العربية والإسلامية تحتفظ بالتراث الثمين للإمام الرازي، حيث عرفت مسيرته العلمية مكانة مرموقة بين أقرانه من العلماء خلال القرن السادس الهجري، وزيادة على ثراءها فقد جاءت متنوعة في التخصص بين الأصول وعلم التوحيد والكلام والتفسير وعلم المنطق والفلسفة والبلاغة والفقه وغيرها، مما جعل وسّع دائرة الاهتمام بها وبصاحبها.

لم تقف جهود العلماء في الاهتمام بالإمام الرازي عند حد تحديد المكانة التي احتلها بمؤلفاته وسعة نظره، بل تعدّت إلى شرحها وتبسيطها واختصارها والتعليق عليها، بدءاً بكتابه المباحث المشرقية والذي ظهر فيه الرازي مشروعا فكريا مهما، حيث برز فيه الجانب الفلسفي للرازي، وصولا إلى كتاب مفاتيح الغيب وهو الموسوعة التفسيرية التي عمّقت مكانة الرازي في التراث العربي والإسلامي.

بقدر الإضافات العلمية والفكرية التي بسطها الرازي في التفسير، بقدر ما جاءت الدراسات والتعليقات والاستدراكات على كثير من أقواله وآراءه فيه، ومن أهم من تناول تفسير الرازي بالدراسة والبحث العلامة الآلوسي الذي لا يقل عن الرازي شأنا فكريا أو علميا، ظهرت مكانته خلال القرن الثالث عشر الهجري بالعراق من خلال مؤلفاته الكثيرة والمتنوعة أيضا خاصة منها تفسيره المسمى "روح المعاني"

لقد جاءت هذه الدراسة بتحليل متوازن ومتواضع لشخصية رجلين بينهما سبعة قرون من الزمن، وذلك من خلال مدارسة أهم المصنفات التي كوّنت معالم الفكر عندهما، ومركزة على قواعد منهجهما في التأليف والتصنيف، خاصة ما تعلّق بتفسير القرآن الكريم، ونظرتهما إلى قضايا معرفية وفكرية مهمة في الفكر العربي والإسلامي.

اعتمدت الدراسة على مجموعة من الفرضيات والمصادر والمراجع حاولت من خلالها الوصول إلى بيان معالم التجديد التي اعتمداها، وتحديد الأهمية الفكرية التي بها يتم تأصيل القضايا والمسائل عندهما.

شهد تفسير القرآن الكريم تجاذبا واضحا بين مختلف فنون العلم، كالتفسير البلاغي والفقهي والإشاري والاعتزالي والتحليلي والموضوعي والمقارن والفلسفي، وكلها استقلت بمصنفاتها ومناهجها، ولا تزال الدراسات والأبحاث والرسائل الجامعية تجتهد في دراسة مناهجها وأساليبها، وتكاد تتفق جميعها في أنّ القرآن الكريم يتحمّلُ جميع هذه الأقسام بالدرس والتحليل، وأنّ الآية الواحدة قد يختلف تفسيرها حسب هذا التصنيف، بل قد يتأثر تفسيرها بالاتجاه العقدي لصاحب التفسير، تماما كما أثّر التعصب المذهبي على الفقه حتى خرجت مسائله عن الطرح الشرعي في الفهم أو في طلب الفتوى.

سيكون الاعتماد في هذه الورقات على نمطين من التفسير، هما التفسير الفلسفي والإشاري، لاعتقادنا أنهما من أكثر الأصناف التي تأثّر بها التفسير، كشف من تقلّدهما عن غايات وأهداف جديدة تختلف عن الظاهر من الألفاظ والمصطلحات القرآنية، فبينهما نقاط اتفاق واختلاف، ومساحتهما تضيق وتتسع حسب نباهة المُفسر، وشساعة إدراكه، وعليه فتحديد مناهج هذين النمطين سيكون بالاعتماد الكلي على أساطينهما، وهما الإمام الرازي والعلامة الآلوسي، وبعيدا عن ترجمة الرجلين المبسوطة في الكتب والمصنفات، سيكون المسافة الزمنية بينهما غير مانعة من الاتفاق في طبيعة المباحث، كمسائل التوحيد، والردود على الاعتزال والتشيع، وأخبار أهل الكتاب، ونواميس الكون، وقضايا التناسب، والنحو، وغيرها، وذاتها المسافة فرضت اختلافا في المنهج والأسلوب.

الحديث عن مفاتيح الغيب، وروح المعاني هو حديث عن ثلاثين جزءا لكل منهما، وهو بالضرورة ثروة علمية وافية في المكتبة القرآنية، وبعيدا عن ذلك السرد الأدبي لحياة كل منهما، فإنّ تفسيرهما يتعدى القراءة الأفقية لتفسير الآية أو السورة وشرحها إلى الوقوف على تلك العلاقة المُتخفية يبن شخص كل منهما وبين تفسيره، من جهة متانة المباحث المطروقة، والمسائل

العميقة، ساعدت بقوة على تحديد منحى التجديد والتفكير والمنهجة الظاهرة في التعامل مع النص القرآني، على النحو التالي:

الإمام الرازي الرجل المفكر:

فرض الإمام الرازي شخصه في المكتبة العربية والإسلامية والفكرية والفلسفية من خلال مصنفاته، وهي ذاتها فتحت المجال واسعا أمام الباحثين والمهتمين في إنتاج الأبحاث والدراسات، وبين هذه وتلك تظهر تلك القيمة العلمية المفروضة على المكتبة العربية والإسلامية لا من جهة دقة مباحثها فحسب، بل من جهة كثرتها وعددها الذي بلغ عند ابن كثير حوالي المائتي كتاب تقريبا ومدى نسبة أغلبها أو جميعها إلى الرازي أمر وارد وهو بحاجة إلى دراسة مستقلة" [1]

سيكون من المفيد إذا البحث عن تلك القيم الفكرية التي أضافها الرازي في مؤلفاته للفكر العربي الإسلامي، ثم التركيز على تحديد منهجه في تأليف كتاب مفاتيح الغيب باعتباره الموسوعة خاصته في التفسير، ووقوفنا على نشاط الحركة العلمية والفلسفية خلال القرن السادس الهجري في المشرق الإسلامي سيجعل مؤلفات أرسطو وابن سينا ملاذا بالنسبة للرازي الذي حاول جاهدا التوفيق بين القواعد الفلسفية الأريسطية التي تُحدّد للعقل طريقا خاصا في فهم الوجود، وبين القواعد الإسلامية التي تفرض له سلوكا مميزا في فهم العقائد بناء على المنقولات والمأثورات النبوية"[2]،

من جانب أخر فإذا حاولنا اعتبار هذا المسلك دليلا على الجانب التجديدي والمختلف في فكر الإمام فخر الدين الرازي فسنُبرّر هذا الطرح من جهة اعتباره أيضا اختيارا منهجيا في الوقت الذي انقسمت فيه مناهج البحث عند مفكري الإسلام إلى ثلاثة أقسام: " القسم الأول الذي اتبع طريقة أرسطو بمنطق القبول المطلق، والقسم الثاني الذي خالف طريقته بمنطق الرفض المطلق، والقسم الثالث الذي أفاد من طريقته في الجانب المعرفي دون جانب المضمون، ويزداد هذا الطرح عمقا إذا علمنا أن الإمام فخر الدين الرازي قد عمد غي طروحاته إلى مخالفة طريقة المتقدمين في منهج النظر إلى قواعد المنطق والقواعد الإيمانية.

ويمكننا التمثيل للمتقدمين بالقاضي أبو بكر الباقلاني (403هـ، 1012م) [3] و إمام الحرمين الجويني (478هـ، 1085م)[4] يربطون بين الفلسفة الطبيعية والعقيدة الدينية،

والمتأخرون يفصلون بينهما بسبب توظيف المنطق الأرسطي"[5]، ويشير ابن خلدون إلى المعاني السابقة مبينا:"أن الغزالي والرازي من أوائل من انتهج طريقة المتأخرين التي تختلف عن طريقة المتقدمين من جهة خصوماتهم للفلاسفة في ما خافوا فيه العقائد"[6] وقد أفاد الإمام الرازي من المنطق الأرسطي وحافظ على دراسة العقائد في ضوء الفهم السلفي وهو ما أبرز أهمية فكره ومنهجه"، ويبدو أن معالم هذا الفكر ظهرت بقوة في ثلاث مؤلفات وهي: كتاب المباحث المشرقية، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، ومفاتيح الغيب.

أولا: كتاب المباحث المشرقية:

تشير بعض الكتابات إلى سنة 579 هـ، 1183هـ"[7] كتاريخ محتمل في تأليف هذا الكتاب الذي صرّح الرازي أن الرد على الفلاسفة كان هدفا واضحا له في تأليفه ، وقد وصلت شهرة الكتاب إلى سمرقند، وكذلك بلاد ما وراء النهر التي احتضنت العديد من مناظراته، ومع ذلك لا يزال هذا الكتاب مميّزا بما يلي:

01 . حاول الرازي إيجاد حل بين المناطقة والفلاسفة حيث تختلف مناهجهم في الاستدلالات العقدية على وجود الله تعالى وصفاته وأفعاله، "فالفيلسوف ينظر في الجسم من حيث حركته وسكونه، والمتكلم ينظر فيه من حيث دلالته على الفاعل. كما يعتبر الفيلسوف نظره في الإلهيات نظرا الوجود المطلق وما يقتضيه لذاته، في حين ينظر المتكلم فيه من حيث دلالته على الموجود" [8]

02 . مجسَّدا معالم التجديد في الربط بين الفلسفة والعقيدة أو علم الكلام [9]

03 . جامعا بين مسائل الفلسفة وعلم الكلام بعامل تشابه المواضيع فاعتبرهما فنا واحدا مترجما بذلك مقولة ابن خلدون" [10]

04 . موغلا في الرد على الفلاسفة.

ولهذا السبب اجتهد الرازي في اعتبار الفلسفة وعلم الكلام فنا واحدا، فاتحا بذلك مجالا واسعا للبحث والنظر، "ومحافظا بذلك على الغاية التي سعى إليها المشتغلون بعلم الكلام وهي الدفاع عن العقيدة الإسلامية المتلقاة وحيا" [11]، وجاعلا من منهجه في هذا الكتاب ركيزة في الرد على الفلاسفة.

ثانيا: كتاب محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين:

سينتبه القارئ سريعا من خلال العنوان أن الرازي يفرق ويجمع في آن واحد:

أ . أما الأول فيفرق بين مسالك المتقدمين والمتأخرين في المسائل المدروسة.

ب . أنَّه يجمع نتائج دراساته للكتب المنطقية والمسائل الكلامية كما تدل عليه لفظة " محصل"

في ثنايا بحثنا عن مسالك الرازي الجديدة في كتاب المحصل سنُركّز على مضمونه، وبالأساس فإن تصريحه التالي حول غرض تأليف الكتاب سيكون مُعينا، حيث يقول في تحديد الغرض:"وضع مختصر في علم الكلام مشتملا على الأصول والقواعد"[12] ، وحصر أركان علم الكلام بأربعة على النحو التالي:

الركن الأول: وحصره في ثلاث مقدمات:

أ . تتناول المقدمة الأولى (وتشمل التصورات والتصديقات) أي العلوم الأولية

ب . تتناول المقدمة الثانية مسائل أحكام النظر

ج . تتناول المقدمة الثالثة قضايا الدليل وأقسامه

الركن الثاني: وقصره في تقسيم المعلومات

الركن الثالث:وحدّده في (الذات، الصفات، الأفعال، الأسماء) وهي التي تتكون مها الإلهيات

الركن الرابع: وجعله في (النبوة، المعاد،الأسماء، الأحكام، الإمامة) وتتعلق بالسمعيات

ومن أجل:" تبرير استعمال المنطق الأرسطي بشكله دون مضمونه في مباحث علم الكلام، حاول الرازي دراسة ركن المقدمات بناءً على عرض وربط قضايا توليد العلم وإنتاجه بالنظر والفكر والتلازم بينهما.

مع هذا التوجه الذي لا تفوت أهدافه على أهل النظر، يُقدّمُ الرازي نفسه في دراسته للركن الثاني شخصا مُحايدا لا يُعير للتوجه الأشعري أهمية، حيث أفادته دراسة المذاهب الفكرية في مخالفة المذهب الأشعري وتفضيل مذهب الفلاسفة،[13] في بعض المسائل، ونظنُّهُ بهذا يجتهد في إقامة منهجه الذي "يوفّقُ بين طروحات أهل الكلام وأهل الفلسفة، لغرض تقعيد أصوليات الفكر الإسلامي على مرتكزات فلسفية"[14] ، أما فكرة واجب الوجود[15] فهي المسألة التي طرحها في الركن الثالث، وذاتها التي عرض لها في كتاب المباحث المشرقية [16]، والقراءة السريعة لا

تُلمحُ إلى الفرق بين مذهبه ومذهب ابن سينا في اعتقاد "زيادة وجود الله تعالى على ماهيته"[17]، لكنه لا يدوم طويلا على هذا التأييد الفلسفي، فبعد دراسة المباحث الكلامية ومسالكها ينفي الرازي في كتاب المحصل أن يكون: "واجب الوجود زائدا على ماهيته"[18].

سيستقل الركن الرابع ببيان جانب آخر من الفكر التجديدي عند الرازي، فحين يوجب مسألة الإمامة عقلا لأنها تدفع الضرر عن النفس[19]" فهو يؤسس لتبرير ربطها بالجوانب الآتية:

01 . بعلم الكلام عن تطبيق قواعده عليها.

02 . بعلم العقيدة باعتبارها من أصول الدين يكفر منكرها عند الشيعة.

03 . بجانب المقاصد بالنظر إلى إقرار نتيجة توافق مقصد الحفاظ على النفس كمقصد ضروري.

سيبدو إذا الإمام الرازي من خلال المصنفين السابقين ذلك الفكر والعقل المجتهد في الجمع بين علوم الفلسفيات والكلاميات، وإثبات قضايا العقيدة بتطبيق قواعد هذه العلوم.

ثالثا: الرازي ومنهجه في كتاب التفسير الكبير ومفاتيح الغيب:

لا يكاد المهتمون بتفسير الرازي يتفقون حول تسمية وصفية واحدة، فقائل بأنه تفسير، وقائل بأنه كتاب كلامي، أو مًنصف فلسفة، حيث كانت تلك المسائل الفرعية الكثيرة سببا واضحا لهذا الاختلاف، بل تأسّست على وفقها قاعدتين كانتا مدخلا لتأكيد المنحى التفسيري أو نفيه عن هذا المًصنف، فحين نقف على مقولة ابن تيمية " فيه كل شيء إلا التفسير" فلأنه لا يُفضل البحث عن معالم التفسير ضمن الكم الهائل من المسائل الموجودة في الكتاب، ويرى أن تفسير كتاب الله تعالى والوقوف على مقصد الشارع لا يحتاج إلى كل هذا الإطناب الذي يضيّه المعنى، وللتدليل على حجم المسائل التفسيرية في الكتاب ينتصر السبكي للكتاب قائلا: "فيه كل شيء مع التفسير" [20]، وبين هذه وتلك يدفع مصنف الرازي برأي ثالث تبناه ابن خلكان واصفا إياه"بكل غريب وغريبة" [21]

إن الموسوعية الظاهرة في التفسير الكبير كانت سببا مباشرا في ضياع مسائل التفسير داخله، حتى قال أبو حيان في البحر: "أن الرازي جمع في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير" [22]، ومع هذه الأحكام فإن قيمته العلمية حين يكون ملاذا للفقيه والأصولي معا، ذاك هو اهتمامه :" ببيان المناسبات بين آيات القرآن وسوره، والعلوم الرياضية والطبيعية

والفلكية والفلسفية ومباحث الإلهيات، وبيان مذاهب الفقهاء" [23] تزداد قيمة الرازي مع كتابه حين نعرف ذكاءه في إنقاذ القضايا الفلسفية، ومسالك الحكماء التي عمل على تهذيبها بما يوافق أصول أهل السنة،.كما أنه سلك طريقة الطبيعيين في الكونيات، فتكلم في الأفلاك والأبراج وفي السماء والأرض وفي الحيوان والنبات وفي أجزاء الإنسان وغير ذلك، مما جرَّ إليه الاستدلال على وجود الله جل جلاله" [24]، بل إن دقة علم المناسبات لم تمنعه من إظهار اهتماماته البيانية، وحين بصرّحُ قائلا:"أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط" [25]، فهو يبرّرُ تفوقه على غيره من المفسرين الذين:"قلَّ اعتناءهم بهذا النوع لدقته" [26]،

مصنفات الرازي ومفاتيح الغيب:

من الضروري الانتباه إلى تلك العلاقات التأثيرية الثابتة في كتاب مفاتيح الغيب والناتجة عن المنهج القائم في المصنفات التي سبقته، لذا فما نلاحظه من مسائل كلامية فيه كانت باعتباره من آخر كتبه تأليفا، ألّفه وهو في قمة تأثره بعلم الكلام والمنطق والفلسفة، ونعتقد أن عتابه بالنظر إلى تكديس تفسيره بهذه المسائل لا ينفي سبقه في معالجة هذه المسائل جنبا إلى جنب مع مسائل العقيدة، بل إن سعيه إلى إثباتها بقواعد شرعية ودينية وإسلامية كان إشارة إلى "أن الحكمة القرآنية أسمى وأبلغ مما تسلكه الطرق الكلامية" [27]. وهي القضايا التي نجد مدلولها في كتابات الغزالي أبو حامد، والجويني، والباقلاني، والإسفراييني.

يرى الرازي أن هذا المنهج سيُعِينُ في إدراك أسرار القرآن الكريم، بل قاعديا في ترتيب مسالك الحكمة وتهذيبها على أساسيات قرآنية، وهي من أكثر ما غاب في التفاسير، بما في ذلك تفاسير المعتزلة الذين نكتشف سريعا أن اتفاقهم مع الرازي في تقديم العقل لا يعني اتفاقهم معه في رعاية مدلول الحكمة بقواعد دينية، لسبب واحد هو النزعة الاعتزالية المبسوطة في كشاف الزمخشري (ت 538 هـ)، وأمالي الشريف (ت 436 هـ) وغيرهما، وبقدر ما تعترف المصنفات للمعتزلة في تطوير الفكر والعقل معا، بقدر ما نفهم استباق الرازي إلى هذا المنهج الذي افتك به التفسير من الهيمنة الحديثية، وتلك هي عبارة ابن عاشور:"حين يعتبر القرن السابع الهجري مرحلة انتقالية بالنسبة للتفسير من الامتلاك الحديثي واللغوي إلى امتلاك أهل

الحكمة الدينية، وبذلك اتجهت كتب التفسير وجهة جديدة، وضعت العلم في نصاب غير الذي كان موضوعاً فيه ومكنت منه أيدياً لم تكن هي المتعاطية له من قبل" [28].

يمكن بعد هذا التحليل الإعلان باطمئنان أن الرازي كما حرص على تطوير التفسير، حرص أيضا على إنقاذ علم الكلام الذي عانى من آراء نقدية ألغت مضمونه وقواعده وروحانياته، وهو المنحى الذي دفع الرازي إلى مقولته المشهورة:" وربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال أنك أكثرت في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والنجوم، وذلك على خلاف المعتاد! فيقال لهذا المسكين: إنّك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته"[29]

مخالَفة أهل السنة لا توافق منهج عند الرازي:

كان المعتزلة والشيعة وغيرهما من الطوائف الفكرية والفرق المذهبية المخالفة لأهل السنة في العديد من المسائل محل انتقاد الرازي في مفاتيح الغيب، ومع ذلك لم يكن الرازي متسرعا في الحكم على نتائجهم واجتهاداتهم، جاعلا من الموازنة والتسديد والتقريب مسلكا مهما في الحكم، تماما كما فعل مع الزمخشري الذي لاقى انتقادا واسعا حين اتهم بالاهتمام بإيراد الشبه على حساب أقوال أهل الحق والعلم"[30]، وكان موقف الرازي متوازنا حين التمس للزمخشري عذر استنفاد القوى في الردود، وذاته الأمر بالنسبة للشيعة حيث اتبع في نقاش حججهم وأقوالهم منهج إيراد الحجة بالحجة القائمة عند جمهور الفقهاء والأصوليين.

الرد على الإسرائيليات عند الرازي:

لم يظهر الرازي في واحدة من هذه المحطات الفكرية لينا ولا متساهلا، فإذا ذكر أمرا منها حرص على تفنيده وإبطاله واجتهد في إثباته بالدليل الصحيح،'على نحو منهجه في دراسة قصة هاروت وماروت[31]، وقصص داود[32]وسليمان[33] عليهما السلام، وهذا منهج الرازي العام في القضايا التي لم يثبت فيها دليل.

ثانيا: المنهج عند العلامة الآلوسي:

.كتاب روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"

أما قصة تأليف الكتاب فيرويها الآلوسي في تفسيره عائدا بها إلى رؤيا كأن الله تعالى يأمره بطي السموات والأرض ورتق فتقهما على الطول والعرض فرفع يده إلى السماء وخفض

الأخرى إلى مستقر الماء ثم انتبه من نومته مستعظما رؤيته فجعل يبحث لها عن تعبير حتى رأى في بعض الكتب أنها إشارة إلى تأليف تفسير فردد حينئذ على النفس تعللها القديم وشرع مستعينا بالله تعالى العظيم"[34] فألّف تفسيره على الصورة المعروفة والمشهورة

الأهمية العلمية والفكرية لتفسير روح المعاني:

تعد عائلة الآلوسي إحدى الأسر العلمية الشهيرة بالعراق، ساهمت بشكل واضح ومميز في دفع الحركة العلمية والدينية على حد سواء، حيث استقلت بمجالسها الأدبية ومراكزها العلمية والتدريسية، وانتماء الآلوسي إلى هذه العائلة أعانه في ذيا ع صيته، حتى وُصف بجهوده التفسيرية بخاتمة المفسرين، من خلال اجتهاده في تحصيل آراء وأقوال السابقين من أهل التفسير، فحين ينقل عن تفسير ابن عطية[35]، آراءه وأقواله، وينقل عن تفسير أبى حيان[36]، وتفسير الكشاف[37]، وتفسير أبى السعود[38] ويلقبه بشيخ الإسلام، وتفسير البيضاوي[39] ويلقبه بالقاضي، وتفسير الفخر الرازي[40] ويلقبه بالإمام وغيرها من كتب التفسير المعتبرة، يكون بذلك جامعا لكل ما سبقه من التفاسير"[41]

دوافع الوصف التجديدي في تفسير الآلوسي:

بالنظر إلى المجالس الأدبية والمراكز العلمية بالعراق يمكننا فهم المكانة العلمية التي كانت عليها آنذاك، ورغم كثرتها ومساهمتها في نشاط الحركة العلمية لكنها ظلّت تعتمد المنهج التقليدي في التدريس والتلقين" [42]، ومع ذلك فإننا بصدد التأكيد أن الآلوسي كان طفرة علمية في العراق ساهم بجهوده في تلك النهضة الثقافية العربية بأسلوب جديد، بالنظر إلى الحالة السياسية السائدة الخاضعة للحكم العثماني آنذاك" [43] رغم حرص الدولة العثمانية على مسائل الدين والإسلام،وسننتبه سريعا إلى تلك المكانة العلمية لروح المعاني حين نعرف أن الفترة السابقة للآلوسي كانت عالة على تفسير السيوطي (911هـ/1505م) [44]، والخطيب الشربيني (977هـ،1570م) [45]، وأبي السعود (982هـ/ 1574م)

منهج الآلوسي في تفسيره:

جمع الآلوسي بين منهجين اثنين، الحفاظ على آراء وأقوال السابقين، والحرص على الفهم الجديد، كان مهتما بترتيب الآيات والسور، جامعا بين المأثور والرأي، مُلّما بالنحو

والأدب والبلاغة والقراءات وغيرها من القضايا التي يلتزم به المفسر، جعل تفسيره ينضم إلى قائمة التفاسير الموسوعية ولم يختلف بدلالة هذا الصف عن تفسير الإمام الرازي

المخالفون لأهل السنة مرفوضون في تفسير الألوسى:

تكاد الكتب والتراجم التي تناولت تفسير الآلوسي وحياته تجمع على سنيته وسلفيته، فكان ينتفض في الرد على الشيعة، وهو منهجه العام في مختلف القضايا والمذاهب الفكرية المخالفة للثابت عند أهل السنة ومثالها حديثه عن ترتيب سور القرآن وآياته، ورفضه الطعن والتشكيك فيه، يقول وهو شائع أيضا عند الشيعة وليس لهم إلى إنكاره ذريعة ولكن مركب التعصب عثور ومذهب التعسف محذور، وإذا حققت ما ذكرناه ووعيت ما عليك تلوناه فاعلم أن ترتيب آيه وسورة بتوقيف من النبي صلّى الله عليه وسلم" [46]

ردود الآلوسي على الإسرائيليات:

يرفض الآلوسي السكوت عن الأخبار الإسرائيلية الغير ثابتة بدليل صحيح، ومثلها حين يتحدث عن فرعون وقصة تعذيبه لبني إسرائيل يقول" وأما ما ذكر عن ابن إسحاق من أن فرعون كان يقتل أبناء بني إسرائيل لإخبار المنجمين إياه بأنه سيولد لهم مولود يكون هلاكه على يده فهو كما قال بعض الأجلة من أخبار أهل الكتاب ومخالف لروايات أكثر المفسرين فإنهم أحالوا ذلك على أخبار الكهان" [47]

المكانة الفكرية للآلوسي:

سبق أن أشرنا إلى تلك المجالس الأدبية والعلمية والفكرية بالعراق، وهي مواطن مناسبة لاجتماع وتبادل الثقافات الدافعة إلى تجيد الأنماط والمناهج التدريسية، في ذات الصدد يجب التنبيه بالعودة إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية والعلمية العراق كان أرضية خصبة لاجتماع التوجهات الفكرية المختلفة، ففي الوقت الذي اجتهد فيه الشيعية الإمامية على ربط "الجانب الروحي بالثقافي عن طريق اعتبار المزارات أساسا في تقدم الفكر والعلم " [48]، حرصت الخلافة العثمانية السنية أيضا على إرساء مناهج العقيدة والفقه، أما تدعيمها للجانب الروحي فكان بتشجيع التصوف ردا على مزارات الشيعة، وهي أسباب مباشرة في تطور العراق علميا وفكريا، يقول محمد الفاضل بن عاشور: "وبذلك انبعثت في البلاد العراقية، بعد استقرار الحكم العثماني

بيئة علمية تكتسي بهذه الصبغة، تأصلت ورسخت على توالي الأجيال، وقويت بالاستناد إلى مناطق داخلية في البلاد العثمانية: مثل بلاد الشام، ومناطق خارجية: مثل البيئات السنية في البلاد الأعجمية، بإيران وأفغانستان والهند، فعادت بذلك مدينة بغداد إلى أهميتها الثقافية، وقامت الدروس، وعمرت المجالس وشاعت الطريقة التدريسية التي انبثت في القرن الحادي عشر بأطراف العالم الإسلامي، وازدهرت في القرن الثاني عشر.ارتكزت تلك البيئة الناشئة على العقيدة الأشعرية والمذهب الحنفي على نحو ما ألف بينهما العلامة سعد الدين التفتازاني وعلى مزج السنة بالتصوف على نحو ما سلك الجنيد والغزالي والجيلي والشاذلي وبهاء الدين النقشبند" [49]

الحديث عن التصوف في العراق لا يجب أن يخرج عن نطاق الدولة العثمانية الحاكمة آنذاك، فتشجيعها له لم يكن معزولا عن دعم الأسر العلمية السنية، التي تبنّته ودعت إليه وعملت به على وفق قواعد سنية دينية حنفية، وعقيدة أشعرية، وجميعها مسائل نستشفها من مجالس الآلوسيين عامة ومن تفسير الآلوسي خاصة من خلال مناقشة المسائل الفقهية على وفق المذهب الحنفي، وتأكيد انتمائه للعقيدة الأشعرية كقوله: وهو مذهب أكثر الأشاعرة ما خلا المصنف وموافقيه" [50]، وتعامله في كثير من الأحيان في تفسير الآية على وفق التفسير الإشاري.

إن إثبات الصبغة التجديدية في روح المعاني تظهر من جهات متعددة، ومنها تلك القوة في رد أقوال المخالفين لأهل السنة، وحاجة العراق إلى مضاهاة كتب ومصنفات الشيعة الذين يختلفون عن علماء السنة بظاهرة أرجعها بعضهم " إلى ربطها بمقام من التقدير الذي يحظى به أئمتهم والذي يضاهي مقام أئمة الدين الماضيين. فلم يكونوا يتقاصرون عن إظهار بحوثهم في العلم، واجتهاداتهم في الدين، ولا يحجمون عن وضع التآليف، وإبراز الآثار العلمية، بخلاف ما وقر في نفوس علماء السنة من تقاصر أمام مقامات السابقين، واكتفاء بالعكوف على مخلفاتهم من التصانيف يدرسونها ويشرحونها ويعلقون عليها، وكان مجال التنافس العلمي والتنازع المذهبي بين السنيين والشيعة الإمامية، مفتوحاً لأن يرمي هؤلاء أولئك بالقصور عن رتبتهم، مستدلين بكثرة تآليفهم وسمعتها وتوافرها، ومن شأن ذلك أن يحفز أهل الهمم، ولا سيما الذين كانوا يصلون منها نيران تلك المعارك الفكرية الحامية الوطيس، وخاصة ببلاد العراق، مثل الشهاب

الآلوسي، إلى أن يبرزوا من الآثار ما يكون ناطقاً بعلو كعبهم في العلم، وطول باعهم فيه بما يرى على ما يرميهم به منافسوهم من قصور أو تقصير [51]

ومنها أن فرصة ظهوره على فترة من انقطاع التأليف في التفسير، كان خلاصة مهمة للسابقين كالرازي (ت 606هـ) والبيضاوي (ت685هـ) والنسفي (ت 710هـ)، مرورا بالخازن (ت741هـ) وأبي حيان (745هـ) والجلال المحلي (ت 791هـ)، والنيسابوري (ت 850هـ)، والسيوطي(ت 911هـ) وصولا إلى الخطيب الشربيني (ت 977هـ) وأبي السعود (ت 982هـ)، وانقسام هذه النماذج بين الرأي والمأثور وغيرها من ألوان التفسير المشهورة حرص الآلوسي على تصنيف تفسيره مراعيا جميع هذه الألوان وناقدا وممحصا ومصححا على قدر ثبوت الدليل.

علاقات جامعة بين الرازي والآلوسي:

تفرض الحالة العلمية اللاحقة على السابقة نوعا من النظر بالاختصار أو الزيادة أو الشرح أو التلخيص أو التعقيب، ذاته الشأن في تفسير الآلوسي الذي جعل من تفسير الرازي مادة دسمة لتفسيره، حيث أكثر من التعقيب عليه بعد الاستدلال به، ولا داعي لذلك غير تلك القيمة التي يحملها الرازي في فكره وتصانيفه، ولا ننسى في هذا الطرح أنّ علاقة الألوسي بتفسير الرازي بدأت بدراسة مصنفاته أولا ووصلت إلى حد تعنيفه أحيانا في روح المعاني ساهمت في تخليص مفاتيح الغيب من تلك المسائل الفرعية الكلامية التي غيّبت فيه روحانية التفسير رغم حسن نية صاحبه في رعاية الحكمة القرآنية، ومع اشتراكهما في الاهتمام بكتب القدامى الفلسفية كابن سينا، فسيكون اتفاقهما في النقد والتعقيب ورعاية المسائل التي لا تخالف العقل والنقل واضحة في تفسيرهما.

سيكون الرازي محط نظر العديد من العلماء سواء باهتمامه الواسع بعلم الكلام، أو بمنهجه الرامي إلى توجيه قواعد المنطق وعلم الكلام، وذلك حين نعلم أن التاريخ يخبئ صراعا بين أعلام مسلمين يهتمون بالفلسفة لا يميلون إلى جمود الفقه بنظرهم، وبين آخرين يهتمون بالفقه أو الحديث لا يفضلون الاهتمام بما لا نفع فيه بنظرهم أيضا، ومن أبرز من وافق أهل الفقه والحديث شيخ الإسلام ابن تيمية الذي جعل من الرازي مثالا قائما في التدليل والاحتجاج، رغم الخلفية التاريخية التي اشترك فيها التتار مع الشيعة واتخذوهم خداما وعمالا

وجواسيسا [52]، وحاربوا أهل السنة بما يحملونه من ثقافات وشبهات وأفكار عدائية، وعليه فالردود العلمية التي شنّها ابن تيمية على الرازي كانت لأجل اهتمامه بمباحث نصرها الشيعة فكأنّ شيخ الإسلام جعل الرازي والشيعة في خط واحد من جهة تعاملهم بعلم الكلام.

أما الآلوسي فلا ينكر مكانة الرازي التي تجمع بين العقل والنقل رغم قلّة هذا الأخير بالنسبة له في مدونة الرازي" [53]، وعليه فلا فرق بين الآلوسي وابن تيمية في عدم استهداف شخص الرازي، بل لطريقة الرازي في عرض المسائل والقضايا الفلسفية وعلم الكلام، ورفق الآلوسي بالرازي كان رعاية لمعرفة حسن نية هذا الأخير، الذي تدرّج في تأسيس منهج قائم على تحصيل اليقين والحق من خلال الاستدلال الفلسفي، على خلاف الآلوسي الذي يجتهد في تحصيلهما دون الرجوع إلى المنطق، وبما تحتويه الأخبار الثابتة والأصول الشرعية المعروفة.

بين الرازي والآلوسي. جوانب الاشتراك ونقاط الافتراق.

أولا: مسائل الإشارة والتصوف:

أما الرازي فيرفض إقصاء التصوف من الفرق الإسلامية فيقول:" أنَّ أكثر من قصّ فرق الأمة لم يذكر الصوفية وذلك خطأ لأن حاصل قول الصوفية أنَّ الطريق إلى معرفة الله تعالى هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية وهذا طريق حسن" [54]، وعلى هذا الرأي سرى الجزَّار فيقول:"والحق أنَّ تخطئة الرازي لمؤرخي العقائد في عدم اعتبار الصوفية فرقة يصبح في اعتقادي حكما صحيحا من وجه أنَّ كل فرقة من الفرق الإسلامية تزعم أنها الفرقة الناجية كما جاء في منطوق الحديث [55]، لكن الملاحظ أيضا أنَّ الصوفية وإن كانوا لا يختصون برأي خاص بهم في مسائل العقيدة يغاير ما درج عليه أهل السنة والجماعة إلا أنهم أضفوا على بعضها خصوصية استمدوها ولا شك من منهجهم الذوقي" [56]، ولأن اعتمادهم على مبدأ معرفة الله تعالى على وفق قواعد عقائدية سليمة فهم يلتقون في ذلك مع الرازي الذي ظلّ إلى آخر حياته يؤكد أن جميع دراساته كانت طلبا لليقين فحسب، تماما كما هو ثابت في عنده في طلب الحقيقة" [57]

حاول الآلوسي التمسك بثقافته الصوفية في التفسير، وترجم ذلك في تلخيص تفسير السورة القرآنية بفقرة من النظر الصوفي الإشاري، [58]، وهو الطرح الذي جعل بعض الباحثين يصنفونه ضمن التفسير الصوفي، على خلاف من لا يعتبر هذا المنحى مقصودا بذاته، كالذهبي

الذي يجعله تفسيرا بالرأي المحمود، [59]، والآلوسي ذاته يحرص على الفصل بين معاني المتصوفة ومعاني غيرهم، ولا يرى في آراء المتصوفة دليلا قاطعا على معنى الآية التفسير، كل هذا يُفهم من خلال قوله:" وأما كلام السادة الصوفية في القرآن فهو من باب الإشارات إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، وذلك من كمال الإيمان ومحض العرفان لا أنهم اعتقدوا أن الظاهر غير مراد أصلا وإنما المراد الباطن فقط إذ ذاك اعتقاد الباطنية الملاحدة" [60]

لا تزال المقارنة بين الآلوسي والرازي قائمة حتى في هذا المسلك، وسنصادف في كتاب اعتقادات فرق المسلمين ما يدل على أن المعرفة الصوفية لا تؤدي إلى معرفة الله تعالى، ودليل هذا يظهر حين ينتقد الحلولية فيقول:"أنهم طائفة يرون في أنفسهم أحوالا عجيبة وليس لهم من العلوم العقلية نصيب وافر فيتوهمون أنه قد حصل لهم الحلول أو الاتحاد فيدعون دعاوى عظيمة وأول من أظهر هذه المقالة في الإسلام الروافض فإنهم ادعوا الحلول في حق أئمتهم" [61].

سيظهر جانب الاتفاق بين الرازي والآلوسي في مسائل الإشارة حين نعرف أن ابن عربي كان قاسما مشتركا في الاستدلال بينهما، فقد كان ابن عربي بفتوحاته مصدرا هاما في روح المعاني في بعض مسائل التصوف، وكان كتابه المسمى" الهو" محل انتقاد من الآلوسي أيضا واعتبره من جهالة المتصوفة" [62]، لكننا لا نصادف ابن عربي مصدرا في التفسير الكبير، بل نجده طرفا مقصودا بشخصه في مراسلة ابن عربي التي تحمل نُصحا بمنهج التفكير السليم، واعترافا بقوة التفكير والقدرة على التزامه، وهذا ما ورد في الرسالة حين يقول ابن عربي:" وقد وقفت على بعض تآليفك وما رزقك الله من القوة المتخيلة وما تتخيله من الفكر الجيد" [63]، وبعض الأبحاث تُنبُّه إلى أن سبب هذه الرسالة كانت أزمة فكرية ألمَّت بالرازي" [64]، رغم أن الرسالة لا تحمل ما يُفيد هذه الأزمة، فلعلّ تمسك الرازي بالربط بين العقائد وقواعد أهل الكلام جعله يرجع عن اعتقاد كان يؤمن به في إحدى المسائل مدة ثلاثين سنة ثم تبين له دليل خلافها [65]، وعليه أورد بن عربي إرشادات في معاني الأسماء والصفات وربطها بالمشاهدة [66]، كما أورد فيها من معاني التصوف والمناجاة ما يدل على دفع ظاهر لاتقان المعرفة الإلهية دون وسائط" [67]، تشمل الرسالة من جانب آخر وجهة نظر ابن عربي التي لا يرى من خلالها الوصول إلى العقائد والمعارف الإلهية

بالطرق النظرية [68]، بل بطريق الرياضات والمجاهدات والخلوات التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم" [69]

إذا اجتهدنا في اعتبار معنى مصطلح الطرق النظرية هو طرق علم الكلام، فسيكون ابن عربي قد اتخذ طريقا ثالثا بين الرجلين، فالرازي يجمع بين العقائد وعلم الكلام، والآلوسي يفصل بينهما، فإن ابن عربي يربطها بالتصوف وأسماها بالمعرفة الإلهية، ويبدو أن اعتراضه على منهج الرازي يحمل أيضا نُصحا بتغيير المنهج إلى ربط العقائد بقواعد الحكمة، واعترافه بقدراته الفكرية على ذلك، ويبدو أن ابن عربي قد أثّر في المنهج التفكيري للرازي حين صرّح في وصيته الأخيرة إنكاره التعامل بالطرق الكلامية، وبالعودة إلى بدايات التصنيف عند الرازي فقد حرص على جمع الجهود الفكرية والعلمية للمتقدمين والمتأخرين والمقارنة بينها وجمعها في كتابه " محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين"، فيبدو واضحا أن هذه البداية كان لها أثرها في منهجه الذي اختطّه لنفسه، وكان هذا المنهج محصلا بدوره لأفكاره المتقدمة والمتأخرة

ثانيا: الشيعة:

لقد كان من أساسيات منهج الشيعة في محاربتهم لأهل السنة اعتمادهم على علم الكلام، وكان هذا المنهج محط انتقاد من ابن تيمية الذي لم يفرق بينهم وبين الرازي في مناهج الفلسفة وعلم الكلام، وكانوا أيضا دافعا في تأليف روح المعاني حين عمدوا إلى تقوية الجانب الروحي والعقائدي عن طريق بناء المزارات وإضافة التآليف والمصنفات، مما دفع بالآلوسي إلى وضع التفسير مجابها لما تحيكه الشيعة.

ثالثا: المنهج العقدي:

يتفق منهج الرجلين في اتباع الأشاعرة، ويبدو أن الرازي احتل مرتبة محمودة في النهج الأشعري من خلال منهجه التجديدي، باعتبار نظرته غلى مسائل علم الكلام والفلسفة والمنطق وعلاقتها بالعقائد، ويمكن اعتبار الآلوسي باستدراكاته على الرازي مجددا للمباحث من خلال إعادة تأهيلها وإبعادها عن مسائل الفلسفة التي أبعدت التفسير عن الجانب الروحي المطلوب،

وربطها بالمأثور والحديث النبوي الشريف حتى اعتبر عند الباحثين مجددا للسنة ومصححا للمرويات والآثار، وباحثا عن إجماع الأصوليين والفقهاء.

وأخيرا يمكن اعتبار الاتفاق في الانتماء العقدي غير مانع في اختلاف المناهج والفرعيات، وقد اتفق الرجلان على مخالفة الأشاعرة في كثير من القضايا والمسائل كما هو ثابت في التفسير الكبير وروح المعاني.

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة يمكن الإقرار أن القدرة على التجديد تنطلق أساسا من الأرضية التي يمتلكها الشخص، فإذا كان الرازي قد أفاد من كتابات سابقيه ومعاصريه حول علم الكلام وطبٌّها في دراسة العقائد، فإن الآلوسي قد أفاد من دراسة سابقيه أيضا خاصة التفاسير التي وظّف منها في تفسير أغلب ما ثبت منها، نكاد لا نجد فرقا بين الرجلين في قمة التفكير والإبداع والتقرير والتأصيل، ونعتقد أن الاحترام الذي لاقاه الرازي عند الآلوسي، كان هذا الأخير سيلقاه عند الرازي لو اتفقا في العصر والزمن، ولم تزل تلك الكتابات التي حقّقت في منهج الرجلين تشهد على ما قدماه للمكتبة العربية والإسلامية، بل نعتقد أن كل قراءة جديدة لفكر الرجلين ستُقدّم إضافة معرفية في واحد من فنون العلم.

نكاد نتسرّع في الحكم على السبكي في الطبقات بالمغالاة والمبالغة حين يقول أن الرازي قد انتظمت بِقَدرِهِ الْعَظِيم عُقُود الْملَّة الإسلامية وابتسمت بدره النظيم ثغور الثغور المحمدية تنوع فِي المباحث وفنونها وترفع فَلم يرض إِلَّا بنكت تسحر ببيوتها وأتى بجنات طلعها هضيم وكلمات يقسم الدَّهْر أَن الملحد بعْدهَا لَا يقدر أَن يضيم، لكن هذه المسحة المتأنية المتواضعة جعلتنا نؤمن أن السبكي لو وجد أحسن من هذا وصفا للرازي لفعل، ولن يقلَّ شأن الآلوسي عن هذا الوصف شيئا.

لقد ساعدت تلك التأصيلات التي قدّماها في تصور قدرة العقل في استغلال مساحة التفكير الواسعة، ويُفيدنا هذا في أن المباحث لا تتقادم بتقادم الزمن، فبين الرجلين زمن واسع

خاضت فيه الأمة الإسلامية مخاضا صعبا في عديدٍ من القضايا، كان بعضها امتحانا حقيقيا، لم تسلم أحيانا إلا بفكر ثاقب كالذي دارسناه في هذه الورقات، فخدمة العلم لا تقف عند حد الإفادة الذاتية فحسب بل تُنتج المعرفة أيضا، وتُقدّم العقل العربي والإسلامي عقلا قابلا للتطور والتجديد في مختلف الظروف، فإن كانت قاسية كان تحدٍ، وإن كانت ملائمة فهو إرادة.

لن تقف بدورها هذه الدراسة عند هذا الحد دون اعتبار التفسير الكبير وروح المعاني من أكثر التفاسير حركية وجدية، وأغناها من جهة المعارف، ونعتقد أنّها مصدر لعديد من القضايا التي شغلت العقل الحديث في مختلف فنون العلم، فيفيد منهما المتكلم والنحوي والبلاغي والمحدّث والأديب والمفسر والأصولي، وما غاب في أحدهما وجدناه في الآخر، من جهة التتميم والاكمال أو الاستدراك والتعقيب أو الإبداع والابتكار.

مصادر البحث ومراجعه:

1. الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، 1994
2. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق، صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ،
3. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق ممد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1420هـ، 2000،
4. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1414هـ، 1994م، ج 4،
5. ابن خلدون، المقدمة، تحقيق، خليلي شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408هـ، 1988م، الفصل العاشر من الباب السادس من الكتاب الأول، ج1،
6. الذهبي محمد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة،

7. الرازي كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق، علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1319هـ، 1902م
8. الرازي فخر الدين ، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، وبذيله كتاب تلخيص المحصل للطوسي، تقديم طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، الصنادقية، الأزهر، ب ط، ب ت.
9. الرازي فخر الدين ، المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات، مطبعة مجلس دائرة المعارف، الهند، ط&.
10. الرازي فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، 1999م.
11. الفخر الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ب د ط.
12. الزرقاني عبد العظيم، مناهل العرقان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، تحقيق، مكتب البحوث والدراسات، ط1، 1424هـ 2004م
13. الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين ط15، 2000
14. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1، 1376هـ،1957م.
15. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999.
16. الشهرستاني الملل والنحل ، تحقيق : محمد سيد كيلاني، الناشر : دار المعرفة – بيروت ، 1404.
17. الصفدي خليل الدين، الوافي بالوفيات، تحقيق، احمد الأرناؤوط وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ، 2000م.
18. الطوفي، نجم الدين سليمان بن عبد القوي، كتاب الإكسير في علم التفسير، تحقيق، عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 1397هـ،1977م.

19. بن عربي، رسالة الشيخ الأكبر إلى فخر الدين الرازي، مخطوط.

المراجع:

1. تامر عارف ، مناظرات فخر الدين الرازي في بلاد ما وراء النهر، ب ط.
2. الجزار أحمد محمود، فخر الدين الرازي والتصوف، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 2000.
3. الحمداني طارق نافع، مقال طبيعة الحركة الفكرية، ضمن أعمال موسوعة "حضارة العراق" نزار الحديثي وآخرون، ، دار الجيل، بيروت، ج11، 1985
4. دغيم سميح ، موسوعة مصطلحات الإمام فخر الدين الرازي، مكتبة بيروت لبنان، ناشرون، ط1، 2001.
5. العريبي محمد، المنطلقات الفكرية عند الإمام فخر الدين الرازي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992م.
6. بن عاشور محمد الفاضل ، التفسير ورجاله، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، 1390هـ، 1980م.
7. القطان مناع، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، بيروت، ط3، 1421هـ، 2000م.
8. كحالة رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثني، دار إحياء التراث العربي، بيروت
9. يحي عثمان، مؤلفات ابن عربي، تاريخها وتصنيفها، ترجمة أحمد بن محمد الطيب، دار الصابوني، دار الهداية، ط1، 1413هـ،1992م.

---

[1]. سميح دغيم، موسوعة مصطلحات الإمام فخر الدين الرازي، مكتبة بيروت لبنان، ناشرون، ط1، 2001، ص 12

[2]. المرجع نفسه، ص 10.

[3] . الإِمَامُ العَلاَّمَةُ، أَوْحَدُ المُتَكَلِّمِيْنَ، مُقَدَّمُ الأُصُوْلِيين، القَاضِي، أبو بكر محمد بن الطيب ابن مُحَمَّد بنِ جَعْفَرِ بنِ قَاسِم البَصْرِيُّ ، ابْنُ البَاقلاَّنِيِّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْف .سَمِعَ: أَبَا بَكْرٍ أَحْمَدَ بن جَعْفَرٍ القَطِيْعِيِّ، وَأَبَا مُحَمَّد بن مَاسِي، وَطَائِفَة.كَانَ ثِقَةً إِمَاماً بَارِعاً، صَنَّفَ فِي الرَّدِّ عَلَى الرَّافِضَة، وَالمُعْتَزِلَة، وَالخوَارِج وَالجَهْمِيَّة وَالكَرَّامِيَّة، وَانْتَصَرَ لطَرِيْقَة أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيّ، وَقَدْ يُخَالِفُهُ فِي مَضَائِق، فَإِنَّهُ مِنْ نُظَرَائِه، حَدَّثَ عَنْهُ: الحَافِظُ أَبُو ذَرّ الهَرَوِيُّ، وَأَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ السِّمْنَانِي، وَقَاضِي المَوْصِل، وَالحُسَيْنِ بن حَاتِم الأُصُوْلِيّ.مَاتَ فِي ذِي القَعْدَة، سَنَةَ ثَلاَثٍ وَأَرْبَعِ مائَة/ الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ/2006م، ج13، ص 11

[4] . الإِمَامُ الكَبِيْرُ، شَيْخُ الشَّافِعِيَّة، إِمَامُ الحَرَمَيْن، أَبُو المَعَالِي، عَبْدُ المَلِك ابْنُ الإِمَام أَبِي مُحَمَّد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يُوْسُفَ بن مُحَمَّد بن حَيُّوْيَه الجُوَيْنِيُّ، ثُمَّ النَّيْسَابُوْرِيُّ، ضِيَاءُ الدِّيْن، الشَّافِعِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْف.وُلِدَ فِي أَوّل سَنَة تِسْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِ مائَة.وَسَمِعَ مِنْ أَبِيْه، وَأَبِي سَعْد النّصروبي، وَأَبِي حَسَّان مُحَمَّد بن أَحْمَدَ المُزَكِّي، وَمَنْصُوْر بن رَامش، وَعِدَّة. وَقِيْلَ: إِنَّهُ سَمِعَ حُضُوْراً مِنْ صَاحِب الأَصَمّ عَلِيّ بن مُحَمَّد الطَّرَازِيّ.رَوَى عَنْهُ: أَبُو عَبْد الله الفُرَاوِيّ، وَزَاهِرٌ الشَّحَّامِيُّ، وَأَحْمَدُ بنُ سَهْلٍ المَسْجِدِيّ، وَآخَرُوْنَ. تُوُفِّيَ فِي الخَامِس وَالعِشْرِيْنَ مِنْ رَبِيْع الآخِر، سَنَة ثَمَانٍ وَسَبْعِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَة/ الذهبي، المصدر السابق، ج14، ص 17

[5] . العربي محمد، المنطلقات الفكرية عند الإمام فخر الدين الرازي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992م ، ص 22

[6] . ابن خلدون، المقدمة، تحقيق، خليلي شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408هـ، 1988م، الفصل العاشر من الباب السادس من الكتاب الأول، ج1، ص 590.

[7] . المرجع نفسه، ص 15. ويوافقه على هذا التاريخ محمد العربي، المرجع السابق، ص 40.

[8] . ابن خلدون، ج1، ص 590.

[9] . ورد هذا التعبير لأن موضوع علم الكلام عند أهله يتعلق بالعقائد الإيمانية.

[10] . ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص 653،

[11] . محمد العربي، المرجع السابق، ص 23.

[12]. فخر الدين الرازي، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، وبذيله كتاب تلخيص المحصل للطوسي، تقديم طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، الصنادقية، الأزهر، ب ط، ب ت، ص 15.

[13] . ينتمي الرازي إلى المذهب الأشعري لذلك يعبر أحيانا في مخالفتهم في هذا الكتاب بقوله أصحابنا أو قوله "منا"، بعد ذرك الأسماء، وقد يقصد به في بعض إطلاقاته مذهب الشافعية، ومثاله مخالفته لإمام الحرمين الجويني في وجود مرتبة الحال بين الموجود والمعدوم وهو على خلافه، / الرازي، المحصل، ص 60.

[14] . سميح دغيم، المرجع السابق، ص 19.

[15] . من قضايا العقيدة وفحواها الواجب بذاته، وواجب الوجود معناه ضروري الوجود، وممكن الوجود معناه ليس فيه ضرورة لا في وجوده ولا في عدمه/ الشهرستاني الملل والنحل ، تحقيق : محمد سيد كيلاني، الناشر : دار المعرفة – بيروت ، 1404، ج2، ص 172

[16] . فخر الدين الرازي، المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات، مطبعة مجلس دائرة المعارف، الهند، ط&، ج2ن ص 451.

[17]. المصدر نفسه، ص 363.

[18] . العربي، المرجع السابق، ص 65.

[19] . سميح دغيم، المرجع السابق، ص 20.

[20] . الصفدي خليل الدين، الوافي بالوفيات، تحقيق، احمد الأرناؤوط وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ، 2000م، ج4، ص 179.

[21] . ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص 249.

[22] . أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق، صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، ج1، ص 548.

[23] . مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، بيروت، ط3، 1421هـ، 2000م، ص 378.

[24] . الزرقاني عبد العظيم، مناهل العرقان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، تحقيق، مكتب البحوث والدراسات، ط1، 1424هـ 2004م، ج2، ص 96

[25] . فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، 1999م، ج10، ص 110

[26] . الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1، 1376هـ،1957م، ج1، ص 36

[27] . محمد الفاضل بن عاشور، التفسير ورجاله، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، 1390هـ، 1980م، ص 72

[28] . بن عاشور، المرجع السابق، ص 89.

[29] . الرازي، مفاتيح الغيب، ج14، ص 274.

[30] . الطوفي، نجم الدين سليمان بن عبد القوي،كتاب الإكسير في علم التفسير، تحقيق، عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 1397هـ،1977م، ص 55

[31] . الرازي، مفاتيح الغيب، ج2، ص 392

[32] . المصدر نفسه ج26، ص 377

[33] . سمى الرازي في تفسيره أهل الحكايات في قصة سليمان بأهل الحشو/ الرازي، المصدر نفسه، ج26، ص 392م

[34] . الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، 1994، ج1، ص 4

[35] . هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، (481 - 542 هـ = 1088 - 1148 م) مفسر فقيه، أندلسي. عارف بالأحكام والحديث، له شعر. ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين، وتوفي بلورقة. له (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - خ) في عشر مجلدات، توفي سنة 541هـ أو 546هـ/ الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين ط15، 2000 ، ج3، ص 282

[36] . محمد بن حيان (654 - 745 هـ) التوحيدي، الأندلسي،أديب، نحوي، لغوي، مفسر، محدث، مقرئ، مؤرخ، اخذ القراءات عن بن الطباع والعربية عن أبي الحسن الإبذي وغيره، وسمع الحديث من نحو 450 شيخا، واخذ عنه السبكي و الإسنوي وتولى تدريس التفسير والإقراء وتوفي بالقاهرة في 18 صفر،.من تصانيفه الكثيرة البحر المحيط في تفسير القرآن، تحفة الأديب بما في القرآن من الغريب/ رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج2، ص 59

(37) . أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، ولد سنة 467هـ الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، تشد إليه الرحال في فنونه. أخذ النحو عن أبي مضر منصور، من تصانيفه، الكشاف "في تفسير القرآن العزيز، لمحاجاة بالمسائل النحوية "و" المفرد والمركب، وضالة الناشد والرائض في علم الفرائض، كان قد سافر إلى مكة، وجاور بها زماناً، فصار يقال له "جار الله "، كان معتزليا، توفي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، بجرجانية خوارزم/ الزركلي، المصدر السابق، ج5، ص 168

(38) . أبو السعود (898 – 982 هـ = 1493 – 1574 م) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود: مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين. ولد بقرب القسطنطينية، ودرس في بلاد متعددة، تقلد القضاء في القسطنطينية، وأضيف إليه الإفتاء سنة 952 هـ. من كتبه التفسير المسمى إرشاد العقل السليم إلى مرايا الكتاب الكريم تحفة الطلاب في المناظرة/ الزركلي، المصدر السابق، ج7، ص 59

(39) . هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير ناصر الدين البيضاوي صاحب تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل وكتاب الطوالع والمصباح في أصول الدين والغاية القصوى في الفقه والمنهاج في أصول الفقه ومختصر الكشاف في التفسير كان إماما مبرّزا نظّارا صالحا متعبدا زاهدا، ولي قضاء القضاة بشيراز ودخل تبريز وناظر بها، توفي سنة 685هـ، 1286 م/ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999، ج4، ص 325،

(40) . أفرد لترجمته المبحث الأول كاملا وهو صاحب التفسير المعني بالدراسة.

(41) . الذهبي محمد حسين،التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، ج1، ص 253

(42) . طارق نافع الحمداني، مقال طبيعة الحركة الفكرية، ضمن أعمال موسوعة "حضارة العراق" نزار الحديثي وآخرون، ، دار الجيل، بيروت، ج11، 1985ص 109

(43) . المقال نفسه، ص 109

(44) . الجلال السيوطي(849 – 911 هـ = 1445 – 1505 م) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب.له نحو 600 مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة.نشأ في القاهرة يتيما (مات والده وعمره خمس سنوات) ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، منزويا عن أصحابه جميعا، تفسير الجلالين، وهو مطبوع بهذا العنوان إضافة إلى الجلال المحلي/ الزركلي، المصدر السابق، ج3، ص 301

(45) . هو محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين: فقيه شافعي، مفسر. من أهل القاهرة. من تصانيفه تفسيره المسمى السراج المنير، توفي سنة 977 هـ، – 1570 م/ الزركلي، المصدر نفسه، ج6، ص6

(46) . الآلوسي، روح المعاني ، ج1، ص 27

(47) . المصدر نفسه، ج12، ص 110

(48) . بن عاشور، المصدر السابق، ص 118

(49) . المصدر نفسه، ص 119

(50) . الآلوسي، روح المعاني، ج1، ص 14

(51) . بن عاشور، المصدر السابق، ص 130.

[52]) . منهم نصير الدين الطوسي، (597 - 672 هـ = 1201 - 1274 م) محمد بن محمد بن الحسن، أبو جعفر، نصير الدين الطوسي: فيلسوف. كان رأسا في العلوم العقلية، علامة بالرياضيات. علت منزلته عند (هولاكو) فكان يطيعه فيما يشير به عليه. ولد بطوس (قرب نيسابور) وابتنى بمراغة قبة ورصدا عظيما، واتخذ خزانة ملاها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة، اجتمع فيها نحو أربعمائة ألف مجلد، وقرر منجمين لرصد الكواكب وجعل لهم أوقافا تقوم بمعاشهم. وكان (هولاكو) يمده بالأموال.وصنف كتبا جليلة منها: منها (شكل القطاع) يقال له، و (تحرير أصول اقليدس) و (تجريد العقائد) يعرف بتجريد الكلام، و (تلخيص المحصل) مختصر المحصل للفخر الرازي، و(حل مشكلات الإشارات والتنبيهات لابن سينا) و (شرح قسم الإلهيات من إشارات ابن سينا، وغيرها/ الزركلي، المصدر السابق، ج7، ص 30

([53]. الآلوسي، روح المعاني، ج10، ص 320

([54]. الفخر الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص 73

[55]. المقصود هو الحديث المروي عن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ أَوِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَالنَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً » قال الترمذي وَفِى الْبَابِ عَنْ سَعْدٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَعَوْفِ بْنِ مَالِكٍ. قَالَ أَبُو عِيسَى حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ/ الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1ن 1420هـ، 2000، ج3، ص 53

([56]. أحمد محمود الجزار، فخر الدين الرازي والتصوف، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 2000، ص 16.

([57]. محمد العريبي، المرجع السابق، ص 38.

([58]. ويسمى التفسير الفيضي وهو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك.

([59]. الذهبي محمد حسين، المرجع السابق، ج1، ص 256

[60]. الآلوسي، روح المعاني، ج1، ص 8

[61] . الرازي، الاعتقادات، ص 73

[62]. الآلوسي، روح المعاني، ج1، ص 70

([63]). بن عربي، رسالة الشيخ الأكبر إلى فخر الدين الرازي، مخطوط، لوحة 1

[64] عثمان يحي، مؤلفات ابن عربي، تاريخها وتصنيفها، ترجمة أحمد بن محمد الطيب، دار الصابوني، دار الهداية، ط1، 1413هـ،1992م، ص 338

[65]. ذكر بن عربي هذه القضية لكنه لم يحدد عين المسألة/ اللوحة 3

[66] . بن عربي، الرسالة، لوحة 4

[67] . الرسالة، لوحة 2

[68] . يحمل مصطلح الطرق النظرية معنى قواعد أهل الكلام.

([69]. بن عربي، الرسالة، اللوحة 3

دور العلوم الاجتماعية

في تحقيق التنمية

الدكتورة ملوكي جميلة، جامعة تيارت

الملخص:

تلعب العلوم الاجتماعية دورا هاما في تحقيق أهداف تنموية، وفي تفعيل وحراك العمليات التنموية، من خلال تقديم أفضل ما يحتاجه المجتمع من مختصين في مجالات مختلفة ونواحي شتى، ظف إلى دالك مختلف المراكز الأساسية للبحوث العلمية و التطبيقية . التي يصعب من دونها إحداث أي تقدم اقتصادي أو اجتماعي حقيقي يتماشى والاتجاهات الاجتماعية والفكرية المعاصرة، ولا يمكن أن تتحقق هذه الأهداف وتؤدي دوراها الكامل في التغيير الاجتماعي والتنموي، إلا إذا تم تحقيق التفاعل بين الفرد من ناحية والبيئة الاجتماعية من ناحية أخرى، إذ لا يمكن في أي حال من الأحوال عزل الجامعة عن المجتمع وعن المشاريع التنموية، وأي خلل في هذه التركيبة يسفر عنه تفكك في بنيات المجتمع.

سوف نحاول أن نعالج من خلال هذا الطرح، الدور المهم الذي تلعبه العلوم الاجتماعية بمختلف تخصصاتها في تحقيق التوازن الاجتماعي.

ومن بين التساؤلات الملحة التي تفرض نفسها:

هل تخلص المجتمع الجزائري من دوامة العشوائيات، متبنيا مخططات الفكر التنموي؟ وما مدى حضور الفكر الاجتماعي في المشاريع التنموية؟

الكلمات المفتاحية: العلوم، الاجتماعية، الأهداف، التنمية.

1 – المقاربة المفاهيمية للدراسة:

- ماهية العلوم الاجتماعية:

للعلوم الاجتماعية أهمية بالغة في حياة الشعوب وتطورها والسؤال المنطقي الذي يتبادر إلى الأذهان عند أول وهلة هو: ما هي العلوم الاجتماعية؟ وما المقصود بالاجتماعية؟

وهو تساؤل إجابته واسعة وشاسعة تتعدى هذا المقال خاصة وأنها في صيغة الجمع، جمع علم.

لغة: العلم حسب قاموس نور الدين الوسيط عربي/عربي " العلم هو إدراك الشيء بحقيقته. العلم هو اليقين والمعرفة والإدراك. العلم: معالجة الأشياء المحسوسة وذلك بإعادتها إلى عناصرها الأساسية وإعادة تركيبها ودراسة خصائصها وكل ما يتعلق بها".[1]

اجتماعي: " ما نسب إليه الاجتماع أو تعلق به، اجتماعي: الكائن البشري المنخرط في مجتمعه والمختلط بالناس والمنفتح على الحياة العامة"[2].

اصطلاحا: هناك تعاريف عديدة للعلوم الاجتماعية ومتفاوتة ولكنها كلها تقريبا ترمي إلى معنى واحد مفاده أن العلوم الاجتماعية "تتناول دراسة الإنسان في ذاته وفي علاقته بغيره من الناس من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وهي دراسة تاريخية مقارنة تحليلية تفسيرية"[3].

إن المتتبع لتعريف العلوم الاجتماعية عند العرب القدماء يجد ان مصطلح العلوم الاجتماعية غير وارد في الثقافة الاجتماعية العربية لفظا وإنما أشير إليه من خلال علم العمران البشري الذي يشهد كل علماء العرب وغير العرب بأسبقية ابن خلدون في تأسيسية و تأصيله ووضع أسسه المعرفية والمنهجية والموضوعاتية، وقد لامس كل العلوم الإنسانية والاجتماعية من علم الاجتماع وعلم النفس وعلم السياسة والجغرافيا وعلم الديانات والفلسفة وعلم الأخلاق وغيرها من العلوم التي اصطلح الغربيون على تسميتها بصورة عامة و شاملة بالعلوم الاجتماعية. أما عند العرب المحدثين فتعريف العلوم الاجتماعية لا يكاد يختلف عما رسمه الفكر الغربي تقريبا، حيث نجد أن معظم التعاريف تصبو إلى أن العلوم الاجتماعية هي تلك "العلوم العقلية أو الثقافية التي تتعلق بأنشطة الفرد كعضو في الجماعة"[4].

وإنما الاختلاف في التخصصات والعلوم التي تندرج تحت اسم العلوم الاجتماعية فمن المختصين من اقتصر على علم الاجتماع، وعلم النفس والأنثروبولوجيا في حين البعض الأخر أضاف لها علم السياسة والبعض الأخر أضاف لها التاريخ. في حين أن دائرة المعارف الأمريكية قد أضافت للعلوم الاجتماعية تخصصات معينة مثل: الاقتصاد والقانون والجغرافيا"[5].

ورغم تداخل الأقسام والتخصصات يبقى الهدف الوحيد من العلوم الاجتماعية هو دراسة الإنسان في علاقته مع أترابه أي ككائن اجتماعي مؤثر ومتأثر بعوامل خارجية ثقافية

واقتصادية وسياسية ونفسية وغيرها من العوامل. فالإنسان جوهريا كائن ثقافي، ولقد تمثلت أساسا صيرورة الأنسنة التي انطلقت منذ ما يناهز الخمسة عشرة مليون سنة في المرور من تأقلم وراثي مع المحيط إلى تأقلم ثقافي"[6].

وعلى العموم فإن العلوم الاجتماعية باختلاف تخصصاتها وفي مختلف أقطار المغرب العربي جاء متأخرا ودخوله أو حضوره في المنظومات التعليمية العربية كان يعتمد أساسا على عملية الترجمة حيث أنه حتى بداية سنوات الثمانينات كانت العلوم الاجتماعية والانسانية تدرس في الجامعات المغاربية باللغة الفرنسية " الفلسفة والتاريخ كانا يدرسا في الجزائر منذ 1969، في حين أن العلوم الاجتماعية الأخرى مثل علم الاجتماع وعلم النفس والحقوق والعلوم الاقتصادية ظلت تدرس باللغة الفرنسية حتى سنة 1984. حيث تم تعريبها، في حين الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا والأثنوجرافيا كانت غائبة ومحذوفة من برامج التعليم العالي".[7]

وخلاصة القول أن العلوم الاجتماعية في الجامعات المغاربية جاء متأخرا حيث كان يعتمد على عملتي التعريب والترجمة ورغم ذلك لقد تطور في هذه المجتمعات و تشكلت فيه فرق بحث تكلفت بالرسالة التعليمية في العلوم الاجتماعية.

2ماهية التنمية:

يعد مصطلح التنمية من المصطلحات ذات المعاني الواسعة التي يصعب تعريفها بشكل محدد وذلك لاتساع استخدام المفهوم وتطور ذلالته وتعدد مجالاته.

فالتنمية هي النمو المقصود الذي يتحقق بواسطة المجهودات المخططة والمنظمة والتي يقوم بها الأفراد والجماعات لتحقيق أهداف معنية.[8]

وهي تعتمد على الجهد المنظم المشترك لكافة جوانب الحياة في مختلف صورها وأشكالها بهدف إحداث تغيرات عميقة وشاملة ويعرفها عبد الباسط محمد حسن بأنها " إشباع لحاجان الإنسان عن طريق إصدار التشريعات ووضع البرامج الاجتماعية التي تقوم بتنفيذها الهيئات الحكومية"[9]

حيت تم الإشارة إلى أن أهم شروط التنمية يكون عن طريق أسس فكرية وثقافية متينة.

هذه الفكرة كانت قد طرحت في كتاب العالم الأمريكي جون ديوي (Johon Dewey) المسمى "المدرسة والمجتمع" والذي يبرز مكانة التعليم في تطور المجتمعات وإحداث التنمية حيث يقول: "أن التقدم الاجتماعي اليسير لا يمكن أن يحدث في مجتمعات العالم إلا إذا رافقته تطور العلوم ونشوء المجتمعات اقتصاديا، لذلك يجب أن تتطور النظم التعليمية بشكل ملائم"[10].

وهي الفكرة التي تقوم عليها عملية التنمية، حيث أنه لا يمكن لأي مجتمع من المجتمعات الوصول إلى مستوى التطور التكنلوجي المطلوب والنمو الاجتماعي الذي يحقق السعادة والرفاهية لجماعاته إلا إذا استبقه النمو الاقتصادي وهذا الأخير لا يمكن أن يحدث إلا حدث تطور نوعي في العلم ومنه تطوير العلم والنظم التربوية من أجل تنمية العنصر البشري واستثماره بعد تأهيله وتدريبه وتوجيهه لتنمية المجتمع ككل.

وتتضمن عملية التنمية بشكل عام مجموعة من الشروط والمبادئ الهامة نذكرها فيما يلي بإيجاز ونعود إليها في عناصر لاحقة وهي كالتالي:

-الشروط البيئية: تعتبر البيئة عامل مساعد أو معوق لنجاح السياسات التنموية، وتتسع البيئة لتشمل البيئة السياسية والبيئة الاقتصادية والبيئة الاجتماعية والبيئة الطبيعية.

-الشروط الاجتماعية: وتفيد استعداد الأفراد للتكيف مع التطورات التكنولوجية وقدرتهم على تحديث مؤسسات المجتمع والانتقال من الطابع التقليدي إلى الطابع الحديث.

-الشروط المؤسسية: وتشمل المؤسسات الحكومية والمجالس المحلية والجمعيات المحلية والمؤسسات القضائية، وهذه المؤسسات تتيح لأفراد فرصة الاندماج والمشاركة في الجهود الوطنية.[11]

أما أهم المبادئ التي تتماشى وفلسفة التنمية هي كالآتي:

- ❖ مشاركة أفراد المجتمع في التنمية
- ❖ التكامل الاجتماعي والتنسيق بين برامج التنمية
- ❖ الوصول إلى نتائج ملموسة لها أثرها على تنمية المجتمع
- ❖ الاعتماد على الموارد المحلية
- ❖ التوازن بين برامج التنمية
- ❖ التنسيق بين الأجهزة والمساعدة الفعالة من الجهات الحكومية

- ❖ الاستعانة بالخبراء
- ❖ تنظيم العمليات، الدراسات التجارب والتقويم
- ❖ الاستعانة بالجمعيات الأهلية وتشجيع وتدريب الإطارات المحلية للقيام بدورهم في المشروعات.
- ❖ تنشيط أجهزة الحكم المحلي
- ❖ الاعتماد على مساهمة المرأة والشباب في مشروعات المجتمعات المحلية[12]

والمتتبع لهذه الشروط والمبادئ المساهمة في إحداث التنمية يلاحظ أنها تبدي عناية خاصة لإنسان من حيث أنه يجب النظر إليه على أنه موضوع عملية التنمية وليس مجرد أداة، وحتى يكون الأمر كذلك بدأت الاستراتيجيات الحديثة للتنمية تبدي عناية خاصة بمظاهر التضامن الاجتماعي والتعاون المباشر والغير المباشر والجهود الذاتية التي تقوم بها الجمعيات الشعبية والمنظمات الغير الحكومية وكل مكونات المجتمع المدني.

ومن هنا فإن الاتجاه الحديث للتنمية يستند على قاعدتين أساسيتين تتمثل الأولى في رفع من المستوى المادي لإنسان.

بينما تركز الثانية على اكتشاف الإبداع الإنساني وفاعليته.

3.علاقة التنمية بالتعليم العالي:

أدت التحولات السريعة والمتلاحقة في عالمنا المعاصر إلى بروز مفاهيم جديدة حول الدور الذي يمكن أن يلعبه الأفراد والمؤسسات في عملية التنمية المستدامة.

والتي كما رأينا في العنصر السابق أنها تركز على العنصر البشري وإعداده وتأهليه وتدريبه علميا ومعرفيا ليساهم في عملية النهوض بالمجتمع وتطويره في جميع مجالات الحياة.

ولاشك أن للتعليم العالي دور أساسي في تحقيق هذه المعادلة الصعبة في زمن تحولت فيه المجتمعات من طبيعتها الصناعية إلى ما يسمى بما بعد الحداثة حيث الفكر وإنتاج المعرفة والابتكار في مجال العلم والتكنلوجيا شرط أساس لتحقيق تنمية بشرية حقيقية وفعالة.

ونشير في هذا الصدد إلى أنه لا يمكن في أي حال من الأحوال إنكار مجهودات الجامعة العربية بصفة عامة والحكومات بصفة خاصة بقطاع التعليم العالي من حيث البناءات

والتجهيزات والتدعيمات المادية والمعنوية المتواصلة "فالمشهد الجامعي العربي هو مشهد حي متحرك باستمرار من حيث التدشينات اليومية هنا وهناك من مساحة الوطن العربي لعدد من الجامعات ومراكز التعليم العالي...ناهيك عن عدد الطلبة الذين يتخرجون سنويا حاملين شهادات علمية في اختصاصات مختلفة"[13]

إلا أن ذلك لا يحقق درجة عالية من الانسجام والتوافق بين متخرجين من التعليم العالي وحاجات المؤسسات أو سوق العمل ، وحتى إن حقق ذلك فإن معايير الجودة والكفاءة المهنية العالية لذى خريجي الجامعات تبقى ضعيفة جذا، لا تلبي احتياجات سوق العمل أو احتياجات القطاع الخاص والمؤسسات . وترجع الدراسات والأبحاث ضعف المواءمة ما بين مخرجات التعليم العالي واحتياجات سوق العمل إلى:

"انخفاض الكفاءة النوعية لمؤسسات التعليم العالي التي من مؤشراتها :

-تدني التحصيل المعرفي والتأهيل التخصصي وضعف القدرات التحليلية الابتكارية والتطبيقية، والقصور في تعزيز القيم والاتجاهات الإنتاجية

-إضافة إلى انخفاض الكفاءات الخارجية من حيث الكمية والنوعية

سوق العمل مع وجود عجز وطلب في تخصصات أخرى"[14]

إن التعليم العالي بكافة أشكاله وأنواعه والمتمثل بالدرجة الأولى بين الجامعات مُطالبا الآن وهو بحاجة ماسة إلى تعليم نوعي متطور يتوافق وحاجة المجتمع ويكون مهيأ لتدريس خرجيه على أساس التحكم في المعلومات والمفاهيم والقضايا المطروحة أمامهم وتمكينهم من استعمال الاجهزة والادوات بطرق علمية سليمة ومتقنة.

-إن الاستثمار الحقيقي لمشروع التنمية يتمحور حول الإنسان كرأس مال بشري من خلال استثمار قدراته وخبراته وتحويلها إلى مردود ملموس يعود بالنفع على الفرد والمجتمع.

لهذا فإننا نرى أحسن تحديد للتنمية في التعليم العالي هو ذاك الذي قدمه تقرير التنمية الإنسانية العربية الصادر سنة 2003 ،والدي مفاده ان التنمية الإنسانية في الجوهر هي الزرع الدائم لترقية الحالة الإنسانية للبشر، جماعات وأفراد من أوضاع تعد غير مقبولة في سياق

حضاري إلى حالات أرقى، تؤدي بدورها إلى ارتفاع منظومة اكتساب المعرفة وتوظيفها بفاعلية، ومن تم يحق القول إن البشر هم صانعوا المعرفة ولكنهم أيضا صنيعتها[15].

وهكذا فإن التعليم العالي لعب دور كبير في تحقيق التنمية، من خلال إعداد أفراد تتوفر لديهم مهارات عالية وقدرات علمية وعملية، ومن خلال كذلك تبني الجامعات استراتيجيات تخطيط مرنة وجيدة وحديثة تلبي احتياجات سوق العمل لأن سوق العمل أصبح يشهد متطلبات جديدة في غاية التنوع والتعددية سوآءا على نطاق العمليات الانتاجية الخاصة به، أو على مستوى مقدرة العاملين على أداء مهماتهم بمهارة وإتقان.

4-علاقة العلوم الاجتماعية بالتنمية:

أضحت التنمية من أهم المواضيع التي تأتي في صدارة اهتمام الباحثين في العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، حيث فرضت نفسها كثقافة حضارية تبرز مؤشراتها ومتغيراتها في كل مجالات الحياة، بل أصبحت هدفا يرجى تحقيقه، وتحدي يواجه الحكومات الملتزمة بإخراج شعوبها من بؤرة التخلف والارتقاء بها إلى مصاف المجتمعات المتطورة والمزدهرة. ولن تحدث هذه الأخيرة إلا بالتحام ثلاث مكونات أساسية، وهي العلم، التكنولوجيا والانتاج. وهو ما يشهده الآن العالم الإنساني في ظل التغيرات العالمية المتسارعة، حيث أن هذه المقومات الثلاث هي سبيل المجتمعات نحو التقدم والتنمية "العلم، التكنولوجيا والإنتاج ، ثلاثة مقومات تؤثر في سياسات وخطط التنمية. فالعلم هو أساس التكنولوجيا، والتكنولوجيا هي الركيزة الأساسية للإنتاج، والانتاج هو عصب التنمية، وسياسة الانتاج هي التي تحدد مسبقا دور كل فاعل في جهود التنمية، كما تقتضي التنمية الشاملة التطور التكنولوجي المستمر".[16]

وفي حال إقرارنا بأن العلوم الطبيعية هي سبيل المجتمعات نحو التقدم التقني والتكنولوجي يكن لزاما علينا ان لا ننسى أن العلوم الاجتماعية بدورها هي أداة للتخطيط لعمليات التنمية البشرية والاجتماعية ومحركا اساسيا لكافة عمليات التغير الاجتماعي ومركز للحركات الاجتماعية، كما انها تعتبر محركا أساسيا لكافة عمليات التغيير الاجتماعي، خاصة إذا كانت مبنية على التخطيط والجهد المنظم من طرف العنصر البشري بعد تأهيله وتدريبه وتوجيهه لتنمية المجتمع.

" العنصر البشري هو أساس عملية التنمية وعلى ذلك فإن الهدف النهائي للتنمية يرتكز في إحداث تغيرات اجتماعية، اقتصادية وثقافية وسياسية مرغوبة تلحق ببناء ووظيفة المجتمع وتساهم في تحقيق الاهداف المستقبلية المنشودة"[17].

إن العلوم الاجتماعية بما تحتويه من أفكار ومعارف وتخصصات مختلفة تعمل على تعليم الانسان كيفية الوصول إلى حقيقة أبعاد وضعه الانساني في هذا العالم وكيفية الدخول إلى عالمه الداخلي وتفتيشه وربطه بالعوامل الخارجية مما يسمح له ذلك بتحسين وتطوير مستواه الفكري والارتقاء به وتسهيل طرق الاتصال الفردي والجماعي وكذلك يكون لديهم إرادة قوية قادرة على الوصول إلى تحقيق الاهداف المرغوب تحقيقها والتخطيط لها مسبقا علميا وبطرق حكيمة. وهو ما يسهم في عملية تنمية الفكر على المستوى الفردي والجماعي من خلال إنتاج المعرفة وتطبيقها.

إنه من الضروري تقوية هذه العلاقة التي تشهد قصورا على مستوى المؤسسات المجتمعية الأخرى. فالعلوم الاجتماعية تعيش حالة من التغريب والتهميش على الرغم من نشاطها المعرفي ووعيها الاجتماعي واستثماراتها العلمية الاجتماعية والثقافية والتحامه العضوي بالإنسان وبالمجتمع و قضاياه المادية والمعنوية والسلوكية، وحتى لا تحدث قطيعة بين العلوم الاجتماعية ومجال التنمية، لابد من أصحاب القرار السياسي وصانعي البرامج التنموية أن يهتموا بنتائج الدراسات التي أنجزت في إطار الأكاديمي الجامعي وأن يستفيدوا من هذه الدارسات في البرامج التنموية، كما يجب العمل على استثمار وتوظيف الدراسات الاجتماعية في العملية التنموية والاستفادة من خبرات وتجارب الباحثين الاجتماعين والمختصين والعلماء في العلوم الاجتماعية وتوظيفهم ضمن الهيئات الحكومية الرسمية التشريعية منها والتنفيذية من جهة، ومن جهة أخرى إشراك الهيئات غير الحكومية والمؤسسات الخاصة في عملية متابعة وتمويل البحث في العلوم الاجتماعية ، وفي اقتراح بل المساهمة في بناء البرامج التعليمية بما يتوافق وواقعها المؤسساتي والاجتماعي والاقتصادي، وبذلك تتحرر البرامج التعليمية في العلوم الاجتماعية من سلطة البرامج التقليدية الجاهزة التي تبنتها من النظريات الغربية، والتي يستحيل لها أن تعكس الواقع العربي الاسلامي.

وفي الاخير نقترح بإلحاح كبير على تكييف برامج العلوم الاجتماعية وتزويدها بالمرونة والقابلية للتأقلم مع الحداثة والتطور الذي ينعكس إيجابا على المجتمع ويسهم في العملية التنموية.

خاتمة

وفي الختام نود ان نقف على حقيقة العلوم الاجتماعية والمسألة التنموية في الجزائر وهي حقيقة في عموميتها لا تختلف كثيرا عن المجتمعات العربية الإسلامية الأخرى.

فالمسار التعليمي و التنظيمي و التنموي في الجزائر في العلوم الاجتماعية مرّ بثلاث مراحل متباينة بعد الاستقلال. فالمرحلة الأولى والتي امتدت من1962 الى 1970 تميزت في عموميتها بالتكديس النظري والجمود الفكري الاجتماعي وإغتراب في الفكر الاجتماعي و الممارسات إضافة الى التقليد المنهجي .

المرحلة الثانية والتي امتدت من1970 الى1980 وهي ما عرف بمرحلة الإصلاحات في الجزائر والتي شملت كدلك قطاع التعليم العالي بما فيه العلوم الاجتماعية ،حيث تميزت هده المرحلة بإعادة النظر في مضامين

العلوم الاجتماعية تماشيا ومتطلبات التنمية الوطنية الشاملة اين تم تعريب العلوم الاجتماعية وإعادة الاعتبار للغة العربية وتحريرها من الرؤية المعرفية و المنهجية و الأيديولوجية الاستعمارية إضافة الى التنويع في التخصصات.

اما المرحلة الثالثة والتي بدأت مع بداية سنوات الثمانينات واستمرت حتى يومنا هدا فقد تميزت بانفتاح العلوم الاجتماعية في الجزائر على مثيلاتها في الجامعات الغربية والشرقية والتعدد والتنوع والاختلاف المنهجي و كذا الاستفادة من تكنولوجيات الاعلام و الاتصال و توظيف بعض ألياتها العلمية و التقنية في مجال تدريسها كما عملت على تشجيع البحث الميداني التطبيقي [18]

هذه النقطة الأخيرة هي التي فتحت باب التنمية في العلوم الاجتماعية حيث قامت بدراسة بعض الازمات الاجتماعية ، و التكفل بها و تحليلها و مناقشة أسبابها و مسبباتها و آثارها السلبية سواءا على المستوى الفردي أو الجماعي .

وقد اتجه علماء الاجتماع بكل تخصصاتهم نحو آليات التنمية في المجتمع فأنجزوا بحوثهم و دراساتهم على فهم الظاهرة الاجتماعية في الجزائر بأدوات منهجية و علمية ، الى ان سعو لإعطاء تصورات حداثية للمجتمع الجزائري ، الّا أن هذه المجهودات التي أنجزت بقيت أغلبها حبيسة المنظومة الاكاديمية ، و لم يوليها صانعي البرامج التنموية أي اهتمام.

الهوامش:

---

[1] معجم نور الدين الوسيط: عربي/عربي، دار الكتاب العلمية أسسها محمد بيصو 1971 بيروت. ط2. سنة 2009

[2] نفس المصدر مادة اجتماع

[3] أحمد بدر، مقدمة في الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع سنة 2001 ص5

[4] المرجع السابق: ص70.

[5] نفس المرجع ص70.

[6] دينس كوش: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ترجمة منير سعادي: منظمة العربية لترجمة، ط1، بيروت سنة 2007 ص10

[7] Benamer Mediene : »entre nationalisme et développement l'ambiguïté des sciences sociales en Algérie » dans act du colloque sur les sciences sociales aujourd'hui Mai 1984, OPU Alger 1986 p : 101.

[8] عبد الباسط محمد حسين: التنمية الاجتماعية، القاهرة المطبعة العالمية سنة 1977 ص90، 91.

[9] نفس المرجع ص 73

[10] John Dewey : The school and society, university of chicago press, 1991.

[11] عبد العزيز شادي مستقبل المجتمع والتمية في مصر، أعمال المؤتمر السنوي الثاني للباحثين الشباب، القاهرة، مركز الدراسات وبحوث الدول النامية سنة 2002 ص71

[12] محمد السمالوطي: علم الاجتماع التنمية دراسة علم الاجتماعيات العالم الثالث، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب سنة 1974 ص54

[13] د. سعيد محمد "التعليم العالي في الوطن العربي هوية الانتماء" مجلة الإنسان والمجتمع تصدر عن كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية بجامعة تلمسان، الجزائر، العدد الرابع سنة 2012، ص5

[14] د. أحمد زكريا زدام "الاتجاهات الحديثة لتخطيط سياسات التعليم العالي وفقا لاحتياجات سوق العمل" المركز الوطني لتنمية الموارد البشرية عمان الأردن، 2012 ص58

[15] البرنامج الإنمائي لأمم المتحدة والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، تقرير التنمية الإنسانية العربية سنة 2003 عمان ص37

[16] أبو الحسن عبد الموجود إبراهيم: التنمية وحقوق الإنسان، نظرة اجتماعية، الاسكندرية، المكتبة الجامعية الحديثة سنة 2006 ص12

[17] هناء حافظ بدوي: التنمية الاجتماعية، الإسكندرية دار المعرفة الجامعية، 2000 ص80,79

[18] الدكتور سعيدي محمد : مرجع سبق ذكره (بتصرف)